

المالي ال

وأَسْبَابُ هَلَاكِ قَوْمِ ثُمُود

تأيف د.عليُ مُحَمَّد مُحَمَّد الصَّلابيُ









269

978-625-6250-49-9

نبي الله صالح عليه السلام وأسباب هلاك قوم ثمود د. علي محمَّد محمَّد الصلَّابي

رجب صونگول

AsaletAjans

ajans@asaletyayinlari.com.tr

الأولى - فبراير 2025 م / رجب 1446 هـ

İmak Ofset Basım Yay. A.Ş.

Sertifika No: 71320

Akçaburgaz Mah. 137. Sk. No: 12 Esenyurt/İSTANBUL

دار الأصالة للنشر والتوزيع وخدمات الترجمة والطباعة Asalet Eğitim Danışmanlık

Yayın Hizmetleri İç ve Dış Ticaret

Sertifika No: 40687

Balabanağa Mh. Büyük Reşit Paşa Cd. Yümni İş Merkezi No: 16B/16 Vezneciler

> Fatih/İSTANBUL-TÜRKİYE Tel: +90 212 511 85 47

www.asaletyayinlari.com.tr asalet@asaletyayinlari.com.tr رقم الإصدار الترقيم الدولي

اسم الكتاب اسم المؤلف

رئيس التحرير

الاخراج الفني

الطبعة

دار النشر

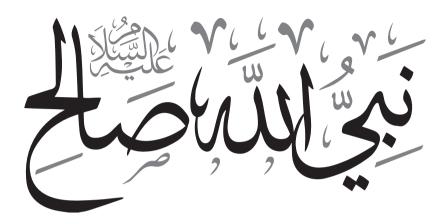


كما أن إصداراتنا متاحة على منصتى



Copyright © 2025

دار الأصالة للنشر والتوزيع وخدمات الترجمة والطباعة – إسطنبول – $^{\odot}$ تركيا 2025 جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف.



وأُسْبَابُ هَلَاكِ قَوْمِ ثُمُود

تَأْيفُ د.عليُ مُحَمَّد مُحَمِّد الصَّملابيُ



الأهداء

إلى الراغبين والمتعطِّشين لمعرفة سِير الأنبياء والمرسلين.

إلى الباحثين عن الحقيقة.

إلى أصحاب العقول النيّرة، والفِطر السليمة، والأفئدة الصافية.

أُهدي إليكم هذا الكتاب.

سائلاً المولى عَنَّكِبَلَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يكون خالصاً لوجهه الكريم. قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ عَلَيْعُمَلْ عَمَلًا صَلِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ عَلَيْعُمَلُ عَمَلًا صَلِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ عَلَيْعُمَلُ عَمَلًا صَلِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ عَلَيْ الكهف: ١١٠].

تقديم،

الأستاذ الدكتور فضل عبد الله مراد



بِنْ مِلْ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰزِ ٱلرَّحِي هِ

نفحاتُ رحلةٍ في كتاب "نبي الله صالح عَلَيْ السَّامُ وأسباب هلاك قوم ثمود"

الحمد لله، والصلاة والسلام على الرسول الكريم، ومن تبعه إلى يوم الدين، وبعد:

فلا يزال العلامة المؤرخ الكبير الشيخ د. علي الصلابي ماضياً في مشروعه التجديدي الحضاري، يقرأ فقه التاريخ من خلال سير الأنبياء. وقد قرأت العديد من هذه الإصدارات المباركة، وسأتكلم هنا عن هذا الكتاب: "نبي الله صالح عَلَيُوالسَّكُمُ وأسباب هلاك قوم ثمود".

- عُمق النصّ وتحليل المعاني

لقد رحل بنا فقيه التاريخ الصلابي إلى أعماق النص وأعماق التاريخ. أما أعماق النص فهي الطريقة التحليلية المباركة التي يتناول فيها القصة في جميع القرآن، يتناولها بنفس المفسر ونفس المستثمر لدلالات اللغة، ويضرب في أطنابها العديدة وأبعادها.

لقد نصحته أن يؤلف على هذا النمط تفسيراً ميسراً لكتاب الله، يُترجم للغات، يُقرب فيه النص القرآني بهذه اللغة القريبة من الناس على مختلف طبقاتهم، وأبديت استعدادي للمشاركة أو المشاورة فيه من جهة نوازلية خالصة من خلال مشروعنا "فقه العصر"، ليلتقي المشروعان لخدمة النهوض الحضاري للمشروع الإسلامي.

- عُمق التاريخ واستلهام السنن

أما في أعماق التاريخ، فالكتاب يرحل بعقلك وتصورك وروحك لتعيش في تلك الحقبة التاريخية، متصوراً الجغرافيا، ومتخيلاً الحمولة الحضارية التي ورثتها ثمود عمن قبلهم.

إنك ترى هذه الأمة وما بلغت إليه من القوة والبأس والتحضر:

- الثروة الحيوانية.
 - الحضارية.
 - المعمارية.
- الطبقات الاجتماعية.
 - الحوارات.
 - مراحل الدعوة.
 - القيم والأخلاق.
- سنن النهوض والفناء.
- صفات الأنبياء والمصلحين في الأرض ومواقفهم.
- السنن المتكررة في التعامل البشري مع النبوات ودعاة الإصلاح في الأرض.
- الجهات العديدة لعلوم الاجتماع في ظاهرة قوم صالح كأمة غابرة في حقبة الرسالات مضت عليها سنن الله.
 - الفقه الدعوي والإصلاحي الذي يمثل مناراً للسالكين.



- الفقه الحضاري الذي يتشكل من خلال المنظومة الآنفة الذكر بأكملها وتنوعها.
- الفقه الدلالي للفظة القرآنية وسياقها في السور المختلفة التي تصف ذلك بأبدع بيان وأعظم أسلوب معجز.

لا شك أن سيرة رسول الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ تُعد تكملة بنائية لأطوار الحضارة الإنسانية، منذ النشأة إلى تاريخ أمة صالح، التي تجلت بوضوح من خلال التتبع الموضوعي في عموم القرآن لهذه القصة العظيمة، وما صح عن رسول الله صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة الصحيحة.

- إضافات مميزة وتحقيقٌ علمي

إن هذا الكتاب، كغيره، لا يمر على المسائل إلا بتحرير وتحقيق. وانظر مثلاً في مسألة نبي الله إدريس، وترجيح الشيخ بعد تحقيق دقيق أنه بعد نوح عَيْدِالسَّكَم، لا قبله. وكذلك في قضية "عاد الأولى"، يرجح الشيخ على أنها واحدة، وأن هلاكها مر بمرحلتين:

- الأولى: الصيحة.
- الثانية: الريح الصرصر العاتية.

كما أن الكتاب يحقق الألفاظ ويجمع بينها، فقوم صالح ورد عذابهم في القرآن بألفاظ: الصيحة، الطاغية، الصاعقة، سوط عذاب، الرجفة، التدمير. لذلك جاءت في سورة الشمس بعبارة: "فدمدم".

وهذا يدل على أنواع العذاب والتنكيل. ولقد تركهم العذاب كهشيم المحتظر، كما في سورة القمر، وهي أعواد الحظيرة الجافة المهشمة المرمية تحت أقدام الأنعام.

فيا له من تصوير يقف له شعر البدن ويهتز له الكيان!

إن الفوائد العظيمة من قراءة هذا الكتاب وقراءة هذه السلسلة لا يمكن اختزالها في هذه الكلمات. ولا أريد أن أعكر على القارئ بهذه الأحرف أشواقه للإبحار، وأقول له: دونك البحر فأبحر في أي وجهة تشاء.

ومن قلب صادق أنصح كل عالم فقيه أو مفسر أو داعية أو مفكر أن يرسو هنا، ويبحر في تاريخ كله صدق وكله حقيقة وكله فقه، من هنا، لأنه نابع من أصدق كتاب، ومن أصدق من الله قيلاً.

﴿ لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۗ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٦].

هنيئاً للشيخ العلامة مؤرخ الإسلام في عصرنا على الصلابي بهذا السفر الجليل، ودعواتي الخالصة له بتمام هذا المشروع العملاق بقلمه الأنيق، وفكره العميق، وتحليله الدقيق، والذي يُسهم في نهضة الأمة الإسلامية، وتجديد فقهها التاريخيّ. والحمد لله رب العالمين

أ.د. فضل عبد الله مراد مؤسس مشروع فقه العصر الأمين العام المساعد للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين أستاذ الفقه والقضايا المعاصرة بجامعة قطر



مقدمت الكتاب

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ٤ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَنَأَيُّهُا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُرُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسِ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَقُواْ اللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْجَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلَا سَدِيدَا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ أَخُمُلَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ أَوْرَابِ: ٧٠،٧٠]. وُنُورَا كُورُ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠،٧٠].

اللَّهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

أمّا بعد؛

فهذا الكتاب يحمل اسم (صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ وأسباب هلاك قوم ثمود)، وهو ضمن سلسلة الأنبياء والمرسلين، ومشروعي في القصص القرآني، والتي صدر منها:

- موسوعة "نشأة الحضارة الإنسانية الأولى وقادتها العظام؛ آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".
 - النبيّ الوزير يوسف الصدّيق عَلَيْ السَّلَامُ من الإبتلاء إلى التمكين.
 - الأنبياء الملوك داود وسليمان عَلَيْهِمَاالسَّلامُ وهيكل سليمان المزعوم.

مقدمة الكتاب

- لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ ودعوته لقومه الظالمين وعقاب الله لهم.
 - هود عَلَيْهِ السَّلَامُ وزوال حضارة عاد.

إنّ قصّة صالح عَلَيْءالسَّكَم مُفِظت في القرآن الكريم لكي تستفيد الإنسانية من أحداثها المليئة بالمواقف والدروس والعبر، والقوانين، والسُّنن، والابتلاءات، وقد حفظ الله تعالى للبشريّة في كتابه الكريم أهم محطّات تاريخها، ومن بينها قصّة صالح عَلَيْهالسَّكُم مع قومه ثمود.

وحتى تكون قصة نبي الله صالح عَلَيْوالسَّلَامُ واضحة حرصتُ على تقسيمه لعدة مباحث، وهي:

يتحدث المبحث الأوّل عن أصل الثموديّين، وتاريخهم، وعصرهم، ونقوشهم، ومساكنهم، وحياتهم.

وفي المبحث الثاني تناولتُ قصّة صالح عَلَيْهِ السَّكُمُ في سورة الأعراف، وهود، والحجر، والشعراء، والنَّمل، والقمر، والشمس، وعن السور التي فيها إشارات سريعة لقصّة صالح عَلَيْهِ السَّكُمُ مع ثمود؛ كسورة الإسراء، وفُصّلت، والفجر، والذاريات، والآيات التي ذُكرت فيها ثمود مع الأمم الهالكة.

ولقد وقفتُ مع الآيات الكريمة في التأمّل والتدبّر والتفكّر، واستخراج الفوائد منها، والدروس والعبر، والتزمتُ التفسيرَ الموضوعيّ، واستفدتُ من علماء التفسير، وفقهاء الشريعة، وأهل التخصّص في علم التاريخ والحضارات، فكان هناك وقفات مع قصّة صالح عَلَيْهِ السَّلامُ مع قومه في فقه السنن الإلهيّة، وقضايا التوحيد، والعقائد، والأخلاق، والقيم، والمبادئ.



وفي المبحث الثالث: كان الحديث عن أسباب هلاك قوم ثمود، وذكرتُ منها:

أُوّلاً: الكفر بالله عَنَّهَجَلَّ.

ثانياً: الشرك بالله.

ثالثاً: التكذيب.

رابعاً: الظلم.

خامساً: استعجال العذاب.

سادساً: الإسراف والترف.

سابعاً: الاستكبار.

ثامناً: الإجرام.

تاسعاً: المكر.

عاشراً: الفساد.

الحادي عشر: الطغيان.

الثاني عشر: بطر النعمة.

الثالث عشر: الخطايا والذنوب.

الرابع عشر: انتهاك خُرُمات الله.

الخامس عشر: سنّة الإملاء والاستدراج.

السادس عشر: الانشغال بالدنيا عن الآخرة.

مقدمة الكتاب

السابع عشر: سنّة الاستبدال.

الثامن عشر: سنّة الأجل الجماعيّ.

التاسع عشر: سنّة الهلاك.

العشرون: سنّة الخسران.

الحادي والعشرون: الغفلة عن أسباب الهلاك.

وفي المبحث الرابع: أهم صفات وخصائص صالح عَلَيْوالسَّلَام، ووفاته.

وقد بيّنتُ في هذا المبحث حقيقة الرُّسل وصِفاتهم، وبأنّ الرسالة اِصطفاء من الله، وبأنّ الرسول يوحى إليه من ربّه، وطُرق الوحي، والفرق بين النبيّ والرسول وأهمّ صفات الرسل، ومنهم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ كالصدق والفطانة والتبليغ والعصمة ومكارم الأخلاق، والكمال في الخلقة الظاهرة، والسلامة من الأمراض المُنفّرة، وأهميّة الإيمان بالأنبياء والمرسلين، وعدد الرسل، والتفاضل بين الأنبياء والمرسلين عَتَهِ والسَّلَمُ، وحكمة إرسال الرسل عامّة، ووظائفهم، والأمور التي تفرّد بها الأنبياء.

وتناولتُ في نهاية الكتاب الحديث عن وفاة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحَجَّه لبيت الله الحرام قبل وفاته.

إنّ القصص القرآني مدرسة عظيمة في تعليم الشعوب والأمم، حقائق الوجود، ومسار الحضارات، وأحوال الأمم الغابرة، ومن خلالها نستلهم الدروس، ونفهم السنن، كما أنّ الأنبياء والمرسلين مرجعيّة روحيّة وأخلاقيّة، وعقائديّة، ودينيّة لمعرفة الصراط المستقيم والإجابة على كلّ الأسئلة التي تشغل بني الإنسان فيما



يسمّى بالأسئلة الوجوديّة، كما أنّ الوقوف مع أقوال الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِمْ السَّلامُ، والتأمّل فيها تُكسبنا مَلكات وقدرات عقلانيّة ومنطقيّة ووجدانيّة في الحوار، ودعوة الناس لدين الله الحق، والتضييق على منافذ الشيطان الرجيم، والنفس الأمّارة بالسوء.

وأخيراً: لا يسعُني في نهاية هذا الكتاب إلّا أن أقف بقلب خاشع منيب أمام خالقي العظيم وإلهي الكريم، معترفاً بفضله وكرمه وجوده، متبرّئاً من حولي وقوّتي، وملتجئاً إليه في كلّ حركاتي وسكناتي وحياتي ومماتي.

فالله العزيز الحكيم، الخلّاق العليم، الرؤوف الرحيم؛ هو المتفضّل. وربّي الكريم وإلهي العظيم؛ هو الموَفِّق، فلو تخلّى عنّي ووكّلني إلى عقلي ونفسي لتبلّد منّي العقل وغابت الذاكرة، ويبست الأصابع، وجفّت العواطف، وتحجّرت المشاعر، وعجز القلم عن البيان.

اللهم يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك وطاعتك.

اللهم إنّي أعوذ بك من سوء الأخلاق والأعمال والأهواء وطريق الغواية.

اللهم بصّرني بما يرضيك واشرح صدري، وجنبني اللهم ما لا يرضيك، واللهم بصّرني بما يرضيك واشرح صدري، وجنبني اللهم العلا أن واصرفه عن قلبي وتفكيري، وأسألك يا الله بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا أن تُثبّتني وإخواني الذين أعانوني على إتمام هذا الجهد.

اللهم اجعل هذا العمل لوجهك خالصاً، ولعبادك نافعاً، واطرح فيه البركة والقبول والنصح العميم، ونرجو من كلّ من يطّلع على هذا الكتاب ألّا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربّه ومغفرته ورحمته ورضاه من دعائه.

﴿ رَبِّ أَوْزِغْنِي ٓ أَنْ أَشْكُرُ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِي ٓ أَنْعَمْتَ عَلَى وَلِدَى وَأَنْ أَعْمَلَ صَلِحًا تَرْضَلهُ وَأَدْخِلْنِي بَرَمْتَكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّلِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩].

والحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضواته د. علي محمّد محمّد الصَّلَّابي

ولقد تمّ إنجاز هذا الكتاب -بفضل الله ومنّه ورحمته وتوفيقه وتسديده- يومَ الخميس، الساعة الواحدة وسبع وثلاثين دقيقة ظهراً بتوقيت العاصمة القطرية الدوحة (حفظها الله وسائر بلاد المسلمين).

١٥ ذو القعدة ١٤٤٥هـ/ ٢٣ مايو ٢٠٢٤م
 وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.





المبحث الأوّل

أصل الثموديين، وحديث التاريخ عنهم، وعصرهم، ونقوشهم، ومساكنهم، وحياتهم

أولاً: أصل الثموديين

ثانياً: ثمود في الكتابات القديمة

ثالثاً: مساكن ثمود

رابعاً: الرسوم والنقوش الصخرية الثموديّة

خامساً: المجتمع الثموديّ

سادساً: حضارة ثمود

سابعاً: دين أهل ثمود

ثامناً: ذِكر صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ وقوم ثمود في القرآن الكريم



يُنسب الثموديّون إلى ثمود بن عائر بن إرم بن سام (۱). ويذهب بعض المؤرّخين إلى أنّ ثمود، إنّما هو أخو (جديس، وطسم)، وأنّهم أبناء عابر بن إرم بن سام بن نوح (۲). ويكتفي البعض بإرجاع نسبهم إلى عاد، على أنّهم بقيّة من عاد (۳).

وأمّا النبي، فهو: صالح هو صالح بن عُبيد بين ماشِغ بن عُبيد بن حاجر بن ثمود بن عائر بن إرم بن سام بن نوح^(١).

وصالح اسم علم على نبي الله صالح عَلَيْوالسَّلامُ و(صالح) لفظ عربي قديم. والصالح هو الطريق الملائم والمناسب الذي يصلح للمسير وللعمل دائماً، ولا يصل إليه الخلل. وهو الأمين الصادق، والمفيد الإيجابيّ والمنتج والبنّاء دائماً، والذي لا يسبّب الضرر ولا يُنتج الفساد أبداً، ويقوِّم الأمور باتجاه الحقّ باستمرار، وهو دائماً ضدّ الفساد. (والصالح) الفاعل من الصلاح، والصالح هو النافع والخيِّر من كلّ أمر، وهو اسم نبيّ عربيّ قد اختُصّ به، والأنبياء جميعهم صالحون (٥٠).

⁽۱) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، إعداد إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٤، ٣٠٠٣م (١/ ٨٢)؛ البداية والنهاية، ابن كثير، دار الريان للتراث، مصر، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٩٠م، بعناية عبد الرحمن اللاذقي ومحمد غازي، دار المعرفة، لبنان، ط٤، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م (١/ ١٩٦)؛ نظرات في أحسن القصص، محمد السيد الوكيل، دار القلم للطباعة والنشر، ١٩٩٤م (١/ ١٢٢)؛ الأنبياء والرسل في القرآن، د. على العربي، ص٣٥.

⁽٢) البداية والنهاية (١/ ١٩٦).

⁽٣) دراسات تاريخية من القرآن، محمد بيومي، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٨ م (١/ ٢٦٥).

⁽٤) البداية والنهاية (١/ ١٩٦).

⁽٥) أسماء الأنبياء دلالاتها ومعانيها، خالد محمد خالد، نور حوران للدراسات والنشر والتراث، ط١، ٢٠١٦م، ص٨٣.

ويُجمع المؤرّخون الإسلاميّون على أنّ الثموديّين عربٌ، بل ويكاد يتّفقون على أنّهم من العرب العاربة، ثمّ يذهبون بعد ذلك مذاهب شتّى، حيث يرى فريق منهم أنّهم بقيّة من قوم عاد، ومن ثمّ، فإنّهم يرون أنّهم نشؤوا في اليمن، ثمّ غلبهم الحِميريّون فأجْلُوهم إلى الشمال، فسكنوا منطقة الحِجْر(۱).

وهناك فريق آخر، يذهب إلى أنّهم بقيّة من العماليق، ولعلّ هذا هو الذي دفع بعضاً من المؤرّخين المُحْدَثين إلى القول بأنّ ثمودَ، إنّما هم شرذمة من الهكسوس الذين طردهم حمس الأوّل حوالي عام ١٥٧٥ق.م من مصر، وأنّهم سكنوا منطقة الحِجْر، حيث نحتوا من الجبال بيوتاً على غرار المقابر المصريّة القديمة، التي شاهدوها أثناء إقامتهم في مصر (٢). وقد ردّ الدكتور محمد بيّومي على تلك الاتجاهات التاريخيّة وفنّدها (٣).

وهناك طرف ثالث يذهب إلى أنّ الثموديّين عرب جنوبيّون هاجروا إلى شمال غرب الجزيرة العربيّة كدأب كثير من القبائل الجنوبيّة التي اشتهرت بكثرة تنقّلاتها.

وأيّاً ما كان الأمر، فهناك ما يدلّ على أنّ الثموديّين إنّما كانوا من القبائل التي سكنت شمال شبه الجزيرة العربيّة(٤).

۱- سبب تسمیهٔ "ثمود":

و (ثمود): كلمة عربيّة فصيحة مشتقّة من (الثَّمْد)، قال ابن فارس في مقاييس اللغة عن الثَّمد: هو القليل من الشيء، والثَّمد هو الماء القليل، وثمدت فلانا

⁽۱) دراسات تاریخیة من تاریخ القرآن (۱/۲۲۲).

⁽٢) عصر ما قبل الإسلام، محمد مبروك نافع، مكتبة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٤٨م، ص.٣٦.

⁽۳) دراسات تاریخیة (۲۲۲۱).

⁽٤) المصدر السابق (١/ ٢٦٨).

النساءُ: إذا قطعْن ماءَه من كثرة الجماع. والإثْمِد: الطِيب المعروف، سُمَّي بذلك، لأنَّ الذي يُستعمل منه قليل يسير(١).

قال الدكتور صلاح الخالدي رَحْمَهُ اللَّهُ: ولعلَّ هذا هو سرُّ تسميتهم بثمود، ولعلَّهم سكنوا في منطقة ماؤها ثمد، أي قليل يسير، فسُمَّوا بذلك(٢).

ويقول العلّامة سليمان الندوي رَحْمَهُ اللهُ: وفي اللغة العبريّة كلمة (تاميد) تعني الدائم، وتاء العبريّة وثاء العربيّة شيء واحد، والعبريّة ليست فيها ثاء، ومعظم ثاءات اللغة العبريّة تاءات بالعبريّة، فيكون معنى كلمة ثمود في اللغات السامية العامّة هو خالد، وهو اسم لكثير من قبائل العرب(٣).

٢- ثمود بعد عاد:

و (ثمود) وُجِدوا في التاريخ بعد (عاد)، وهم مثل عاد من العرب العاربة الفصيحة، وقد كانوا يتكلمون العربيّة الفصيحة، التي أخذوها من (عاد)، كما أنّهم من العرب (البائدة) الذين أبادهم الله ولم يبق منهم أحداً، ولم يُترك لهم أثراً (٤٠).

وجاءت قصّة صالح عَلَيْوالسَّكُمُ مع قومه ثمود في القرآن الكريم عقيب قصّة هود، ففي سورة الأعراف جاءت القصص على هذا الترتيب: نوح، ثمّ هود، ثمّ صالح، بل جاء على لسان صالح عَلَيْوالسَّكُمُ في تلك السورة أنّه قال لقومه: ﴿وَالنَّكُمُ وَالْ إِذْ جَعَلَكُمُ خُلُفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادِ وَبَوَّأَكُمُ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ خُلُفَاءً مِنْ بَعْدِ عَادِ وَبَوَّأَكُمُ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ

⁽١) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، دار الفكر، ١٩٧٩م (١/ ٣٨٧-٣٨٨).

⁽٢) القصص القرآني، الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م (١/ ٢٧٠).

⁽٣) تاريخ أرض القرآن، سليمان الندوي، دار القلم،٢٠١٦م، ص١٩٠.

⁽٤) القصص القرآني، (١/ ١٩٠).



ٱلْجِبَالَ بُيُوتَا ﴾ [الأعراف: ٧٤]. وكذلك الشأن في سورة هود، والحجر، والشعراء، والقمر، وغيرها ممّا يدلّ على أنّ الأمّتين (عاداً وثمودَ) كانتا متقاربتين في الزمان، وأنّ ثمودَ كانت على علم بما جرى لأسلافهم -عاد- من العذاب والنكال(١٠).

إنّ الآيات القرآنيّة التي ذُكرت فيها قصّة هود وصالح عَلَيْهِمَالسَّكُمُ مع أقوامهم في سورة الأعراف، وهود، والشعراء وغيرها، وكذلك الإشارات السريعة في سورة فصّلت، والذاريات، والنجم، والحاقّة، والفجر، جاءت ثمود أيضاً بعد عاد، وهذا الترتيب في الذِكر الحكيم يوحي بالترتيب التاريخيّ.

وفي قول صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿ وَالْذَكُرُوۤ الْإِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآ مِنْ بَعْدِ عَادِ وَبَوَّأَكُمُ فَي اللهِ جعل قوم ثمود خلفاء وَبَوَّأَكُمْ فِي اللهِ رَضِ ﴾ [الأعراف: ٧٤]؛ فهذا تصريح على أنّ الله جعل قوم ثمود خلفاء من بعد قوم عاد. وكلمة (خلفاء) توحي بالبعديّة المباشرة؛ لأنّ الخليفة هو الذي يأتي بعد الخليفة السابق (٢).

ثانياً: ثمود في الكتابات القديمة:

ذكرت كتب التاريخ القديم الثموديّين، ومن أقدم من ذكرهم سرجون الثاني، فقد تحدّث عن الثموديّين هؤلاء في حوليّاته، فالملك سرجون الثاني (٧٢٢- ٥ كل ق.م) يتحدّث عنهم، من بين من تحدّث عنهم من قبائل خاض غمار الحرب ضدّها، وذلك بمناسبة معركة جرت بين الآشوريّين. وهذه الشعوب تدّعي في هذه الحوليّات أنّ سرجون قد هَزم خصومه، وسباهم في السامرة: "لقد قضيت بعون

⁽۱) الشرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م (١/ ٢٥٠).

⁽٢) القصص القرآني (١/ ٢٧١).

77

آشور ربّي على تمودي ومرسيماني وحيابا، أرض العرب البعيدة، سُكّان الصحراء الذين لا يعترفون برؤساء أو قادة والذين لم يدفعوا جزية لأيّ ملك، وقد سبيت الأحياء منهم، ونقلتهم إلى السامرة"(١).

وهذه المرحلة ذكرها العلّامة السيّد سليمان الندوي رَحْمَهُ اللّهُ في كتابه (تاريخ أرض القرآن)، وعنون فيها فقرة عن ثمود الثانيّة أيْ بقيّة ثمود، وعندما ذكر سرجون أو سرجون الثاني أحد ملوك الآشوريّين، وماذا فعل بالقبائل العربيّة، ومنها ثمود، فقد قال: "يثبت من ذلك أنّ ثمود لم تستعد قوّتها في عهدها الجديد، وإن كانت قد استعادت قوّة ما، فإنّها كانت قد ضعفت آنذاك"(٢).

ولقد ذكر ديو دوروس (٨٠ ق.م) وبليني (٧٩م) وبطليموس (١٤٠م) من بين المؤرّخين الروم واليونان ثمود، وكان نطقها عند ديو دوروس: تهموديني، وعند بطليموس: تهموديتي، والبلاد التي عيّناها لثمود هي التي تؤكّد أخبار العرب^(٣). ويستند الدكتور شبرنجر في ذكر ثمود إلى مؤلّف يوناني آخر أو لانيوس الذي شهد بأنّ ثمود كانت ساكنة بجانب الأنباط^(٤).

ولما استولى الروم على شمالي بلاد العرب، انضمّت ثمود إلى جيش الروم في عهد الإمبراطور الروماني جوستنيان (حكم بين ٤٨٣م - ٥٦٥م)، وكان هناك ٠٠٠ جندي من ثمود العرب في الجيش الروميّ(٥)، وكانت رماحهم طويلة، وجِمالهم

⁽١) الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأكيولوجي، سامي العامري، ٢٠٢١م، ص٥٠٦.

⁽٢) تاريخ أرض القرآن، ص١٩٦.

⁽٣) المصدر السابق نفسه.

⁽٤) المصدر السابق نفسه.

⁽٥) المصدر السابق نفسه.



معروفة، ويبدو أنَّ أهل مديَن لمَّا استولوا على أكثر بلاد ثمود، وسيطر الأنباط على ما بقي منها فيما بعد، وعزم الروم على شنّ هجمة على العرب الأنباط، وحققوا هذه العزيمة، فلا عجب إذن أن تكون ثمود ناصرت الروم في معاداتها للأنباط(١).

ولقد ذكرت كتب التاريخ القديم بأنّ العهد الذي شنّ فيها الملك سرجون الثاني الملك الآشوريّ هجومه على شمالي بلاد العرب، وجبى الخراج من ثمود عام ٧٠٠ ق.م، وبعد ذلك سيطر الأنباط على ثمود قبل عهد المسيح عَلَيْوالسَّكَمُ، ولمّا شنّ الروم الهجوم على الأنباط، ناصرت ثمود الرومان، ولأجل مناصرتهم، وقد ورد ذكر ثمود في تاريخ الروم. ولمّا ظهر الإسلام لم يكن لثمود عين ولا أثر، فقد كانت تسكن في بلادها آنذاك قبائل جُهينة، وبكى، واليهود (٢٠).

ويمكن القول: إنّ الثموديّين إنّما كانوا يسكنون في القرن الثاني ق.م، وحتى نهاية القرن الثاني الميلادي في بلاد مديّن، فضلاً عن أنّنا نجدهم منذ بداية القرن الأوّل الميلادي في الحجاز والجوف ووسط الجزيرة العربيّة، وأنّهم قد بقوا في هذه المناطق حتّى نهاية القرن الثاني الميلاديّ، فإذا أضفنا إلى ذلك ما يمكن استنتاجه من المصادر الآشوريّة، وإشارات المؤرّخين العرب، لأمكن القول، أنّه منذ بداية القرن الثاني الميلاديّ، فإنّ المنطقة التي سكنها الثموديّون قد اتسعت تدريجيّاً حتى شملت بلاد العرب الشماليّة والوسطى، من الحدود السوريّة شمالاً إلى مسافة قريبة من حدود سبأ جنوباً (٣).

⁽١) المصدر السابق نفسه.

⁽٢) معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر ودار بيروت، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م (٢/ ٣٣٨).

⁽٣) دراسات تاريخية من القرآن الكريم (١/ ٢٧٥).

وأمّا المصادر العربيّة، فتكاد تُجمع على أنّ ثمودَ إنّما كان مقامها بالحِجْر إلى وادي القرى بين الحجاز والشام(١).

على أنّ ارتباطها بعاد يقتضي تقاربهما بالمكان، ومن ثمّ فقد ذهب البعض إلى أنّ ثمود إنّما كانت بين الشام والحجاز، إلى ساحل البحر الأحمر وديارهم بفجّ الناقة، وأنّ بيوتهم منحوتة في الجبال وأنّ رممهم كانت باقية في مقابرهم، وآثارهم بادية، وذلك في طريق الحجّ لمن ورد الشام في وادي القُرى(٢).

ثالثاً: مساكن ثمود:

كانت ثمود تمتلك الجانب الغربيّ والشماليّ من بلاد العرب، وكان يُسمّى في ذلك العهد وادي القُرى؛ لأنّ الوادي من أوّله إلى آخره قرى منظومة، وقد عثر الجغرافيّون المسلمون على أطلال هذه القرى، وآثارها الحجريّة ظاهرة بها إلى الآن^(۳).

وكانت عاصمة بلاد ثمود "الحِجْر"، والتي تقع على الطريق القديم الذي يمتد بين الحجاز والشام، وعلى الطريق نفسه مدينة أُخرى لثمود (فجّ الناقة)، ولكن المدينة الحقيقيّة كانت الحِجر، والتي تسمى بالوقت الحالي مدائن صالح^(٤).

⁽۱) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أحمد بن عبد الله قلقشندي، مطبعة النجاح، ٢٠١٦م، ص٠٠٠.

⁽۲) مروج الذهب ومعادن الجوهر، كمال حسن المرعي، المكتبة العصرية، ۲۰۱۲م، (۲/ ۱۶)؛ عصر ما قبل الإسلام، ص٣٦؛ تفسير المنار (٨/ ٥٠)؛ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ط٢، ١٩٩٣م (١/ ٤)؛ كتاب المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م، ص١٤.

⁽٣) تاريخ أرض القرآن، ص١٩٠.

⁽٤) المصدر السابق نفسه.



وقد أخبرتْ آياتُ القرآن الكريم عن مكان إقامة قوم ثمود، قال تعالى: ﴿وَتَمُودَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

وتدلّنا الآيةُ على أنّ ثمود كانوا يسكنون في منطقة صخرية في أحد الأودية، وأنّهم قاموا بقطع الصخر في ذلك الوادي، وتجهيز بيوت ومساكن لهم فيه.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدُ كُذَّبَ أَصْحَبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿ وَءَاتَيْنَكُمْ ءَايَلِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿ وَالحجر: ٨٠-٨٦]؛ كان قوم ثمود مُعْرِضِينَ ﴿ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٠-٨٨]؛ كان قوم ثمود يسكنون في منطقة الحجر فهم (أصحاب الحِجر) كما سمّتهم هذه الآية من سورة الحِجر، ثمّ ذكرت كيف كانوا يُقيمون في منطقة الحجر الصخريّة الجبليّة، فقد كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين.

وهذا يُوحي بأنّ صخور تلك الجبال والأودية كانت رخوة، وسهلة النحت والحثّ، وهو ما مكّنهم من نحت تلك الصخور والجبال، وتجهيز البيوت والمنازل في داخلها، كما أنّ هذا يدلّ على مهارتهم في نحت الجبال، وتقدّمهم العلميّ والفنيّ، وقدرتهم على تخطيط وتنفيذ الأشكال الفنيّة والهندسيّة والمعماريّة (٢).

⁽۱) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٦م (١/ ٤١٠).

⁽٢) القصص القرآني (١/ ٢٧٢).

ومنطقة (الحجر) التي أقام فيها قوم ثمود، تقع في شمال غرب الحجاز، على الطريق القديم الذي يربط بين المدينة المنوّرة -على ساكنها السلام- وبين تبوك(١).

وقد مرّ معنا رسول الله صَالِلَهُ عَلَى منطقة الحِجْر أثناء توجّهه من المدينة إلى تبوك. روى البخاريّ ومسلم عن عبد الله بن عمر رَصَالِتُهُ عَلَى قال: لمّا نزل رسول الله صَالِلَهُ عَلَى عَلَى وَمسلم عن عبد الله بن عمر رَصَالِتُهُ عَلَى قال: لمّا نزل رسول الله الآبار التي كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا منها، ونصبوا القدور، فأمرهم رسول الله صَالِّلَهُ عَلَى وَسَلَمٌ فأهرقوا القدور، وعلفوا العجين الإبل، ثمّ ارتحل بهم، حتّى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عُذّبوا، فقال: إنّي أخشى أن يُصيبكم مثل ما أصابهم، فلا تدخلوا عليهم (٢٠).

يُحدّد عبد الله بن عمر رَحَوَلِكَ عَلَم الله عنه المدينة وتبوك: نزل الحجر المذكور في القرآن، كما يُحدّد الحجر بأنّه الطريق بين المدينة وتبوك: نزل بهم الحِجْر عند بيوت ثمود، كما يُحدّد البئر التي كانت تشرب منها ناقة صالح عَلَيْهِ السَّلامُ، وأنّها ما زالت موجودة، وما زال ماؤها موجوداً حتّى عهد الرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَمَنْ أَذِن للصحابة أن يشربوا منها، ومنطقة الحجر أطلق عليها التاريخ الإسلامي اسم (العُلا)، قال ياقوت في معجم البلدان: العُلا: بضمّ أوّله والقصر: اسم لموضع من ناحية وادي القرى بينها وبين الشام، نزله رسول الله والقصر: اسم لموضع من ناحية وادي القرى بينها وبين الشام، نزله رسول الله صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَاتًم في طريقه إلى تبوك (٣).

⁽١) المصدر السابق (١/ ٢٧٤).

⁽۲) صحيح البخاري، دار ابن كثير، محمد بن إسماعيل، البخاري، دمشق، بيروت، الطبعة الرابعة، ۱٤۲۲هـ - ۲۰۰۲م، رقم (۳۳۷۸)؛ مسلم، رقم (۲۹۸۱).

⁽٣) معجم البلدان، ياقوت الحموى (٤/ ٢٤٤).



ومازالت المنطقة تحمل اسم (العُلا) حتى الآن(۱)، وفي منطقة (العُلا) تقع منطقة أثريّة، تُسمّى الآن (مدائن صالح) نسبة إلى نبيّ الله صالح عَلَيْوالسَّلَامُ(۱). ولا تزال بها آثار قوم ثمود، ولا تزال بعض بيوتهم المنحوتة في الصخور والجبال، ولا تزال بعض مظاهر المهارة المعماريّة لقوم ثمود ظاهرة في هذه البيوت، والذين شاهدوا آثار ثمود في (مدائن صالح) من منطقة العُلا، يقولون إنّها تفوق في إتقانها وجمالها آثار الأنباط في منطقة البتراء في جنوب الأردن، ذات البيوت المنحوتة في الصخور والجبال(۱).

١ - (مدائن صالح):

لا يوجد أيّ خبر موثوق في التراث الإسلاميّ أو خارجه أنّ تلك المنطقة التي كانت تُسمّى (مدائن صالح) قبل البعثة أو أثنائها، وعبء الإثبات يقع على المخالف لإثبات دعواه.

وتسمية الحجز بمدائن صالح متأخّرة، يقول عالم الآثار عبد الله آدم نصيف في كتابه (العُلا والحجر): أقدم من ذكر الحجر بهذا الاسم (مدائن صالح) حسبما أعرف إبراهيم الحياري المدنيّ المتوفّي سنة ١٠٨٣هـ(٤).

وذهب صاحب كتاب: المدن والأماكن الأثريّة في شمال وجنوب الجزيرة العربيّة إلى أنّ أوّل من سمّاها بـ (مدائن صالح) من المؤرّخين: البلويّ الأندلسيّ الذي زارها سنة ٧٣٧هـ في طريقه إلى مكّة (٥٠).

⁽١) القصص القرآني (١/ ٢٧٥).

⁽٢) المصدر السابق (١/ ٢٧٦).

⁽٣) المصدر السابق نفسه.

⁽٤) العُلا والحِجر، عبد الله آدم نصيف، ١٩٩٨م، ص١٤٨.

⁽٥) الأماكن الأثرية في شمال وجنوبي الجزيرة العربية، أحمد حسين، مكتبة التاريخ، ص٧١.

وذهب المؤرّخ أحمد الحاسر إلى أنّ ما يُعرف اليوم بمنطقة مدائن صالح (شمال العلا) لم يكن هذا اسمه في القرون الإسلاميّة الأولى، وأنّه في جنوب مدينة العلا بنحو ٥٥ كيلاً آثار عمران قديم، من أُسس بناء ومجاري مياه وآثار زراعة. وقد كان الموضع في القرن السابع الهجري وما قرُب منه يُعرف باسم مدينة صالح، ثمّ مدائن صالح، وله قبل ذلك اسم آخر، أرجّح أنّه (الرحبة) الوارد في كثير من كتب الرحلات ومعجمات الأمكنة، فنسي اسم الرحبة، واسم مدينة صالح -أو مدائن صالح - وعُرف باسم وادي العطاس على ما جاء في رحلة ابن بطوطة في عشر الثلاثين من القرن الثامن (۱۱).

ونقل ابن ناصر الدين الدمشقي (توفي ٢٤٨هـ) عن الحافظ البرزالي (توفي ٧٣٩هـ) قوله: مدائن صالح بالقرب من العلا في طريق الحاج من الشام -بلد إسلاميّ - وصالح المنسوبة إليه من بني العبّاس بن عبد المطّلب (٢٠). فالنسبة على هذا القول ليست إلى نبيّ الله صالح عَلَيْوالسّكم (٣٠). والقول إنّ مدائن صالح هي عين وادى الحجر، عُمدته مطابقة المتأخرين بينهما (٤٠).

والحقّ أنّ المتقدّمين قد اختلفوا في تحديد وادي الحِجر، فقد قالت مثلاً طائفة منهم وممّن تابعهم: إنّ أرض قوم صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ هي وادي القُرى (٥). قال الحمويّ (توفّي ٢٢٦هـ) في معجم البلدان: والحِجر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام (٢).

⁽۱) ليس الحجر من مدائن صالح، مجلة العرب، ۲۰۱٤م، ص٣.

⁽٢) الوجود التاريخي للأنبياء، ص١٨٥.

⁽٣) المصدر السابق نفسه.

⁽٤) المصدر السابق نفسه.

⁽٥) الإحساء.

⁽٦) معجم البلدان (٢/ ٢٥٥).



وقال ابن كثير: هذا إخبار من الله عَرَّجَلَ عن عبده ورسوله صالح عَلَيْوالسَّلَمُ: أنّه بعثه إلى قومه ثمود، وكانوا عرباً يسكنون مدينة الحجر التي بين وادي القرى وبلاد الشام(۱۱). وأمّا ابن خلدون فقال: وأمّا ثمود، فكانت ديارهم بالحجر ووادي القرى فيما بين الحجاز والشام(۲).

٢- مساحات واسعة لثمود:

من الثابت أنّ قوم ثمود قد سكنوا في مساحات واسعة، فقد وُجدت نقوشهم وكتاباتهم في بلاد الحرمين، والأردن، واليمن، وسورية، وسيناء، وتشير أغلب المصادر إلى أنّ موطنهم الأصلي أعالي الحجاز (٣)، كما أشار الدكتور محمّد بيّومي مهران المتخصّص في التاريخ العربي القديم (والمصريّات) إلى أنّ الأثريّين قد عثروا على نقوش ثموديّة في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربيّة من الجوف شمالاً إلى الطائف جنوباً، ومن الإحساء شرقاً إلى يثرب فأرض مدين غرباً(٤). ولذلك فإنّ بيوتهم المهدّمة قد تكون في أيّ مكان شمال الجزيرة العربيّة، وربّما امتدّ الهدم إلى غيرها من المناطق الثموديّة المجاورة.

ومنطقة الحجر التي جاء فيها الخبر القرآني بأنّها أرض عذاب ثمود في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدُ كُذَّبَ أَصْحَابُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿ وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿

⁽۱) تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، حققه يوسف علي بديوي، حسن سويدان، دار ابن كثير، ٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م (٦/ ١٥٥).

⁽٢) تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر (٢/ ٢٤).

⁽٣) دراسات في آثار المملكة السعودية، عبد الرحمن كباوي، إصدارات المهرجان الوطني للتراث، ١٩٩١م، ص٧٣.

⁽٤) دراسات تاريخية من القرآن (١/ ٢٨٢).



وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلِجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٠-٨٦] واسعة، وقد ذكر الطبريّ أنّها بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله(١).

٣- بلدة الخريبة بين المدينة وتبوك:

من المواضع المرشّحة لتكون أرض قوم صالح عَلَيْ السَّلَامُ بين المدينة وتبوك، بلدة الخريبة شمال شرقي العلا، وفي ذلك يقول صاحب كتاب (تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة): إنّ كثرة من الباحثين المحدّثين حدّدوها ببلدة الخريبة التي تبعُد عن مدائن صالح بنحو عشرة أميال، وقد أصاب آثارها هي الأخرى خراب كبير، وبنوا رأيهم على غلبة النصوص الثموديّة التي عُثر عليها فيها فيها فيها فيها.

علماً أنّ هذه البلدة صخريّة، وفيها أيضاً مقابر منحوتة، وهي أقدم بقرون من (مدائن صالح)، فقد حكمها الدادانيّون في القرن السابع قبل الميلاد، وسكنتها أمم كثيرة، بما يظهر فيها من نقوش دادانيّة ومَعيْنيّة ولحيانيّة وثموديّة ونبطيّة وكوفيّة، وفيها ما يُعرف في تراثنا بمحلب الناقة (ناقة صالح عَيَوالسَّكُمُ)، وهذا يُبطل الظنّ أنّ الصخور المنحوتة فيما يُعرف بمدائن صالح هي المنطقة الوحيدة التي ينطبق عليها الوصف القرآني الظاهري المتعلّق بالنحت في الصخر (").

⁽۱) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، هجر للطباعة والنشر (۱/ ۲۸۲)

⁽٢) الوجود التاريخي للأنبياء، ص١٩٥.

⁽٣) المصدر السابق نفسه.



رابعاً: الرسوم والنقوش الصخرية الثموديّة:

دلّت الصخور المنقوشة بكتاباتهم ورسومهم على أنّهم تجوّلوا في أرجاء الجزيرة العربيّة، وكانت معظم سواحل البحر الأحمر تحت سيطرتهم، وقد تحكّموا في طرق التجارة، وتنظيمها، وتوفير الحماية لها، وقد قام العلماء الجغرافيّون الأوروبيّون خلال القرنين الماضيين باكتشاف العديد من النقوش الثموديّة التي ألقت مزيداً من الضوء على حياة الثموديّين الذين يعيشون في الجزيرة العربيّة يسكنون منطقة تسمّى (حاجابا)، وذكر المؤرّخون أنّهم كانوا يسيطرون على معظم المنطقة العربيّة الصخريّة التي تُعرف بالعرب الصخريّة تمييز لها عن العرب الصحراويّة والعرب السعيدة، وأوّل ترجمة للنّقوش الثموديّة قام بها العالم أميل ريدجر عام ١٨٣٧م، ويؤكّد المؤرّخون، وعلماء الآثار، وجود الثموديّين في جنوب الجزيرة وشمالها قبل الميلاد بآلاف السنين في مجتمعات منتشرة في أرجاء الجزيرة، وأنّها كانت مجتمعات كبيرة ومُتحضّرة، وذكر ذلك في كتاب التاريخ، لديدور الصقلي (۱). وقد كانوا السكّان الأصليين لشمال العربيّة.

وعلى أيّة حال، فإنّ نقوشاً ثموديّة كثيرة، جاءت إلينا من شمال شبه الجزيرة العربيّة، من تبوك، وتيما، والعلا، ومدائن صالح، وجبل مرير، ومن المدينة المنوّرة، ووادي الأب -الذي يبعُد عنها بحوالي • ٧كم - ومن مكّة المكرّمة، والطائف، ومن السواحل الحجازيّة الشماليّة للبحر الأحمر عند الوجه (٢).

⁽١) نظريات عصرية في القرآن الكريم، محمد لطفي جمعة، عالم الكتب، ١٩٩١م، ص٢١٨.

⁽٢) دراسات تاريخية من القرآن الكريم (١/ ٢٨٣).

وأمّا في وسط الجزيرة العربيّة، فقد جاءتنا نقوش ثموديّة من اليمن وقرب عدن، ومن حجر المعقاب عند جبل جليل، ومن طرف النجور بين حضرموت ومكّة، ومن منطقة شواديف في اليمن الجنوبيّة (١).

هذا، وتُشير النقوش الثموديّة إلى الحياة المستقرّة التي كان يحياها القوم، ومن ثمّ فقد رأينا رسماً يُصوّر لنا عمليّة حرث الأرض، وهو عمل كثيراً ما تتحدّث عنه النقوش، كما أنّ البعض يوصف بأنّه (أكّار) أيْ فلّاح كما وردت كلمة (عيّان) بمعنى سكة المحراث، وكلّ تلك ألفاظ تُشير إلى مهنة الزراعة، أضف إلى ذلك أنّ الاسم (رال) الذي يعني (قشّ) إنّما يدلّ على زراعة أنواع مختلفة من الحبوب، والأمر كذلك إلى لفظة (زرأ) بمعنى (بذر)(٢).

وهناك ما يُشير إلى أنّ القوم عرفوا زراعة العنب، بدليل وجود اسم (عنّاب) أيّ تاجر العنب، وكما تشير الرسوم المتعدّدة لشجرة النخيل إلى أنّ ثمارها ربّما كانت الغذاء الرئيسي للثموديّين (٣).

وهناك ما يشير إلى أنّ الثموديّين قد عرفوا زراعة القطن، والاسم (هلق) أي حلاج القطن، الذي يشير إلى معرفة القوم لزراعة البصل والبخور والورود⁽¹⁾.

ولم تقتصر النقوش الثموديّة على بلاد العرب، وإنّما وجدت كذلك في سيناء وفي دلتا مصر، وفي وادي الحمامات بيت القصر وقفط، وفي الصفا شرق دمش،

⁽١) المصدر السابق (١/ ٢٨٤).

⁽٢) المصدر السابق نفسه.

⁽٣) المصدر السابق نفسه.

⁽٤) المصدر السابق (١/ ٢٨٥).



وفي شمال غرب تدمر، وفي صدا، وجبل الرام، وأمّ الرصص قرب ديبان في شرق الأردن، وفي النقب(١).

خامساً: المجتمع الثموديّ:

تدلّنا الكتابات الثموديّة على أنّ أصحابها إنّما كانوا في معظمهم يعرفون القراءة والكتابة إلى حدّ ما، وقد سُمّيت إحدى النساء (سحف) أيّ التي تخطئ عند القراءة، كما أنّ هناك نصّاً يُعرف منه أنّ فتاة صغيرة كتبت اسمها على الصخر، بينما كان والدها يُراقبها عن قرب، فضلاً عن أنّ هناك من احترف مهنة الكتابة، بدليل وجود الاسم (كتب) أي (كاتب)(٢).

وقد كان القوم زُرّاعاً، ولكن أقرب إلى الحضر منهم إلى أهل الوبر، وأنّ لهم مواطن استقرار، ومعابد، وأنّ بينهم من اشتغل بالتجارة، فضلاً عن الصيد الذي مارسه الثموديّون سكّان مدين بصفة خاصّة، وقد عُثر على ثلاث رسومات في الجبال الداخلية لسفن كان يستعملها القوم في صيد الأسماك، ولعلّ من المفيد هنا الإشارة إلى أنّه قد عثر على سفن من نفس الطراز في صخور وادي الحمامات في صحراء مصر الشرقيّة، بجوار بعض النقوش الثموديّة، الأمر الذي يحمل على الظن بأنّها مراكب استعملها القوم في عبور البحر الأحمر "".

وإن كان هذا لا يمنع من القول بأنّ فريقاً من المجتمع الثموديّ، إنّما كان بدواً رُحّلاً، ومن بينهم من كان يعمل في تجارة القوافل، أو من (أهل العير) على حد

⁽١) المصدر السابق نفسه.

⁽٢) المصدر السابق نفسه.

⁽٣) المصدر السابق (١/ ٢٨٧).

تعبير النقوش، وتُصوّر النقوش الثموديّة رجالاً، ويبدو أنّهم كانوا من العنصر ذوي الرؤوس المستطيلة – مثلهم في ذلك مثل سكان بلاد العرب الشماليّة – وكان رجالهم ذوي شعور قصيرة، ويلبسون إزاراً وحزاماً في الوسط، والرأس عادة عارٍ، وإن كان الرجال – في بعض الأحيان – يلبسون غطاء رأس من القش، كما أنّ هناك من يلبس ثوباً، وعلى رأسه عمامة، ومن يرتدي قميصاً ينزل حتّى الركبة، وأمّا النساء فكانت شعورهن طويلة، هذا، وهناك بعض المناظر التي تبدو فيها المرأة وقد حملت سلّة فوق رأسها، وارتدت ثوباً طويلاً ينزل حتّى العرقوب، وارتدت خماراً. هذا، وتدلّ على مناظر النساء على أنّ المرأة الثموديّة إنّما كانت شديدة الرغبة في التزيّن بالحُلي والأساور، فضلاً عن العقود التي كانت على هيئة الهلال أو الجعل، حتّى إنّ المرأة التي لم تكن ترتدي حُليّاً في جيدها إنّما تُسمّى (آتل) أضف إلى أنّ استعمال الدهون كان شائعاً بينهن (۱۰).

وإنّ دراسة الكتابات المنقوشة على الصخور، والتي كانت مدفونة تحت الرمال لقوم ثمود يعود تاريخها -كما حدّدها علماء الآثار - إلى القرن الثامن قبل الميلاد، واستمرّت حتى منتصف القرن الخامس الميلاديّ، أي قبل قرن من ولادة النبيّ محمّد صَلَّاللَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وهذا يعني أنّ قوم ثمود أقاموا على مسرح التاريخ ثلاثة عشر قرناً.

ويُقال: كان هلاك قوم ثمود (قبل الميلاد بتسعة عشر قرناً، وكانت حياة نبيّهم ما بين ٢٠٠٠-١٩٠٠ ق.م) على وجه التقريب، وكان بين مهلك عاد وثمود خمس مائة عام (٢).

⁽١) المصدر السابق نفسه.

⁽٢) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة، دار القلم، ٢٠٢١م، ص٥١٩.



كما أنّ ثمود عاشوا وبادوا قبل زمن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مثل قوم عاد، قال الله تعالى: على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٓءَامَنَ يَكَوَّمِ إِنِيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّشُلَ يَوْمِ اللَّهُ يُرِيدُ يَوْمِ وَعَادِ وَتَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنْ بَعَدِهِم ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣٠، ٣١]؛ أي: حذّر هذا الرجل المؤمن الصالح قومه -قوم فرعون - بأس الله تعالى في الدنيا والآخرة فقال: يا قومي، إنّي أخشى عليكم إن كذّبتم موسى عَيْهِ السَّلَامُ أنْ يصيبكم من العذاب مثلما أصاب الأقوام الذين خالفوا أنبياءهم وكذّبوا رسله من الأمم الماضية، كقوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم كقوم لوط، فقد حلّ بهم بأس الله، ولم يجدوا لهم ناصراً ينصرهم ولا عاصماً يحميهم، وهذا الهلاك الذي حلّ بهم إنّما هو نتيجة ذنوبهم وتكذيبهم، ومخالفتهم رسله وما الله لعباده (۱).

سادساً: حضارة ثمود:

إنّ قوم ثمود هم خلفاء (عاد) في الحضارة والعمران، واتخاذ السهولِ قصوراً والجبالِ بيوتاً، وآثارهم تشهد على حضارتهم المادّية. وذكر المفسّرون أنّهم أوّل من نحت الجبال والصخور، وبنوا مئات من المدن كما تشهد آثارهم على ذكائهم، وشدّة الحذق في بناء بيوتهم داخل الجبال، وتدلّنا النقوش التي كانت على الصخور على مكانة صاحب المغارة بين قومه، فبعضها منقوش بدقّة، وبدرجة عالية من الفنّ والزينة، والبعض الآخر منقوش بشكل مبسّط، وهذه الجبال المنفصلة عن بعضها بشكل هندسيّ رائع، كلّ جبل منها منحوت بنقوش مختلفة هو غاية الدقّة والإتقان والروعة. وكان الله قد أطال أعمارهم حتّى إن كان أحدهم يبني البيت من المدر فينهدم وهو حيّ، فلمّا رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً(۱).

⁽١) أنبياء في القرآن تركوا آثاراً، هدى حسن، دار المعرفة للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م، ص٨٣.

⁽٢) الكامل، ابن الأثير (١/ ٨٩).

إنّ قوم ثمود هم خلفاء عاد في القوّة والصلابة، وكانت أجسامهم مفرطة في الطول والعَظم، ممّا مكّنهم من تقطيع الصخور ونحتها واتخاذها مساكن(١١).

وهذه البسطة في الأجسام، وفي طول الأعمار دفعتهم إلى الاستكبار في الأرض وتكذيب رسولهم صالح عَيْمِ السّعلامُ مع الاستعلاء على الضعفاء منهم، فعُرفوا بشراسة الطباع، وقسوة القلب خصوصاً بعدما كثُرت أموالهم واتسع سلطانهم، إذ كانت قبلهم قوم عاد، فأفسدوا في الأرض، وبطشوا بالناس، وجحدوا نعم الله التي أنعم بها عليهم.

وكان لثمود ملك عظيم اسمه (جندع بن عمرو)، وكان سيّء الطباع، وقاسي القلب، فجاء إليه جماعة ممّن أنجاهم الله من بقايا عاد، وراحوا يعظّونه، ويذكرون له ما حلّ بقومهم إثر كفرهم وطغيانهم وتجبّرهم، وراحوا يصفون له غضب الله الذي حلّ عليهم بعد دعوة نبيّهم هود عَلَيْوالسَّلَمُ؛ لأنّهم رفضوا عبادة الله، وهم يظنّون أنّ جندع سيعتبر بمن سبقه، ويرتدع عن غيّه وبطشه وجبروته، ولكنه قال لهم بصلف وغرور: إنّما هلك قوم عاد؛ لأنّهم لم يكونوا يُحسنون بناء البيوت كما نفعل نحن، ونحن نبني بيوتنا في الجبال، وننحتها في الصخور، ولذلك لا يمكن أن تُهلكنا الريح مثلهم مهما كانت صرصراً عاتية (٢٠). وقد أشارت النقوش الثمودية إلى أبعاد حضارية لتلك الأمّة الهالكة (٣).

⁽١) تاريخ ابن خلدون، محمود عبده نور الدين (٢/ ٢٣)؛ أنبياء في القرآن تركوا آثاراً، ص٨٥.

⁽٢) تاريخ ابن خلدون (٢/ ٢٤).

⁽٣) تاريخ الأنبياء، د. محمود عبد نور الدين، ص١١١.



سابعاً: دين أهل ثمود:

كانت ثمود تدين بعبادة الأصنام، يوُشركونها مع الله في العبادة (۱). وعبدت ثمود الأصنام كعاد، وكان لهم ما يُقارب من أربعين صنماً (۲)، ومنها (ود) و (جد) و (هد) و (شمس) و (مناة) و (اللات)، وغيرها (۳).

فقد كانت ثمود أهل شرك وفساد، ومنهمكين في عبادة التماثيل والأحجار التي يصنعوها بأيديهم، ويقدّسونها، ويُقرّبون إليها الأضاحي والقرابين من دون الله تعالى، ومنهم مشركون عُتاة على نهج آبائهم وأجدادهم في عبادة الطاغوت، والابتعاد عن الحقّ المتجسّد في عدم الانفتاح على الهدى، والرشد، والصراط المستقيم، كما أنهم أصحاب غيّ، وفساد في الأرض، وإسراف، وعتوّ، ويحكي القرآن الكريم عن ثمود بأنّها طاغية عاتية، ومتجاوزة في طغيانها كلّ الحدود وعلى جميع الصعُد، إذ قال تعالى في ذلك: ﴿ كَنَّ تُمُودُ بِطَغُونَهُ آ﴾ [الشمس: ١١]؛ وهذا ما يعكسه النصّ القرآنيّ، بأنّ طغيانهم كان شاملاً؛ عقائديّاً وسلوكيّاً، واجتماعيّاً، واقتصاديّاً، وسياسيّاً. ولقد عمّ طغيانهم، وفسادهم، واستشرى بين ظهرانيهم على الصعيد العقديّ والأخلاقيّ والقيميّ والعادات والتقاليد الحاكمة البعيدة كلّ البعد عن شرع الله ومنهجه. وأشدّ أنواع الفساد هو العقديّ، وهو الأخطر والأكبر، فوقعوا في الكفر والشرك.

⁽١) الدعوة إلى الله في سورة هود، عبد الرحمن بن راجي بن رجاء العوفي، ١٩٩٢م، ص٢٨٥.

⁽٢) أنبياء تركوا آثاراً، ص٨٥.

⁽٣) أحسن القصص في القرآن الكريم، نائلة هاشم، دار النفائس، ٢٠٢٠م، ص١١٦.

⁽٤) في رحاب قصص الأنبياء والرسل، عبود الراضي، دار الكتب العلمية، ٢٠١٧م (١/٢١). وانظر: أنبياء القرآن، عبد المجيد همو، دار الحافظ، ٢٠٠٠م، ص٦٢.



بعث الله تعالى نبيه صالحاً عَيَاالسَكم إلى قومه ثمود يدعوهم إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له، وقد ذكر الله في القرآن قصة صالح مع ثمود في عدّة سور، وأحياناً كان يذكر اسم صالح فقط، وأحياناً يذكر اسم ثمود فقط، وأحياناً يُذكر بعض اللقطات من القصّة.

وردت كلمة صالح في القرآن علَماً على نبي الله المبعوث إلى ثمود، واسماً له: تسع مرات؛

صالح، مرفوعة: ثلاث مرّات.

صالحاً، منصوبة: خمس مرّات.

صالح، مجرورة: مرة واحدة.

ووردت كلمة ثمود في القرآن، على الحالات الثلاثة: رفعاً ونصباً وجرّاً، ستّ وعشرون مرّة، ولا ننسى أنّ (ثمود) تكون مجرورة بالفتحة، لأنّها ممنوعة من الصرف:

ثمود: مرفوعة: تسع مرّات.

ثمود: منصوبة: ستّ مرّات.

ثمود: مجرورة بالفتحة: إحدى عشرة مرّة.



ووردت قصّة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ثمود في عدّة سور، وكان الكلام عنها في القرآن على عدّة صور، فأحياناً يعرض مشاهد مطوّلة من القصّة، وأحياناً يكتفي بتسجيل إشارات خاطفة، وأحياناً لا يذكر إلّا اسم صالح أو اسم ثمود، من ضمن أنبياء آخرين عَلَيْهِ وَالسَّلَامُ، أو أقوام سابقين (١).



⁽١) القصص القرآني (١/٢٦٦).



المبحث الثاني

CO O O

قصّة صالح عَيْهِالسَّلَمُ في سورة الأعراف، وهود، والمحبر، والشعراء، والنمل، والقمر، والشمس

أُوّلاً: قصّة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة الأعراف

ثانياً: قصّة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة هود

ثالثاً: قصّة قوم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ في سور الحجر

رابعاً: قصّة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة الشعراء

خامساً: قصة صالح في سورة النمل

سادساً: قصة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة القمر

سابعاً: قصّة صالح عَلَيْءالسَّلامُ في سورة الشمس

ثامناً: السُّور التي فيها إشارات سريعة لقصّة صالح عَلَيْه السَّار مع ثمود

تاسعاً: ذِكر ثمود مع الأمم الهالكة في القرآن الكريم

أوّلاً: قصة صالح عَلَيْهِ السّلامُ في سورة الأعراف:

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَى خَمُودَ أَخَاهُمْ صَلِحَاً قَالَ يَدَقَوْمِ أُعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُمْ وَاللّهِ عَيْرُوُهُ وَقَدْ جَآءَتُكُم بَيِنَةٌ مِن رَبِّكُمْ هَذِهِ عَذَابٌ أَلِيهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءِ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيهٌ ﴿ وَالْمَصُوفَا بِسُوءِ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيهُ ﴿ وَالْمَصُوفَا فَصُورًا عَلَيْهُ مُ خُلَفَآءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجِدُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَأَدْكُرُواْ عِن قَوْمِهِ لِلّاَ اللّهَ اللّهَ وَلا تَعْتَوُاْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَتَنْجِدُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَأَدْكُرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمُ أَنْعَلَمُونَ وَقَالَ اللّهَ لَكُوا اللّهَ مَنْ الْمُرْسَلِينَ هَا فَاللّهُ اللّهَ لَكُونَ النّهُ مَنْ مَنْ مَنْهُمُ أَنْعَلَمُونَ وَقَالَ اللّهَ عَنْوا اللّهَ مَنْ الْمُرْسَلِينَ هَا فَا اللّهَ مَنْ الْمُرْسَلِينَ هَا فَاخَذَتْهُمُ النّجَفَةُ وَعَتَوْا فِي اللّهُ مُنْ الْمُرْسَلِينَ هَا فَاخَذَتْهُمُ النّجُفَةُ السّتَكَبُرُواْ فِي وَلَوْلَ النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ مَنْ الْمُرْسَلِينَ هَ فَاكُولُ النَّاقَةَ وَعَتَوْا اللّهُ مَالِكُ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ الْمُرْسَلِينَ هَا فَاكُولُ النَّهُ مُ الرَّجْفَةُ وَقَالَ يَعْوَمُ لَوْلَ لَيْعَوْمِ لَقَدُ أَبْلَعَتُكُمُ رِسَالَةَ رَبِي وَنَصَامِتُ اللّهُ مُرْسَلِينَ هَا وَلَكِنَ لَا تُحْبُونَ النَّصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٣٧-٧٤].

جاءت قصّة صالح عَلَيْ السَّكَمُ في سورة الأعراف، وهي من السور المكيّة الطويلة، وهي أوّل سورة عَرضت تفاصيل قصص الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِ مَالسَّكَمُ. ومهمّتها -كمهمّة السور المكيّة - تقرير أصول الدعوة الإسلاميّة من توحيد الله وتقرير البعث والوحى والرسالة(١).

وتناولت السورة الكريمة قصص الأنبياء بإسهاب آدم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشُعيب، وموسى (عليهم وعلى نبيينا الصلاة والسلام)(٢)، لأغراض عدّة،

⁽١) مقاصد القرآن الكريم ومحتوياته، عبد الله التليدي، دار الأمان، الرباط، ص٧٢.

⁽٢) المصدر السابق نفسه.



منها: تسلية قلب الرسول صَلَّالَتُهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وضرب المثل للمسلمين في صبر مَن قبلهم من الأنبياء والمؤمنين، والتطرّق إلى الصراع الأزليّ بين الحقّ والباطل من خلال استعراض قصص الأنبياء مع أقوامهم (١).

وقصة صالح عَينهِ السّرة في سورة الأعراف صفحة من صحائف قصة البشرية، وهي تمضي في خِضم التاريخ، وحلقة من حلقات موكب الإيمان الذي تصدّره الأنبياء والمرسلون عَينهِ مرّاسكَلم، وأصبحوا أعلامه، وبيّنوا معالم طريقه، وهو يواجه البشريّة في رحلتها الطويلة على هذا الكوكب الأرضيّ؛ يواجهها كلّما ضلت بها الطرق، وكلّما انحرفت عن صراط الله المستقيم، وكلّما تفرّقت بها السبل، وذلك تحت ضغط الشهوات التي يقودها الشيطان، محاولاً أن يرضي حقده، وأن ينفّذ وعيده، وأن يمضي ببني آدم من خضم هذا الشهوات إلى جهنّم، فإذا الموكبُ الكريم يواجه البشريّة بالهدى، ويلوّح لها بالنور، ويستروح بها روح الجنّة، ويُحذّرها نفحات السموم، ونزغات الشيطان الرجيم عدوِّها القديم. وهذا إنّه لمشهد رائع، مشهد الصراع العميق، في خضم الحياة على طول الطريق.

إنّ التاريخ البشريّ يمضي في تشابك معقّد كل التعقيد، وإنّ هذا الكائن مزدوج الطبيعة، معقّد التركيب الذي يتألّف كيانه من أبعد عنصرَين يؤلّف بينهما قدرة الله وقدره؛ عنصر الطين الذي نشأ منه، وعنصر النفخة من روح الله، التي جعلت من هذا الطين إنساناً.

إنّ هذا الكائن ليمضي في تاريخه مع عوامل متشابكة كلّ التشابك، ومعقّدة كلّ التعقيد، ويمضي بطبيعته هذه يتعامل مع تلك الآفاق والعوالم التي أسلفنا

⁽١) مقاصد سور القرآن الكريم، منذر محمد، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ٢٠٢١، ص٥٠.

في قصّة آدم الحديث عنها، بتعامل مع الحقيقة الإلهيّة: مشيئتها وقدرها، وقدرتها وجبروتها، ورحمتها وفضلها...إلخ.

ويتعامل مع الملأ الأعلى، وملائكته، ويتعامل مع إبليس وأتباعه، ويتعامل الكون المشهود ونواميسه، وسنن الله فيه، ويتعامل مع الأحياء في هذه الأرض، ويتعامل مع بعضه البعض، ويتعامل مع هذه الآفاق، وهذه العوامل بطبيعته تلك، وباستعداداته المتوافقة والمتعارضة مع هذه الآفاق والعوالم.

وفي هذا الخِضم المتشابك من العلاقات والروابط، يجرى تاريخه، ومن القوّة في كيانه والضعف، ومن التقوى والهدى، ومن الالتقاء بعالم الغيب وعالم الشهود، ومن التعامل مع قدرة الله في النهاية؛ من هذا كلّه يتكوّن تاريخه، وفي ضوء هذا التعقيد الشديد يُفسّر تاريخه(۱).

وهذا موكب الإيمان الذي رفع أعلامه رُسل الله الكرام: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، ومحمّد (صلوات الله عليهم جميعاً)، في هذه السورة نشهد كيف يحاول هذا الرهط الكريم -بتوجيه الله وتعليمه- إنقاذ الركب البشريّ من الهاوية التي يقودها إليها الشيطان، وأعوانه من شياطين الإنس المستكبرين عن الحقّ في كلّ زمان، كما نشهد مواقف الصراع بين الهدى والضلال، وبين الحق والباطل، وبين الرسل الكرام وشياطين الجنّ والإنس، ثمّ نشهد مصارع المكذّبين في نهاية كلّ مرحلة، ونجاة المؤمنين بعد الإنذار والتذكير (٢). وإليك تفسير هذه الآيات من سورة الأعراف المتعلق بقصّة صالح عَلَيْهِالسَّلَمُ:

⁽١) في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة الشرعية الثامنة والعشرون، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م (٣/ ١٣٠٣).

⁽٢) المصدر السابق (٣/ ١٣٠٤).

١ - قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ شَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَ قَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ عَيْرُهُ ۗ قَدْ جَآءَ تُكُم بَيِّنَةُ مِّن رَبِّكُم ۖ هَاذِهِ عَنَاكُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۚ فَذَرُوهَا مَنْ إِلَهٍ عَيْرُهُ ۗ هَذِهِ عَذَابٌ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۚ فَذَرُوهَا تَاكُلُ فِي أَنْ إِلَهِ عَنْرُهُ ۗ هَا إِلَهُ اللَّهِ عَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوّءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ٧٣].

أ- ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾:

أي: أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً، و(أخاهم) موقعها الأعرابيّ مفعول به.

وكلمة (أخاهم) تُشعر بأشياء كثيرة، أي إنّه من جنسهم، ولغته لغتُهم، وأنسهم به، ويعرفون كلّ شيء، وكلّ تاريخ عنه، وكل ذلك إشارات تُعطي الأُنس بالرسول، فلم يأت لهم برسول أجنبيّ عاش بعيداً عنهم حتّى لا يقولوا: لقد جاء ليضع لنفسه سيادة علينا، بل جاء لهم بواحد منهم، وأرسل إليهم أخاهم، سواء كان المقصود أخوَّة في الأب القريب، أو أخوَّة في الأب البعيد، أي: من جنسكم من آدم (١١).

فقد نشأ صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ بينهم، فهم يعرفون صِدقه، ويعرفون استقامته، ويعرفون نظافته، ويعرفون إخلاصه، ويعرفون تميّزه، إنّه لا يبتغى منهم شيئاً من الدنيا(٢).

وهذه الأخوة في أصلها إخوة نسب، لا إخوة دين. وقيل هي أخوة المجانسة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيُهُو الْعَزِيزُ الْخَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤].

وقيل: هو مِن قول العرب: يا أخا بني تميم، يريدون أيَّ واحدٍ منهم، فالأخ يستعمل في معنى القريب من القبيلة ومنه قول الحماسيّة (٣):

⁽١) تفسير الشعراوي، محمد متولى الشعراوي، مكتبة الأسرة، ١٩٩٢م (٧/ ٢٠٦).

⁽٢) تفسير النابلسي (٤/ ٥٦٦).

⁽٣) تفسير القرطبي (١٦/ ٥٠).

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

وإن الأخوة لغةً وشرعاً على درجات وطبقات، وأوّلها: الأخوة الإنسانيّة التي وُصِف بها الأنبياء مع قومهم وقبائلهم:

- قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودَا ﴾ [الأعراف: ٦٥].
- وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَذَيَّنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبَا ﴾ [الأعراف: ٨٥].
- وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَلِحٌ أَلَا تَتَقُونَ ﴾ [الشعراء: ١٤٢].
 - وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: ١٢٤].
- وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطًا أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: ١٦١].

وتكرّر ذلك في القرآن الكريم والسنّة النبويّة، وجاء في حديث الإسراء أنّ الأنبياء إخوة، وكانوا يقولون لرسول الله صَرَّاللَّهُ عَيْدُوسَالَمَ: مرحباً بالنبيّ الصالح والأخ الصالح (۱).

وأعلى درجات الأخوة، أخوة الإيمان، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال رسول الله صَأَلِللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المؤمن أخو المؤمن».

وهي التي تستحق كامل الحقوق وأعلى الدرجات، ولكنّ ذلك دفع بعض المتعصّبين والمتشدّدين إلى حصر الأخوة في هذه الدرجة، وأنكر استعمالها في الدرجات الأخرى مُخالفاً بذلك القرآن والسنّة. واستعمال الأخ حسب النسب

⁽۱) شرعة الله للأنبياء، محمد مصطفى الزحيلي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ۲۰۱۸م، ص٩٤.



والدرجات والقبائل والأعراف والأديان، وهو ما يجري عادة في جميع المناسبات وأحقاب التاريخ والمجاملة في لقاء الآخرين مهما كانت صفاتهم وأحوالهم، وهي من الكلمات اللطيفة والمحبّبة في الأدب والأخلاق والمعاملات طول الدهر(١).

ب- ﴿قَالَ يَلْقَوْمِ أَعْبُدُواْ أَلَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَّهِ غَيْرُهُ وَ ﴾:

فهي الكلمة التي لا تتبدّل، وهي عماد قاعدة هذه العقيدة التي لا توجد إلّا بها، وهي عماد الحياة الإنسانيّة الذي لا تقوم على غيره، وهي ضمان وحدة الوجهة ووحدة الهدف ووحدة الرباط، وهي الكفيل بتحرير البشر من العبوديّة للهدى، والعبوديّة لأمثالهم من العبيد، وبالاستعلاء على الشهوات كلّها، وعلى الوعد والوعيد.

إنّ دين الله منهج للحياة، قاعدته أنّ يكون السلطان كلّه في حياة البشر لله وحده لا شريك له، وهذا هو معنى عبادة الله وحده، ومعنى ألّا يكون للناس إله غيره. والسلطان يتمثّل في الاعتقاد بربوبيّته لهذا الوجود، وإنشائه، وتدبير أمره بقدرة الله وقدره، كما يتمثّل في الاعتقاد بربوبيّته للإنسان وإنشائه وتدبير أمره بقدرة الله وقدره، وعلى نفس المستوى، يتمثّل في الاعتقاد بربوبيّة الله لهذ الإنسان في حياته العلميّة الواقعيّة، وقيامها على شريعته وأمره، تمثّله في التقدّم بشعائر العبادة له وحده، كلّها حزمة واحدة، غير قابلة للتجزئة، وإلّا فهو الشرك، وهو عبادة غير الله معه أو من دونه (٢).

⁽۱) نوح عَلَيْهُ السَّلَمُ والطوفان العظيم ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية، علي محمد محمد الصلابي، دار ابن كثير، ۲۰۱۹، ص۲۰۳.

⁽٢) في ظلال القرآن (٣/ ٣٠٨).

فهذا النداء وجهه كل رسول إلى قومه، هكذا ذكر القرآن الكريم عن نوح وهود وصالح وشعيب عَلَيْهِمَّالسَّكُمُ وغيرهم، ولأهمية التوحيد ومنزلته في الديانات السماويّة جميعاً، كان هو العنصر الأوّل في دعوات الرسل جميعاً...

- ﴿قَالَ يَكَقُوْمِ﴾؛ تودّد إليهم وتقرّب منهم وترفّق بهم: ﴿يَكَوَوْمِ﴾؛ فهو منهم، وأضافهم إلى نفسه، وهذا من حرصه عليهم، ورغبته في نجاتهم من عذاب الله والتزام أمره.

- ﴿ أَعَبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَه عَنْرُهُ وَ ﴾؛ إنّها دعوة إلى الله وحده، وأن لا يجعلوا معه إلها آخر. قال الطبريّ: ليس بكم معبود يستحقّ العبادة غيره، فأخلصوا له العبادة وأفردوه بالألوهيّة (٢).

إنّ صالحاً عَينهِ السّرة دعا قومه إلى عبادة الله عَزَّقِهِ أَ، وإفراده بالعبادة، وتحقيق التوحيد، ونبذ الشرك، بكافّة أشكاله وأنواعه، فعندما إنحرفت الإنسانيّة في عقيدتها بعد هود عَينهِ السّرة شاءت رحمة الله عَزَقِهَلَ أَن يُرسل صالحاً عَينهِ السّرة مبشّراً بالحق، وداعياً إلى الإيمان بالله تعالى.

وتضعُنا النصوص الصحيحة، والأخبار أمام هود عَلَيْوالسَّلَامُ، وهو رجل مخلص صادق، وشجاع، ومُكتمل، أرسله الله لهداية قومه، ويكون الرسل من أشرف القوم والأسر، ولقد سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان بن حرب عن رسول الله صَالَّسَةُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائلاً: كيف هو فيكم؟ فرد أبو سفيان قائلاً: هو فينا ذو حسب، فقال هرقل: وكذلك الرسل تُبعث في أحساب قومها (٣).

⁽١) موسوعة الأعمال الكاملة، يوسف القرضاوي (٨/ ١١١).

⁽٢) أنبياء في القرآن تركوا آثاراً، ص٤٦.

⁽٣) نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والطوفان العظيم، الصلابي، ص١٨١.



ويُعلّل ابن خلدون في تاريخه بأن سنّة الله في بعث الرسل في أحساب قومهم، بأنّ ذلك إنّما لأجل أن يكون للرسل أسرة ذات شوكة، ومنعة، تحميه من أذى الكفّار حتى يُبلّغ رسالة ربّه، ويتم مراد الله في إكمال دينه وملّته، ورسول الله صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في حديث صحيح: «ما بعث الله نبيّاً إلّا في منعة من قومه»(١).

ومن هذه السنة الإلهية نوقن أنّ صالحاً عَلَيْهِ السّلامُ كان من أسرة ذات مكانة وشرف ومنعة.

وأمّا من ناحية الإعداد التربوي، فإنّ صالحاً عَلَيْهِ السّكَرُمُ لم يكن بدعاً من الرسل الذين اختارهم الله لرسالته وتعهّد بتربيتهم وأعانهم على تبليغ رسالة ربّهم، فقد توفّرت فيه صفات الأنبياء وعلاماتهم من خلق كريم، وحبّ للخير، ومجانبة المعاصي والذنوب، فلمّا انتهى إعداد الله له إلى غايته فاجأه الوحي وتلك أيضاً سنّة الله في أنبياءه، فإنّه حينما تُصبح نفوسهم -بتربية الله وعنايته - أهلاً للتلقّي عنه يُفاجئها الوحي، وهذا ما حدث لصالح عَلَيهاً السّرة.

ولقد بعث الله صالحاً عَلَيْهِ السَّكَمُ حينما عمّ الفساد ليُبشّر بالخير والحقّ والعدل، وبدأ سيّدنا صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ بالتوحيد، وهو جوهر الرسالات السماويّة جميعاً، والله سُبْحَانَهُ وَقَعَالَى يؤكّد لسيّدنا محمّد خاتم النبيّين قائلاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبُلِكَ مِن رَسُولٍ إِلّا نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لِلَا إِلَهَ إِلّا أَنَا فَاعَبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

والتوحيد الذي جاءت به الرسل عنوان يُعبّر عن حقيقته في كلمة موجزة، هذا العنوان هو كلمة (لا إله إلّا الله) التي تُسمّى (كلمة التوحيد) أو (كلمة الإخلاص) أو (كلمة التقوى).

⁽١) في رحاب الكون مع الأنبياء والرسل، عبد الحكيم محمود، ص٦٥.

وهذه الكلمة العظيمة تتضمّن نفي الإلهيّة عن كلّ ما سوى الله وإثباتَها لله وحده، فهو وحده الإله الحقّ، وممّا عداه ممّا عبد الناس في مُختلف العصور فآلهة زائفة باطلة صنعتها الجهالة والأوهام كما قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ مُو ٱللَّهَ هُو ٱلْحَقُ وَأَنَ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ عُو ٱلْبَطِلُ وَأَنَ ٱللَّهَ هُو ٱلْعَلِيُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢].

فالإله هو المعبود بحق -أي المحبوب المُطاع، الذي يستحق أن يُعبد- وذلك لما اتّصف به من صفات الكمال، التي تقتضي أن يُخصّ بنهاية الحبّ ونهاية الخضوع، وهما بمعنى العبادة فإنّ الإله -كما قال ابن تيمية رَحْمَهُ اللّهُ-: هو الذي تأله القلوب بحبّها، وتخضع له، وتذلّ له، وتخافه وترجوه، وتنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مُهمّاتها، وتتوكّل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه وتطمئنّ بذكره وتسكُن إلى حبّه، وليس ذلك إلّا لله وحده (۱).

ولهذا كانت (لا إله إلّا الله) أصدق الكلام وأفضله، وكانت رأس الأمر وأحسن الحسنات. جاء في الحديث الصحيح عن النبيّ صَا لَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ ١٠٠٠.

والمعنى الحقيقي للتوحيد هو: علم العبد واعتقاده واعترافه بتفرّد الربّ بكل صفة كمال واعتقاد أنّه لا شريك له، ولا مثيل له في كماله، وأنّه ذو الألوهيّة والعبوديّة على خلقه أجمعين، وإفراده بالعبادة (٣).

⁽١) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، مكتبة الرشد، ٢٠٠٦م (٢/ ٣٨٧).

⁽٢) رواه الطبراني في الدعاء، معجم شيوخ الطبري الذين روى عنهم في كتبه المسندة المطبوعة، أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، الدار الأثرية، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، رقم (٨٧٤).

⁽٣) طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول، عبد الرحمن السعدي، دار البصيرة، الاسكندرية، ٢٠٠٠م، ص٢٠٠.



فالله لا يكون له شريك في ذاته ولا في صفاته، وكذا في عبادته، ومعاملته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا التعريف مستند على الدلالة الواضحة لمعنى (لا إله إلّا الله)؛ إذ إنّها تدلُّ بالمطابقة على تفرُّده في الألوهيّة فلا تُصرف العبادة إلّا له، وبالالتزام على تفرُّده في الربوبيّة، كما تدلُّ على اتصافه عَرَّقِهَلَ بكافّة صفات الكمال والجلال بالتَّضمّن (۱۱). فهي الكلمة المفسّرة للتوحيد من ناحية العلم، ومن ناحية العمل (۲).

وإن المعنى الحقيقي لتوحيد الله: هو الاعتقاد اليقيني أنّ كل ما في الكون من خلق ورزقٍ، عطاء ومنع، وحياة وموت، وغنى وفقر، وقوّة وضعف، وعزّ وذلّ، مردّه إلى الله سبحانه، فالله سُبْحَانَهُ وَعَالَى متفرّد بالخلق والرزق والإحياء والإماتة وسائر أنواع التصريف والتدبير لملكوت السماوات والأرض، ويجب إفراده بالحكم والتشريع، فهو الذي أرسل الرُّسل وأنزل الكتب، قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلُقُ وَالْأَمْنُ مِنَ الْعَمَانِ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَدَعُو -كَمَا أُمْرُ وغيره مِنَ الأنبياء الكرام بذلك- إلى إفراد الله وحده بالعبادة ولا يُعبد غيره، ولا يُدعى سواه، ولا يُستعان ولا يُستغاث إلّا به، ولا يُنذر ولا يُنبح إلّا له، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِى وَمَحْيَاى وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٣، ١٦٢].

وفي قصّة صالح عَلَيْهِ السّكَمُ الدعوة إلى أنّ أعظم ما يحتاجه العبد، وهو معرفة أسماء الله، ليحمده ويُمجّده ويُثني عليه، ويسأله المغفرة والرحمة ويتوب إليه، وهذا ما سنقف عليه في محلّه عند الحديث عن صالح في محله عَلَيْهِ السّلامُ.

⁽۱) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حبنكة الميداني، تحقيق: حسين مؤنس، دار القلم، دمشق، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص٢٧.

⁽٢) تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات، فوز بنت عبد اللطيف الكردي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الحادي عشر، ١٤٢١هـ، ص١٠٢.

إنّ الإنسان إذا آمن بالتوحيد لن ينظر إلى غير الله، فيكون خوفه منه، ورجاؤه فيه، وثقته به، واتّكاله عليه، وإذا أيقن ووحد الله، رأى أنّ كل ما سوى الله مُسخّر لله، وإذا اعتقد التوحيد تحرّر من ذلّ العبوديّة لغير الله، لأنّ كل مخلوق مُسخّر لله، وتتكاتف آيات وأحاديث الرسول الكريم صَلَّلَكُ عَلَيْ وَسَلَمً على دعوة الإنسانيّة إلى التوحيد حتّى تتحرّر من رقّ العبوديّة (۱).

ولقد بشّر سيّدنا صالح عَلَيهِ السّكمُ بالتوحيد، وبشّر بالتوحيد جميع الرّسُل، وإذا فهم التوحيد حقيقته، واتّخذته الإنسانيّة شعاراً لها يكون علاجاً لكثير من ألوان العنف في المجتمعات، فالإنسانيّة في مختلف أزمنتها وأمكنتها تخاف الموت، وتخشاه، فتنقاد إلى استعباد الأقوياء، والذلّة أمام الطغاة، ولكن هذا الوضع لا يتماشى قطّ مع عقيدة التوحيد، فإنّ مالك الملك إنّما هو وحده الذي يملك الموت والحياة؛ إنّه يملك إماتة الطغاة أو تركهم لحكمة يعلمها سبحانه، وهو الذي قدّر الآجال وحدّدها، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (۱).

إنّ المتأمّل في قصّة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ ودعوته لقومه يرى عِظَم هذا النبي في قيامه بأداء مهمّة التبليغ لقومه، ودعوته إيّاهم لعبادة الله تعالى وحده، حيث مكث في قومه متحمّلاً الأذى والعناد والجحود لعلّهم يستجيبون إلى دعوته.

وكانت دعوة صالح عَلَيْهِ اللهِ التي دعا قومه إليها هي دعوة التوحيد الخالص، وتحقيق عبوديّة الله تعالى، وترك عبادة الأصنام: ﴿ أُعَبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنَ إِلَهٍ عَيْرُهُ وَ ﴾ [الأعراف: ٦٥].

⁽۱) قصص الأنبياء، مصطفى العدوي، مكتبة مكة، طنطا، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، صمر،

⁽٢) نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ والطوفان العظيم، ص١١٠.



جـ- ﴿ فَدْ جَاءَتُكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَاذِهِ عَنَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۗ ﴾:

- ﴿قَدْ جَآءَتُكُم بَيِّنَةٌ ﴾؛ وهنا البيّنة هي الدليل على الصدق في البلاغ عن الله (١٠).

- ﴿هَاذِهِ عَلَيْهِ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَةً ﴾؛ جعل الله مع صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ آية بيّنة، ومعجزة واضحة، قد قدّمها لقومه، دليلاً على نبوّته، وهذه الآية هي الناقة، وكانت ناقة خاصّة في خلقها، وصفاتها ليست كباقي (النّياق) التي عندهم. وقدّمت لنا بعض آيات القرآن الكريم بعض صفات هذه النّاقة.

أمّا خلق الناقة، وكيفيّة خلقها، فلم تُخبرنا الآيات عن ذلك، ولا يوجد أحاديث صحيحة توضّح ذلك (٢)، وإن كانت بعض كتب التفسير والتاريخ قد ذكرت قصصاً في ذلك لم تصل لدرجة الصحّة، وتقول بعض الروايات: حين قام سيّدنا صالح بدعوته، تحدّاه السادة من قومه، وقالوا: نقف نحن وأنت، نستنجد، نحن بآلهتنا، وأنت بإلهك، وإن غلب إلهك نتبعك، وجلسوا يدعون وأنت بإلهك، وإن غلب الهه نقالوا لسيّدنا صالح: إن كنت صادقاً الهتهم، فلم يحدث شيء من تلك الآلهة، فقالوا لسيّدنا صالح: إن كنت صادقاً في دعوتك، فهذه صخرة منفردة أمامك في الجبل اسمها (الكاتبة)، فليُخرج ربّك لنا من هذه الصخرة ناقة هي عشراء كالبخت -أحسن أنواع الإبل - فدعا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وانشقّت الصخرة عن الناقة، وخروج الناقة من الصخرة لا يدع مجالاً من الشكّ في أنّها آية من الله ظهرت أمامهم.

⁽۱) تفسير الشعراوي (٧/ ٢١٧).

⁽٢) القصص القرآني (١/ ٢٧٩).

إنّها البيّنة الواضحة، حيث انشقّت الصخرة عن الناقة، ووجدوها ناقة عشراء وبراء -أي كثيرة الوبر- يتحرّك جنينها بين جنبيها، ثمّ أخذها المخاض، فولدت فصيلاً، وهكذا تتأكّد الآية الإلهيّة، دون أن يجراً أحدٌ على التشكيك فيها، وهي ناقة من الله، وهو القائل(۱): ﴿هَاذِهِ عَنَاقَةُ ٱللّهِ لَكُمْ ءَايَةَ ﴾؛ وأضيفت الناقة إلى الله، وهي إضافة تشريف وتكريم للناقة، لأنّها خاصة في خلقها ووجودها بينهم، وليست الإضافة لتخصيص التمليك، بمعنى أنّ الله يملك هذه الناقة وحدها، كما يملك أحدكم ناقته، ولا يملك ناقة غيره، لأنّ كلّ الكون وما فيه من المالكين والمملوكين ملك لله وحده (۱).

وقد كان شرب الناقة للماء شُرباً خاصّاً مُعجِزاً، وقد أشارت له آيات، قال تعالى: ﴿قَالَ هَانِهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءِ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءِ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمِ عَظِيمِ ﴾ [الشعراء: ١٥٦، ١٥٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةَ لَهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَالسَعراء: ١٥٦، ١٥٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةَ لَهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿ وَالسَعراء: ٢٨، ٢٧].

لقد كان ماء ثمود قسمة بينهم وبين الناقة، حيث يشربون هم ماء العين يوماً، وتشرب الناقة وحدها ماء العين كلّه يوماً آخر، وهكذا يكون شرب ماء العين بالتناوب بينهم وبين الناقة، كلّ له شرب يوم معلوم محدّد، وكلّ يحضر ليشرب العين في يومه، وإذا كان يوم شرب الناقة، فعليهم أن يُخلّوا بينها وبين شرب العين ولا يمنعوها من ذلك، ولا يمسّوها بسوء (٣).

تفسير الشعراوي (٧/ ٢١٨).

⁽٢) القصص القرآني (١/ ٢٧٩).

⁽٣) المصدر السابق (١/ ٢٨٠).



د- ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي آرْضِ ٱللَّهِ ۗ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوِّ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوِّ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ﴾:

قال الشيخ محمّد رشيد رضا في تفسيره للآية الكريمة: ومثله في سورة الشعراء إلّا أنّه وصف العذاب بالعظيم فهو أليم وعظيم. وفي سورة (هود) وصف العذاب بالقريب، وهو أنّه يقع بعد ثلاثة أيام من مسّهم إيّاها بسوء وكذلك كان، وفي سورة (القمر): ﴿وَنَبِنَاهُمْ أَنَ ٱلْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَاهُمْ كُنُ شِرْبِ مُحْتَضَرُ ﴾ [القمر: ٢٨]؛ وفسّره قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿قَالَ هَذِهِ عَنَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمِ مّعَلُومٍ ﴾ [الشعراء: ١٥٥].

وقيل الوعيد على مسها بسوء. والشّرب بكسر المعجمة: ما يُشرب، وفي سورة الشمس: ﴿كَذَّبَتُ تَمُودُ بِطَغَوَهِا ﴾ إِذِ أَنْبَعَنَ أَشْقَلَها ۞ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ نَاقَةَ اللّهِ وَسُقَيْهَا ۞ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَيُّهُم بِذَشِهِمْ فَسَوَّنَهَا ﴾ [الشمس: ١١-١٤]، وسُقينها ۞ فَكَذَّبُوهُ فَعَقرُوها فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَيُّهُم بِذَشِهِمْ فِسَوَّنَهَا ﴾ [الشمس: ١١-١٤]، التح، فدل مجموع الآيات على أنّ آية الله تعالى في الناقة ألّا يتعرّض لها أحد من القوم بسوء في نفسها، ولا في أكلها ولا في شربها، وأنّ ماء ثمود قسمة بينهم وبين الناقة إذ كان ماء قليلاً، فكانوا يشربونه يوماً وتشربه هي يوماً، وورد أنّهم كانوا يستعيضون عن يومها بلبنها، روي هذا عن ابن عبّاس وقتادة (١١) قال: قد علِمنا من سنّة القرآن وأساليبه في قصص الأنبياء مع أقوامهم أنّ المراد بها العبرة والموعظة ببيان سنن الله تعالى في البشر وهداية الرسل (عليهم الصلاة والسلام)، لا حوادث الأمم وضوابط التاريخ مرتبة بحسب الزمان أو أنواع الأعمال. وقد حُكي هنا عن صالح عَيْهِالسَّلَامُ أنّه ذكر الآية التي أيّده الله تعالى بها عقب ذكر تبليغ الدعوة، وفي قصّته من سورة (هود) أنّه ذكر لهم الآية بعد ردّهم لدعوته، وتصريحهم بالشكّ قصّته من سورة (هود) أنّه ذكر لهم الآية بعد ردّهم لدعوته، وتصريحهم بالشكّ

⁽١) تفسير المنار (٨/ ٥٠٢).

في صدقه، وزاد في سورة (الشعراء) طلبهم الآية منه، وكل ذلك صحيح ومراد، وهو المسنون المعتاد، ولا منافاة بين ذلك التفصيل وهذا الإجمال، والمرويّ أنّ هذه السورة (الأعراف) نزلت بعد تَينك السورتين فتفصيلهما لإجمالها جاء على الأصل المألوف في كلام الناس، وإن كان غير ملتزم في القرآن، على أنّ ترتيب السور لم يُراع فيه ترتيب نزولها، والمعنى قد جاءتكم آية عظيمة القدر، ظاهرة الدلالة على ما جئتكم به من الحقّ، فتنكير الآية للتعظيم والتضخيم.

وقوله ﴿مِن رَبِّكُم ﴾؛ للإعلام بأنّها ليست من فعله، ولا ممّا ينالها كسبه عَلَيْهِ السَّلام، وكذلك سائر ما يُؤيّد الله به الرسل من خوارق وعادات(١).

﴿ قَدْ جَاءَ تَكُم بَيِنَةٌ مِن رَّبِكُم ﴾؛ أي: دلالة على نبوّتي ورسالتي، وعلى أنّ الله قادر على كلّ شيء وأنّه وحده لا شريك له، فها هي ناقة الله، العظيمة الهائلة لكم دلالة على صدقي ها هي ناقة الله التي أخرجتها لكم (٢).

قال بعض أهل العلم: إنّ هذه الناقة قيل عنها ناقة الله، لكونها جاءت من عند الله بغير طريق التوالد والتناسل المعلوم في أمر الإبل، ولكنّها خرجت من صخرة، وخرجت عظيمة هائلة لا كسائر النوق، والله أعلم.

إنّ صالحاً عَلَيْهِ السّدلّ بالناقة أيضاً على نبوّته، ورسالته، وصدقه في دعوته لهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ولكنّ القوم همّوا بقتلها، فحذّرهم صالح عَلَيهِ السّلامُ من ذلك قائلاً: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ ٱللّهِ ﴾؛ اتركوها وشأنها ترعى في المراعي والجبال، فليس عليكم رزقها ومؤونتها ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ ﴾؛ أي: ولا

⁽۱) المصدر السابق (۸/ ۰۰۱–۰۰).

⁽٢) قصص الأنبياء (١/ ٢٧٠).



تقربوها بأذى في نفسها، ولا في أكلها ولا في شِربها. والمتبادر من كلمة ﴿بِسُوٓءِ ﴾، أن الوعيد مُرتّب على أيّ نوع من أنواع الإيذاء -جلّ أو حقُر- لأنّه نكرة بعد نهي(١).

وأُنيط النهي بالمسّ والسوء، لأنّ المسّ يصدق على أقلّ اتصال شيء بالجسم، فكلّ ما ينالها ممّا يُراد منه السوء فهو منهيّ عنه، وذلك لأنّ الحيوان لا يسوؤه إلّا ما فيه ألم لذاته، لأنّه لا يفقه المعاني النفسيّة(٢).

والباء في قوله ﴿بِسُوٓءِ ﴾، للملابسة، وهي في موضع الحال من فاعل ﴿تَمَسُّوهَا ﴾ أي: بقصد السوء(٣).

- ﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾؛ أي: فيحلّ بكم من الله عَنَّهَ عَذَابُ مؤلم موجع (١٠).

وقد جعل الله سلامة تلك الناقة علامة على سلامتهم من عذاب الاستئصال: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي ٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ﴾؛ وإلَّا فهو النذير بسوء المصير(٥).

هـ- ناقة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ من آيات الرسل:

إن آيات النبوّة هي الأدلّة والبراهين على صدق الرسل فيما يدعون الناس الله، ولأنّ الرسالة أمر خطير يترتّب عليه صلاح البشر في معاشهم ومعادهم؛ كان من حقّ الناس أن يُطالبوا من يدّعي الرسالة أن يُثبت صدقه ويؤيّد دعوته. والبراهين على ذلك كثيرة، فحياة الرسول نفسه وسلوكه المستقيم، وسيرته الحسنة

⁽۱) دعوة الرسل، محمد أحمد العدوى (۱/ ۱۸۳).

⁽٢) التحرير والتنوير (٤/ ٣٠٤).

⁽٣) المصدر السابق نفسه.

⁽٤) قصص الأنبياء، مصطفى العدوي (١/ ٤٧٢).

⁽٥) التحرير والتنوير (٤/ ٣٠٣).

بين قومه؛ آية على صدقه، وكونه لا يدّعي لنفسه شيئاً، ولا يسأل الناس أجراً، بل يدعو إلى الله لا شريك له، دليل على صدقه، وما يسمّيها القرآن آيات هي مصطلح علماء التوحيد على تسميته (المعجزات)، وهي التي نتناولها بشيء من التفضيل فيما يلى:

• تعريف المعجزة:

عرّفها الدكتور القرضاوي رَحْمَهُ اللّهُ بقوله: هي أمر خارق للعادة يُظهره الله على يد مُدّعي النبوّة على جهة التحدّي تصديقاً له في دعواه (١١).

ولقد عرّفها الدكتور صلاح الخالديّ رَحَمُهُ اللهُ: والراجح في تعريف المعجزة في الاصطلاح هي الأمر الخارق للعادة، السالم من المعارضة، يجريه الله على يد النبيّ، تصديقاً له في دعوى النبوّة.

• شروط المعجزة:

- أن تكون المعجزة خارقة للعادة، بأن تكون غيرَ خاضعة للسننِ الكونيّة، والأسبابِ الماديّة، والمقاييسِ البشريّة، وخارجةً عمّا ألفه الناس وتعوّدوه في حياتهم.

وهذه المعجزة خارقة للعقل، بمعنى أنّها لا تتعارض مع المنطق العقليّ البشريّ بشرط أن يكون هذا العقل واعياً منفتحاً كبيراً، وليس صغيراً ضعيفاً منغلقاً(٢).

⁽¹⁾ مو سوعة الأعمال الكاملة (Λ / δ 2).

⁽٢) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، الأردن، ٢٠١٦م، ص٢٢.



- أن تكون المعجزة من فعل الله، فالله هو الذي يجري المعجزة على يد النبيّ، وهو يختارها ويقدّمها للنبيّ.

والنبيّ لا اختيار له، ولا قدرة له على إجرائها، فليست من فعله ولا اختياره، ودوره هو تقديمها للناس وإظهارُها على يده مع تأكيده لهم أنّها ليست منه وإنّما من الله.

- أن تظهر المعجزة على يد النبيّ عَلَيْ السَّكَمُ؛ لأنّ النبيّ هو الذي يُقدّم نفسه لقومه باعتباره نبيّاً، فيُقدّم الله له الدليل على نبوّته، بالمعجزة التي يجريها على يديه. لا يجوز إطلاق (المعجزة) إلّا على الآية الربّانيّة، التي يجريها الله على يد النبيّ(۱).

أمّا إذا قدّم الله لأحد عباده وأوليائه الصالحين خارقة من خوارق العادات، فإنّها تُسمّى (كرامة)، ولا تُسمّى معجزة، فالمعجزة للنبيّ والكرامة للوليّ.

والأمور العجيبة من السحر والكهانة والحِيل الشيطانيّة التي يقدّمها بعض السحرة وجنود الشيطان ليست من هذا الباب، لأنّها ليست من فعل الله، وليست تصديقاً من الله لصاحبها، وليست دليلاً على رضاه عنه.

- أن تكون المعجزة سالمة من المعارضة بحيث يعجز أعداء النبيّ عن معارضتها، ولا يقدرون على نقضها، ولا يستطيعون الإتيان بمثلها، لأنّ هذه المعجزة دليل من الله له، ولو تمكّن أعداؤه من معارضتها لفقدت معناها، ولم تصلح دليلاً على صدقه.

- أن تكون المعجزة بعد دعوى النبوّة، فبعد أن يبعث الله النبيّ ويُقدّم نفسه لقومه على أنّه نبيّ من عند الله، يُجري الله على يده المعجزة تصديقاً له، فإذا وقعت

⁽١) المصدر السابق، ص٢٣.

(الخارقة) قبل النبوّة لا تسمّى معجزة، وإنّما تُسمّى (إرهاصاً)، مثل كلام عيسى عَلَيْهِ السَّالَةُ مُ الله صَرَّالَتَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على رسول الله صَرَّالَتَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحجر في مكّة على رسول الله صَرَّالَتَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل بعثته (۱).

واعتبر بعض العلماء التحدّي شرطاً في المعجزة، ولذلك قالوا في تعريفها: هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدّي، السالم من المعارضة.

والمقصود بالتحدي أن يتحدّى النبيّ بالمعجزة قومَه الكافرين المكذّبين له، ويطلبَ منهم معارضتَها وإبطالها، أو الإثبات بمثلها، وهم سيعجزون عن ذلك لأنّها من فعل الله(٢).

قال الدكتور صلاح عبد الفتّاح الخالدي رَحْمَهُ اللّهُ: إنّنا لا نوافق هؤلاء العلماء على كون التحدّي شرطاً في المعجزة، واعتبار كلّ المعجزات مقرونة بالتحدّي، واعتبار هذا التحدّي قيداً من قيود التعريف لا نوافقهم على ذلك، لأنّ التحدّي ليس موجوداً في المعجزات كلّها.

إنّ المعجزاتِ -في موضوع التحدّي- نوعان:

الأوّل: معجزات مقرونة بالتحدّي، وهي المعجزات التي يُقدّمها النبيّ للكفّار المكذّبين له، لتكون شاهداً له على صدق نبوّته، وهو يطلب منهم نقضَها ومعارضتَها أو الإتيانَ بمثلها، ويتحدّاهم بأنّهم لن يقدروا على ذلك من هذه المعجزات المقرونة بالتحدّي، ومن هذه المعجزات:

- ناقة صالح عَلَيْهِ ٱلسَّالَمُ.

⁽١) المصدر السابق نفسه.

⁽٢) المصدر السابق، ص٢٤.



- وعصا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّالَامُ.
- وإحياء الميّت على يد عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.
- وإنزال القرآن على رسول الله محمد (عليهم الصلاة والسلام)(١).

والثاني: معجزات ليس فيها تحدِّ، وهي تلك المعجزات التي يوجّهها النبي لاتباعه المؤمنين به، وبما أنّ أتباعه مؤمنون به، فلماذا يتحدّاهم بها؟

من هذه المعجزات: العيون الاثنا عشر التي فجرها الله لبني إسرائيل من الحجر، بعد أن ضربه موسى عَلَيْهِ السَّلَمُ بعصاه، والمائدة التي أنزلها الله للحواريّين، بعد دعاء عيسى عَلَيْهِ السَّلَمُ، وتسبيح الحصى وتكثير الطعام، ونبع الماء الذي جرى لرسول لله صَلَّاللَهُ عَلَيْهِ وَسَلَمٌ على مشهد ومسمع من الصحابة، من هذا نعلم أنّ التحدي ليس شرطاً في المعجزة (٢).

و- كلمات قرآنيّة قريبة من معنى المعجزة:

لم ترد كلمة معجزة في القرآن ولا في حديث رسول الله صَرَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا في كلام الصحابة والتابعين.

ولعلّ أوّل استخدام لمصطلح المعجزة والإعجاز كان بعد منتصف القرن الثالث الهجري، ومن كان في شكّ فليراجع كلمات القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين.

ورغم أنَّ كلمة (المعجزة) لم ترد في القرآن، فقد وردت في القرآن كلمات قريبة من معناها، تدُلِّ على ما تدلِّ عليه وتُطلق على ما قدّمه الرسل لأقوامهم

⁽١) المصدر السابق نفسه.

⁽٢) المصدر السابق، ص٢٥.

من حجج وبراهين، تدلّ على أنّ الله بعثهم لأقوامهم، وقد وردت كلمات متقاربة معها، قريبة من معناها، ومن الكلمات القرآنيّة المتقاربة مع معنى المعجزة:

• الآية: وهي العلامة الظاهرة التي تدلّ دلالة واضحة على الدعوى. وكثيراً ما أطلق القرآن على ما يُقدّمه النبيّ من خوارق وبراهين لقومه (آيات) لأنّها ظاهرة الدلالة على نبوّته، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ يَسْعَ ءَايَتٍ بَيِّنَتٍ ﴾ [الإسراء: ١٠١]. ﴿ هَاذِهِ ـ نَاقَـةُ اللَّهِ لَكُمْر ءَايـةَ ﴾ [الأعراف: ٧٣].

• البيّنة: هي الدلالة الواضحة على صدق النبيّ في دعوى النبوّة، قال تعالى:

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَلِحًا ۚ قَالَ يَنْ قَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنَ إِلَهِ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتُكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِكُم ۗ هَاذِهِ عَنَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةَ ﴾ [الأعراف: ٧٧]. ونُشير إلى ورود كلمتين في هذه الآية الكريمة، هما: البيّنة والآية.

• البصيرة: هي الشيء الواضح الظاهر، الذي يُدركه القلب، وتُبصره العين، ويتفاعل معه الإنسان المتفتّح، ويهتدي به للحقّ، قال تعالى:

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرُسِلَ بِٱلْآيَاتِ إِلَّا أَن كَنْ اللَّهَ الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَاتِ إِلَّا تَخُويفًا ﴾ [الإسراء: ٥٥]. لقد ورد في هذه الآية الكريمة كلمتان، هما: الآيات، مبصرة.

و (مُبْصِرَةً) بمعنى بصيرة، وليس المراد أنّ الناقة مبصرة بعينها، ترى وتُشاهد فيهما ما أمامها، فهذا أمر معروف، لأنّ الله لم يخلق الناقة عمياء، وإنّما خلقها مُبصرة بعينيها، إنّما المراد أن الناقة بصيرة واضحة ودليل على نبوّة صالح عَلَيَّالسَكم،



وقال تعالى عن آيات القرآن: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآبِرُ مِن رَّبِّكُمُ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۗ وَقَالَ تعالى عن آيات القرآن: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَامِهُ اللَّهُ عَلِي فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

البرهان: هو البيان الواضح والدليل الظاهر، الذي يُقنع العقل، ويؤثّر في القلب،
 سمّى الله آيتَي موسى عَلَيْء السَّلَمُ -العصا واليد- برهانين، وذلك في قوله تعالى:

﴿فَذَانِكَ بُرُهَا مَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ ۗ ﴾ [القصص: ٣٦].

وسمّى الله القرآن برهاناً، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرْهَنُ مِّن رَّبِّكُرُ وَأَنزَلْنَاۤ إِلَيْكُمْ فُورًا مُّبِينَا ﴾ [النساء: ١٧٤].

• السلطان: هو الأمر القويّ، والبرهان الساطع الذي يتمكّن من العقول، ويستلط على القلوب فيقهرها، ويتحكّم فيها ويهجم عليها بحجّته ويجعلها خاضعة لمنطقه، قال تعالى عن المواجهة بين الأنبياء وأقوامهم الكافرين:

﴿ قَالَتَ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىّ أَجَلِ مُّسَمَّى ۚ قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلّا بَشَرٌ مِّثُلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا وَنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلِ مُّسَمَّى ۚ قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلّا بَشَرٌ مِّثُلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَان يَعْبُدُ ءَابَا وُنَا فَأَثُونَا بِسُلُطَنِ مُّبِينٍ ۞ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَحْنُ إِلّا بَشَرُ مِتَا لَكُمْ وَلَكُنَّ اللّهَ يَمُنُ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَأْتِيكُمْ بِسُلُطُنِ إِلّا بِإِذْنِ اللّهِ ﴾ [إبراهيم: ١١،١١].

و لا يعني عدم ورود كلمتَي (المعجزة) و (الإعجاز) في القرآن والسنّة عدم جواز استخدامها على اعتبار أنّهما (بدعة) ناشئة!

يجوز استخدامهما، فنقول: هذه معجزة رسول الله صَلَّاتَلَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإعجاز القرآن مستمر حتى قيام الساعة.

يجوز ذلك للتقارب الكبير بين معنى المعجزة ومعاني الكلمات القرآنية، ولا نطباق معانيها على معنى المعجزة، ومن المعلوم أنّه (لا مشاحّة في الاصطلاح) ومع جواز ذلك فإنّ الأولى استعمالُ المصطلح القرآنيّ، لفضله وشرفه وإشراقه وحيويّته، وتمام دلالته، فنقول: القرآن هو آية النبيّ صَلَّاللَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، والناقة آية صالح عَيْهِ الله رسله آياتٍ بيّناتٍ، صدَّقهم بها(١).

ز- وجوب الإيمان بالمعجزات:

- يجب على المؤمن الإيمان بمعجزات الأنبياء عموماً، لأن القرآن الكريم أخبرنا بوقوع الكثير من المعجزات على يد الأنبياء عَلَيْهِمُالسَّلَامُ.

- وعلينا أن نؤمن بأنّ الأنبياء لا يأتون بالمعجزات من عند أنفسهم، ولكنّ الله تعالى يكرمهم ويجريها على أيديهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلِ كِتَابٌ ﴾ [الرعد: ٣٨].

- مَن أَنكرَ وقوع المعجزات، أو الآيات للأنبياء التي أثبتها القرآن فهو كافر، لأنّه أنكر ما ثبت بنصّ القرآن الكريم، وهو كتاب لا ينطق إلّا بالحقّ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَيَ اللّهَ اللّهِ اللّهِ وَمُ يُؤْكِى ﴾ [النجم: ٣، ٤].

حـ- أنواع المعجزات:

والمعجزة نوعان: منها ما هو حسّي، ومنها ما هو عقليّ.

وقد كانت معجزات الرسل السابقين كلّها من النوع الأوّل، مثل: ناقة صالح، وعدم إحراق النار لإبراهيم الخليل، وعصا موسى، وإنفلاق البحر، وإبراء الأكمه

⁽١) إعجاز القرآن البياني، ص٢٨.



والأبرص وإحياء الموتى على يد عيسى، ولنبيّنا محمّد صَرَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا النوع ما لا يقع تحت الحصر، كفوران الماء من بين أصابعه صَرَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحنين الجذع إليه، وانشقاق القمر، وغير ذلك.

٢- قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآ مِنْ بَعْدِ عَادِ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ
 تَتَخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللّهِ وَلَا
 تَعْتُواْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٤]:

إن الآية الكريمة تُبيّن لنا تذكير صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه لهم، وأثر النعمة والتمكين في الأرض لثمود، كما نلمح طبيعة المكان الذي كانوا يعيشون فيه، فهو سهل وجبل، وقد كانوا يتخذون في السهول القصور، وينحتون في الجبال البيوت، فهي حضارة عمرانية واضحة المعالم في هذا النصّ القصير.

أ- ﴿وَٱذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِنْ بَعْدِ عَادٍ ﴾:

يُذكّرهم صالح عَلَيْوالشّلامُ باستخلاف الله لهم من بعد عاد، وإن لم يكونوا في أرضهم ذاتها، ولكنّهم يبدو أنّهم كانوا أصحاب الحضارة العمرانيّة التالية في التاريخ لحضارة عاد، وأنّ سلطانهم امتدّ خارج الحِجر أيضاً، وبذلك صاروا خلفاء ممكّنين في الأرض، محكّمين فيها(١).

ب- ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾:

أي: أنزلكم في الأرض منازل صالحة (1)، أي: جعل لكم مساكن صالحة فيها وأزواجاً(1).

جـ- ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا ﴾:

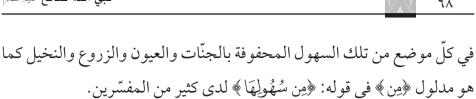
يقول الراغب في مفرداته: السهل ضد الحزَن وجمعه سهول، قال: ﴿مِن سُهُولِهَا قُصُّورًا ﴾ [الأعراف: ٧٤]، وأسهل: دخل في السهل، وكلمة سهولاً من الفرائد القرآنية: من أكثر الألفاظ دلالة على المراد بحروفها السهلة الليّنة الرخوة التي تنمّ عن استواء هذه الأرض وانبساطها وانقيادها لهم، ممّا مكّنهم من بناء القصور فيها، كما أنّ معناها يومئ -من طرْف خفي - إلى سهولة أحوالهم ويُسر معيشتهم وكثرة أرزاقهم وأنّهم كانوا يعيشون في رغد من العيش، كما قال تعالى: ﴿أَتُرَكُونَ فِي مَا هَهُنَا وَالمِينِ شَ فِي جَنَاتٍ وَعُيُونٍ ﴿ وَنَدُوعٍ وَنَخْلِ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ [الشعراء: ١٤٦ -١٤٨].

وهذا - لا شك- يكون ألصق بحياة من يعيشون في السهول، فالسهول مشهورة بخصوبة تربتها، وكثرة زرعتها ما بين حدائق غنّاء وبساتين فيحاء، وزروع ناضرة، ونخيل باسقة مثمرة، وعيون كثيرة، وجداول رقراقة، ومن ثمّ بنوا القصور الكثيرة

⁽١) في ظلال القرآن (٣/ ١٣١٣).

⁽٢) التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، دار الأماجد، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م (٢١/ ٣٣٠).

⁽٣) تفسير الطبري (٨/ ٢٣١).



ولذلك قيل: كانوا يسكنون السهول في الصف، والجبال في الشتاء، وهذا يدلُّ على أنّهم كانوا مُتنعّمين مُترفين(١).

وتدلّ كلمة ﴿سُهُولِهَا ﴾ على تميّز هذه السهول بسمات وخصوصيّات لا توجد في غيرها كما بيّنًا سلفاً. و(سهول) جمع تكسير للكثرة ممّا يدلّ على كثرتها وتنوّعها واتساعها وامتلائها بالخيرات والنعم التي لا تُحصى كما حكاه القرآن عنهم، ممّا يدلُّ على تفرِّدهم بحضارة عمرانيَّة زراعيَّة رائعة. كما أنَّ لفظ (سهول) أكثر التصاقاً وأشدّ اتصالاً بكلمة (القصور)، فإنّ القصور المبنيّة في الأرض السهلة تكون أمكن وأثبت وأروع وأفخم وأجمل(٢).

وتُشير كلمة ﴿مِن سُهُولِهَا ﴾ إلى تفرّد موضعها فلم يرد في الذكر الحكيم عن قوم آخرين أنَّهم اتخذوا من السهول قصوراً، إلَّا قوم صالح وهي خصيصة اختصُّوا بها على غيرهم من الأمم، كما أثبتها لهم القرآن في موضع واحد لم يتكرّر (٣).

⁽١) فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان البخاري القنوجي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ١٩٩٢م (٣/ ٣٦٠)؛ تفسير أبي السعود، أبو السعود محمد العمادي الحنفي، المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض، مطبعة السعادة، القاهرة (٣/ ٣٤٣)؛ وتفسير الواعدي (١/ ٢٠٠)؛ والتحرير والتنوير (٤/ ٣٠٥).

الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية، د. عبد الله عبد الغني سرحان، ص٦١.

⁽٣) المصدر السابق نفسه.

د- ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾:

أي: تتّخذون البيوت من الجبال، والنحت: الأخذ من الشيء لتجعله على صورة مخصوصة، كنحت النحيت والضم والبيت من خشب وحجر ونحوهما، ويكون في الأجسام الصلبة المحتملة لذلك، وقد يتجوّز في غيرها(١).

- ﴿ٱلْجِبَالَ ﴾؛ جمع جبل، وهو الأرض الناتئة على غيرها مرتفعة. والجبال: ضدّ السهول.

- ﴿بُيُوتَا ﴾؛ والبيوت جمع بيت، وهو المكان المحدد المتّخذ للسكن، سواء كان مبنيّاً من حجر، أم كان من أثواب الشعر أو صوف، وفعل النحت يتعلّق بالجبال لأنّ النحت يتعلّق بحجارة الجبال. وانتصب ﴿بُيُوتَا ﴾ على الحال من الجبال، أي: صائرة بعد النحت بيوتاً، لأن الجبل لا يكون حاله حال البيوت وقت النحت، ولكن يصير بيوتاً من النحت. ومحلّ الامتنان هو أن جعل منازلهم قسمَين:

- قسم صالح للبناء فيه.

- وقسم صالح لنحت البيوت، قيل: كانوا يسكنون في الصيف القصور، وفي الشتاء البيوت المنحوتة في الجبال(٢).

ولقد جمعت الحضارة الثموديّة بين رفاهية العمران وفخامته، وبين إنشاء الحدائق وغرس الجنان^(٣).

⁽١) التدبر والبيان (١١/ ٣٣٠).

⁽٢) التحرير والتنوير (٤/ ٣٠٥).

 ⁽٣) إعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمران، يحيى وزيري، ص٦٠.



هـ ﴿ فَأَذْ كُرُوٓا عَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعَـٰ قَوْا فِ الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾:

- ﴿ فَٱذْ كُرُوۤاْ ءَالَآءَ اللّهِ ﴾؛ نعمه التي لا تُحصى (١)، وما حولكم من الفضل والرزق والقوّة (٢). فتذكّروا نِعم الله عليكم، واشكروها له، بتوحيده، وإفراده بالعبادة، واستعمالها فيما فيه صلاحكم، ولا تستبدلوا الكفر بالشكر، فتعتّوا في الأرض مفسدين (٣).

فدعا صالح عَلَيْهِ السَّلَمُ قومه إلى تَذكّر نِعم الله المتتالية، النعمة تلو الأُخرى من النعم العظيمة.

- ﴿ وَلَا تَعَنَّوُاْ فِ اللَّرَضِ مُفْسِدِينَ ﴾؛ حذّرهم، ونهاهم عن العُثوّ، وهو أشدّ الفساد؛ أي: لا تتمادَوا في الفساد بالقتل، والشرك والظلم في إهلاك الحرث والنسل (٤٠)، ولا تخربوا الأرض بالفساد والمعاصي، فإنّ المعاصي تدع الديار العامرة بلاقع (٥٠).

فالإعراض عن عبادة الله تعالى ودينه وشرعه، يؤدّي إلى نشر الفساد، فنعم الله كثيرة والأرض صالحة للعيش الكريم السعيد، فلا تفسدوها بموالاة الشيطان، واتباع الشهوات والملذات والأهواء(١٠).

تفسير الشعراوي (٧/ ٢٢٠).

⁽۲) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ۷۰۰۷م (۱/ ۷۲۰).

⁽٣) تفسير المنار (٨/ ٣٠٥ – ٥٠٤).

⁽٤) تفسير القرآن الثري الجامع، محمد الهلال، دار جوامع الكلم، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢م (١١٢/٤).

⁽٥) تفسير السعدي (١/ ٧٦٢).

⁽٦) التفسير الموضوعي مجموعة باحثين، إشراف: مصطفى مسلم، كلية الدراسات العليا والبحث =

وفي تذكير صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ لقومه في الآية الكريمة: ﴿وَادَّكُرُوٓاْ إِذَ جَعَلَكُمُ فَلَكُمُ الْكَرْيَمة فَي الآية الكريمة: ﴿وَادْ كُرُوّاْ إِذْ جَعَلَكُمُ فَلَا الْعَلْمَاء عَن تفسيرها، واستخرجوا منها فوائد ودروس ومواعظ وعبر كثيرة منها:

- قال الشيخ السعدي رَحَمُ أُلِلَهُ: وبالجملة، فالبنايات للقصور والحصون والدور وغيرها من الأبنية، إمّا أن تتّخذ مساكن للحاجة إليها، والحاجات تتنوّع وتختلف، فهذا النوع من الأمور المباحة، وقد يتوصّل به بالنيّة الصالحة إلى خير. وإمّا أن تكون البنايات حصوناً واقية لشرور الأعداء وثغوراً تحفظ به البلاد ونحوها، ممّا ينفع المسلمين ويَقِيهم الشرّ، فهذا النوع يدخل في الجهاد في سبيل الله، وهو داخل في الأمر باتخاذ الحذر من الأعداء. وإمّا أن يكون للفخر والخيلاء، والبطش بعباد الله، وتبذير الأموال التي يتعيّن صرفها في الطرق النافعة، فهذا النوع هو المذموم الذي أنكره الله على عاد وغيرها (١).

- وقال الشيخ الدكتور محمّد مصطفى الزحيلي رَحْمَهُ الله: كان قوم ثمود امتداداً لقوم عاد، وكان الله تعالى قد منحهم القوّة والبسطة في الجسم والمال، فشيّدوا المدن، وأقاموا القصور والعمران، ونحتوا الجبال لتكون لهم حصوناً ليأمنوا غوائل الدهر، وفتحوا الطرقات، وغرسوا الحدائق وفجّروا خلالها العيون واعتقدوا أنّهم خالدون في هذه الحياة، وغفلوا عن الله تعالى، بل عبدوا الأصنام والأوثان، فأرسل الله تعالى إليهم نبيّهم صالح عَلَيْوالسَّلَام، ليُسدّد مسيرتهم، ويُصحّح عقيدتهم، ويُرشدهم إلى الطريق السويّ، فأبوا وأصرّوا على الكفر والعناد(٢).

العلمي بجامعة الشارقة، الإمارات، طبعة ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م (٣/ ٩٥).

⁽١) التدبر والبيان (١١/ ٣٣٣).

⁽٢) شرعة الله للأنبياء، ص١١٨.



وأقاموا البناء والعمران، وظنّوا أنّهم خالدون فيها، وآمنون من غوائل الدهر، فلم يُنكر عليهم صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ ذلك، ولكن حذّرهم الغفلة، وأمرهم بعبادة الله تعالى.

وهذا شرع الله تعالى -كما مرّ سابقاً في قوم عاد- في طلب البناء والعمران، ولكن لتبقى في مكانتها في الحياة، ولا تؤدّي لإنكار الله تعالى واليوم الآخر.

وهذا ما دعا إليه الإسلام، ونفّذه المسلمون في حضارتهم، ولكنّ البشريّة في معظمها اليوم تسلك منهج عاد وثمود في البناء والانشغال في الدنيا، والتطاول في البنيان وهو ما يجب تجنّبه خشية الدمار والهلاك، والزلازل والأعاصير، وخسران الدنيا والآخرة (۱).

و- تحريم الإفساد في الأرض:

- ﴿ وَلَا تَعُنَّوُاْ فِ اللَّرَضِ مُفْسِدِينَ ﴾؛ إنّ صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ ينهى قومه عن التمادي في الفساد، وهذا يُبيّن أنّ ظاهرة الفساد مشكلة اجتماعيّة وسياسيّة وفكريّة ثابتة متأصّلة في المجتمعات الإنسانيّة قديماً وحديثاً (٢).

- والفساد في اللغة: نقيض الصلاح، والمفسدة خلاف المصلحة، والاستفساد خلاف الاستصلاح^(۳).

وقال الراغب الأصفهاني: الفساد خروج الشيء عن الاعتدال، قليلاً كان الخروج أو كثيراً، ويُضادّه الصلاح ويُستعمَل ذلك في النفس والدين^(١).

⁽١) المصدر السابق، ص١٢٠.

⁽٢) المنهاج القرآني في مواجهة الفساد، محمد سلطان، دار روزا، ٢٠١٧م، ص٤٢.

⁽٣) لسان العرب، محمد مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت (٣/ ٣٣٥).

⁽٤) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم للطباعة والنشر، ٢٠٢٢م (١/ ٦٣٦).

وعرّفَ الكفويُّ الفسادَ قائلاً: إنّه أعمّ من الظلم؛ لأنّ الظلم: النقص، فإنّ من سرق مال الغير فقد نقص حقّ الغير، والفساد يقع على ذلك وعلى الابتداع واللهو واللعب(١).

ومن أهمّ المعاني اللغويّة المستخلفة للفساد المجرّد هي:

- نقيض الصلاح أو الاستصلاح.
 - أخذ المال ظلماً.
- خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان ذلك أم كثيراً.
 - أنّه عام يشمل اللهو والابتداع واللعب.
 - أنّه شامل لقطع الأرحام.
- أنّه يقع في النفس والبدن^(۱)، وغير ذلك من المعاني.

وقد عرّف علماءُ التفسير الإفساد، فقال الطبريّ رَحَمُ اللهُ: "الإفساد في الأرض، العمل فيها بما نهى الله جلّ ثناؤه عنه، وتضييع ما أمر الله بحفظه، فذلك جملة الإفساد"(٣).

ويعني بما نهى الله عنه: ارتكاب المعاصي، وتضييع ما أمر الله بحفظه، وترك الفرائض والحدود، ونحوها ممّا يترتب على تضييعه فساد وإفساد (١٤). أمّا ابن كثير رحمَهُ الله فقال: الفساد: الكفر والعمل بالمعصية (٥٠).

⁽۱) الكليات معجم من المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب الكفوي، مؤسسة الرسالة، ۲۰۰۷م، ص ۲۸۲.

⁽٢) المنهاج القرآني في مواجهة الفساد المالي، ص٤٨.

⁽٣) تفسير الطبري (١/ ٢٨٩).

⁽٤) المنهاج القرآني في مواجهة الفساد، ص ٤٩.

⁽٥) تفسير ابن کثير (١/ ٩١).



إنّ صالح عَلَيْ والسياسي، وكلّ أشكاله وأنواعه من الشرك، أو الأذيّة للخلق، فرسالة الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِ والسّلام في الأرض، تحارب الفساد، وتتصدّى له، وتعمل على تقليصه، وتخليص الناس منه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

استمرّ صالح عَلَيْوالسَّكمُ في دعوته، واستجاب له فئة قليلة من عامة قومه، وأبى أكثرهم، وانضمّوا إلى الأعيان والوجهاء (الملأ)، وتعرّض المؤمنون للأذى والسخرية. وعرضت لنا الآياتُ مشهداً من مشاهد المواجهة بين الفئة الضعيفة المؤمنة، وبين زعماء الكفر والضلال ومن وقف معهم(۱).

٣- قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوْمِهِ ۚ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ
 لِمَنۡ ءَامَنَ مِنْهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَلِحًا مُّرْسَلُ مِّن رَبِّهِ ۚ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ عَلَمُونَ أَنَّ صَلِحًا مُّرْسَلُ مِّن رَبِّهِ ۚ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ عَلَمُونَ ﴾ مُؤْمِنُونَ ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ إِنَّا بِٱلَّذِينَ ءَامَنتُم بِهِ عَلَمُونَ ﴾ الله عراف: ٧٦،٧٥].

تفسير الآية الكريمة:

فقد آمنت طائفةٌ من قوم صالح، واستكبرت طائفةٌ:

أ- ﴿ قَالَ ٱلْمَلَا أُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ ٤ *:

الملأ: هم السادة والأشراف الأعيان الذين يملؤون العين هيبة والقلوب مهابة (٢). والملأ: هم آخر من يؤمن بدعوة تجرّدهم من السلطان في الأرض، وتردّهم

التفسير الموضوعي (٣/ ٩٥).

⁽٢) تفسير الشعراوي (٧/ ٤٢٢١).

إلى إله واحد: هو ربّ العالمين. ولا بدّ أن يُحاولوا فتنة المؤمنين الذين خلعوا ربقة الطاغوت من أعناقهم بعبوديّتهم لله وحده وتحرّروا بذلك من العبوديّة للعبيد(١).

- ﴿ اللَّذِينَ اسْتَكُبَرُواْ ﴾؛ السين والتاء: تدُلّان على الطلب، أي: هم ليسوا أهلاً، لكي يتكبّروا، لأنّهم لا يملكون أسباب الكبر أو مؤهّلات الكبر (٢). ﴿ السّتَكْبَرُواْ ﴾؛ أعطوا لأنفسهم كبراً، ليسوا أهلاً له. (والكبر): هو الشعور بالعظمة ورفع النفس فوق ما تستحق أو إظهار عِظم الشأن. والكبر أو التكبّر منها:
 - الكِبر على الله سبحانه، أو بآياته، وهو أعظم أبشع أنواع الكفر.
- الكِبر على الرسل والأنبياء، كقول قوم ثمود لنبيهم صالح: ﴿ بَلْ هُوَكَذَاكِ أَشِرُ ﴾
 [القمر: ٢٥].
- الكِبر على الناس. والكِبر أو التكبّر صفة ذميمة، والمتكبّر مذموم في الأرض والسماء، ومُعظم الآيات جاءت بصيغة استكبروا، استكبر، استكبرتم، تستكبرون، ويستكبرون، استكبرون، ومُتكبّرين، متكبّر.

والفرق بين المستكبر، والمتكبّر: الألف والسين والتاء: تُفيد الطلب، أي: المستكبر لا يملك، وليس عنده مؤهّلات الكبر مثل السلطان، والغنى والجاه والعلم، والقوّة، والحكم، أي: هو يظهر من نفسه ما ليس فيه بأن يرفض عبادة الله وطاعته، أو لا يقبل الحقّ من أحد مثلاً.

⁽۱) في ظلال القرآن (۳/ ۱۳۱۳).

⁽٢) تفسير القرآن الثري الجامع (٤/ ١١٢).



والاستكبار والتكبّر غالباً يكون بغير الحقّ، وقليلاً ما يكون بالحقّ، مثل التكبّر على العدوّ، أو لنصرة المظلوم. وأمّا المتكبّر: فهو مَن حاز على بعض الصفات مثل الغنى، والسلطان، والحكم، والجاه، مثل فرعون وقارون، أو غيرهم من الذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد وظلموا وبطشوا وتجبّروا(۱).

وفي قصّة صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ وصف الملأ بالذين استكبروا في هذا الموضع لتفظيع كبرهم، وتعاظمهم على عامّة قومهم، واستذلالهم إيّاهم، وللتنبيه على أنَّ الذين آمنوا بما جاءهم به صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ هم ضعفاء قومه(٢).

ب- ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴿

أي: الذين استضعفوا هم عامّة الناس الذين أذلّهم عظماؤهم، واستعبدوهم، لأنّ زعامة الذين استكبروا كانت قائمة على السيادة الدنيويّة الخالية من صفات الفضيلة؛ من العدل والرأفة وحب الإصلاح، فلذلك وصف الملأ بالذين استكبروا، وأطلق على العامّة وصف الذين استضعفوا(").

- ﴿ ٱسۡ تُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴿ ؟ هذا يدلّ على أنّ المستضعفين قسمان: قسم آمن، وقسم استمرّ في الكفر.

فهناك الذين استكبروا، وهناك الذين استُضعِفوا، منهم من آمن، ومنهم من بقي على حاله من الكفر. واللام: لام الاختصاص(٤).

⁽١) المصدر السابق (١/ ١٧١).

⁽٢) التحوير والتنوير (٢/٣٠٦).

⁽٣) المصدر السابق نفسه.

⁽٤) تفسير القرآن الثرى الجامع (٤/ ١١٢).

جـ- ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ٤٠:

واضح أنّه سؤال للتهديد والتخويف، ولاستنكار إيمانهم به، وللسخرية من تصديقهم له، في دعواه الرسالة من ربّه. والاستفهام في ﴿أَتَعُلَمُونَ ﴾، للاستفهام والإنكار والتشكيك(١).

أي: ما يظنّكم آمنتم بصالح عَلَيْوالسّكم عن علم بصدقه، ولكنّكم اتبعتموه عن عمى وضلال غير موقنين به (۲). ولكنّ الضعاف لم يعودوا ضعافاً، لقد كسب الإيمان بالله القوة في قلوبهم، والثقة في نفوسهم والاطمئنان في منطقهم.. إنّهم على يقين من أمرهم، فماذا يعني التهديد والتخويف؟ وماذا تعني السخرية والاستنكار من الملأ المستكبرين (۳). ولذلك عدل المؤمنون عن الجواب بـ (نعم) إلى إعلان إيمانهم بدعوة صالح عَلَيْوالسّكم على سبيل التحدي.

د- ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أَرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾:

فصدْقُ صالح عَلَيْوالسَّكَمُ واضح معلوم، والواجب المبادرة إلى الإيمان برسالته، وها نحن نواجهكم به، ولو كان يسوؤكم ويؤلمكم! عجباً للإيمان؛ ما أعظم تأثيره على النفوس والقلوب جعل الفئة المستضعفة المقهورة فئة قويّة تتحدّى جبروت الظالمين، وتُعلن كلمة الحقّ في وجوههم مجلجلة مدوّية (3).

- ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِ عُمُؤْمِنُونَ ﴾:

⁽١) التحرير والتنوير (٤/ ٣٠٦).

⁽٢) المصدر السابق (٤/ ٣٠٧).

⁽٣) في ظلال القرآن (٣/ ١٣١٤).

⁽٤) التفسير الموضوعي (٩٦/٣).

- ﴿ قَالُوا ﴾؛ أي: المستضعفين الذين آمنوا بصالح.
 - ﴿إِنَّا ﴾؛ للجمع والتفخيم.
- ﴿ مِمَا ﴾؛ الباء: للإلصاق والتأكيد. (ما): اسم موصول؛ يعني الذي أرسل به من ربّه (أي: رسالته).
- ﴿بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾؛ جملة إسميّة، تدلّ على صفة الثبوت؛ أي: صفة الإيمان أصبحتْ عندهم ثابتةً، أي: آمنًا به كرسول، وآمنا بما أُرسل به(١).

فوجئ الطغاة المستكبرون بشجاعة المؤمنون، وثباتهم، وقوّة إيمانهم، فلم يجدوا ردّاً عليهم ليحفظوا ماء وجوههم، ويستروا خزيهم، إلّا أن يُعلنوا كفرهم (٢).

هـ- ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡ يَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِينَ ءَامَنتُم بِهِ عَكَفِرُونَ ﴾:

على الرغم من البيّنة التي جاءهم بها صالح عَيَّوالسَّكمُ والتي لا تدع ريبة لمستريب، إنّه ليست البيّنة التي تنقص الملأ للتصديق، إنّه السلطان المهدد بالدينونة للرّب الواحد، إنّها عقدة الحاكميّة والسلطان، إنّها شهوة الملك العميقة في الإنسان، إنّه الشيطان الذي يقود الضالين من هذا الخطام، وأتبعوا القول بالعمل فاعتدوا على ناقة الله التي جاءتهم آية من عنده على صدق نبيّه من دعواه، والتي حذّرهم نبيّهم أن يمسّوها بسوء فيأخذهم عذاب أليم (٣).

⁽١) تفسير القرآن الثري الجامع (١/١١٣).

⁽٢) التفسير الموضوعي (٣/ ٩٦)

⁽٣) في ظلال القرآن (٣/ ١٣١٤).

٤ - قال تعالى: ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَصَالِحُ ٱغْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٧].

أ- ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ ﴾:

العقر: هو الذبح، والعقر: هو الجرح، أو قطع عضو من أعضاء الناقة. والذي يعقر عادة فرد واحد، وقال: ﴿فَعَقَرُواْ ﴾ [الأعراف: ٧٧]، لأنّهم اشتركوا في المؤامرة والجرم على عقرها، فهم شركاء في الإثم رغم أنّ الذي عقرها واحد، قيل: هو قدار بن سالف.

وجاءت تفاصيل ذلك في سورة النمل: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطِ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطِ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ وَثُمَّ لَيُفْسِدُونَ فِي الْلَاّتِيةِ عَمَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَدِقُونَ ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرَا وَمَكَرُونَا مَكْرًا وَمُكَرِّنَا مَصْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ٤٨-٥٠].

وجاء ذلك في سورة القمر: ﴿فَنَادَواْ صَاحِبَهُمُ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴾ [القمر: ٢٩]؛ كونهم تنادوا؛ فهم اشتركوا في الجريمة(١).

ب- ﴿ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ مْ ﴾:

العُتوّ: تجاوز الحد في الكِبْر، وتعديته بـ (عن) لتضمينه معنى الإعراض. وأمرُ ربِّهم هو ما أمرهم به على لسان صالح عَينوالسَّلامُ من قوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءِ ﴾ [الأعراف: ٧٧]؛ فعبر عن النهي بالأمر، لأنّ النهي عن الشيء مقصود منه الأمر بفعل ضدّه، ولذلك يقول علماء الأصول: إنّ النهي عن الشيء يستلزم الأمر بضدّه، الذي يحصل له تحقّق الكف عن المنهى عنه (٢).

⁽١) تفسير القرآن الثري الجامع (١١٣/٤).

⁽٢) التحرير والتنوير (٤/ ٣٠٩).



جـ- ﴿ وَقَالُواْ يَصَالِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِـدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾:

بدأت مرحلة التحدي، بعد مرحلة الكفر: ﴿ النَّيْنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴾؛ من عذاب الله ونقمته، استعجالاً منهم للعذاب. ﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾؛ إن كنت لله رسولاً إلينا فإنّ الله ينصر رسله على أعدائه (١).

- قال الشنقيطي رَحْمَهُ اللّهُ في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ يَصَالِحُ اَئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ اللّهُ رُسَلِينَ ﴾: لم يُبيّن هنا هذا الذي يعدهم به، ولكن بيّن في موضع آخر أنّه العذاب، كقوله: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوّءِ فَيَأْخُذَكُم عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ [هود: ٦٤]. وقوله هنا: ﴿ فَيَأْخُذَكُم عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ [هود: ٢٤]. وقوله هنا: ﴿ فَيَأْخُذَكُم عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ [هود: ٢٤]. وقوله: ﴿ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيّامِ مِ ذَلِكَ مَن الآيات (٢٠).

- وقال ابن كثير رَحْمَهُ اللّهُ في تفسير الآية: ﴿فَعَقُرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَواْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَصَلِحُ ٱكْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾: فجمعوا في كلامهم هذا بين كفر بليغ من وجوه، منها:

أنّهم خالفوا الله ورسوله في ارتكابهم النهي الأكيد في عقر الناقة التي أرسلها الله لهم آية. ومنها: أنّهم استحقّوا وقوع العذاب بهم، فاستحقوه من وجهين: الأول: الشرط عليهم في قوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءِ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ [هود: ٦٤]، وفي الشرط عليهم في قوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءِ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ [هود: ٦٤]، وفي آية: ﴿عَظِيمٌ ﴾، وفي الأخرى: ﴿أَلِيمُ ﴾؛ والكل حقّ. والثاني: استعجالهم على ذلك. ومنها: أنّهم كذّبوا الرسول الذي قد قدّم الدليل القاطع على نبوّته وصدقه،

تفسير الطبري (٨/ ٢٣٢-٢٣٣).

⁽٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، ٢٠١٣ م (٢/ ٣٥).

وهم يعلمون ذلك علماً جازماً، ولكنْ حملهم الكفر والضلال والعناد على استبعاد الحق، ووقوع العذاب بهم (١).

٥ - قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتُهُمُ ٱلرَّجُفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٨].

أ- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾:

وهنا الرجفة معناها الزلزلة الشديدة، وأخذتهم كما يؤخذ الشيء الحقير. وقد دلّ حرف الفاء في قوله: ﴿فَأَخَذَتُهُمُ ﴾ على التعقيب، فلم يُمهّلوا كثيرا بعد عقرهم الناقة المعجزة، بل عجّل الله تعالى في إهلاكهم والانتقام منهم.

وقد بين سبحانه في سورة هود أنّه أمهلهم ثلاثة أيام فقط، عانوا في أثنائها أشدّ أنواع القلق، والخوف مع الترقّب، والانتظار: ﴿فَعَكُرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي السّدّ أنواع القلق، والخوف مع الترقّب، والانتظار: ﴿فَعَكُمُ تَلَاثُهَ أَيّاهِ لَا كَمَ تَعُولُ عَيْرُ مَكُذُوبٍ ﴾ [هود: ٦٥]. وجاءتهم الصيحة من فوقهم والزلزلة من تحتهم (٢٠).

قال الشنقيطي رَحْمَهُ اللَّهُ: لم يُبيّن هنا سبب رجفة الأرض بهم، ولكنّه في موضع آخر ذكر أنّ سبب ذلك صيحة الملك بهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلنِّينَ ظَلَمُواْ الْضَيْحَةُ ﴾ [هود: ٢٧]؛ والظاهر أنّ الملك لمّا صاح بهم رجفت بهم الأرض من شدّة الصيحة، وفارقت أرواحهم أبدانهم، والله جَلَّوَعَلا أعلم (٣).

- ﴿فَأَصْبَحُواْ ﴾؛ الفاء: للمباشرة والتعقيب.

⁽١) البداية والنهاية (١/ ١٢٨ - ١٢٩).

⁽۲) التفسير الموضوعي (۳/ ۹۷).

⁽٣) أضواء البيان (٢/ ٣٥).



- ﴿ فِي دَارِهِمُ جَائِمِينَ ﴾؛ جمع جاثم: هو من لزم مكانه، أي: تجمّد على ما هو عليه، أو لصق بالأرض. وقيل: إن كان واقفاً ظلّ واقفاً، وإن كان قاعداً مات وهو قاعد، وإن كان نائماً مات وهو نائم، أي: على هيئته التي كان عليها قبل الصيحة أو الرجفة (۱).

ب- ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾:

هامدين لا حراك لهم، دمّرت الزلزلة قصورهم، ومساكنهم، وسائر عمرانهم (٢). وهناك فرق بين الجاثي والجاثم، وأمّا الجاثم: فالميّت الذي لا يتحرّك، وهو على حالته، كما كان قبل الموت.

- ﴿ فِي دَارِهِمُ ﴾؛ دارهم أي: بلادهم، وإذا قارنّا هذه مع الآية السابعة والستين في سورة هود، وهي قوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاشِمِينَ ﴾؛ ديارهم في هذه الآية تعني: منازلهم، وأمّا دارهم تعني: بلدهم (٣).
 - ﴿جَاشِمِينَ ﴾؛ أيّ ميتين، هامدين، لا يتحرّ كون(١٠).
- ﴿ فَأَخَذَتُهُمُ ٱلرَّجُفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَنِمِينَ ﴾؛ الرجفة والجثوم، جزاء مقابل العتوق والتبجّح، فالرجفة يُصاحبها الفزع، والجثوم مشهد العجز عن الحراك. وما أجدر العاتي أن يرتجف، وما أجدر المعتدي أن يعجز، جزاءً وفاقاً في المصير في التعبير عن هذا المصير بالتصوير (٥٠).

⁽١) تفسير القرآن الثري الجامع (٤/ ١١٤).

⁽٢) التفسير الموضوعي (٣/ ٩٧).

⁽٣) تفسير القرآن الثري الجامع (٤/ ١١٥).

⁽٤) المصدر السابق نفسه.

⁽٥) في ظلال القرآن (٣/ ١٣١٥)؛ مفهوم الاستكبار والاستضعاف، د. مصطفى أوعيشة، دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠٢٣م، ص٢٧١؛ النظم القرآني في قصة صالح، سعد عبد الرحمن، =

جـ- عذابهم بالصيحة والرجفة والصاعقة:

أطلق القرآن على العذاب الذي وقع بقوم ثمود عدّة أسماء، سمّاه: (صيحة)، و(رجفة)، و(صاعقة).

ولا تعارض بين هذه الأسماء، فكلّ اسم تلحظُ فيه مرحلة من مراحل ذلك العذاب، ودرجة من درجاته، لقد انشقّت بهم الأرض، فسمعوا لها صيحة قويّة وصوتاً عالياً، ثمّ رجفت بهم وحرّكتهم ثمّ صعقتهم وأهلكتهم، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾ [الحجر: ٨٣].

قال السمين الحلبي: الصيحة هي الصوت الشديد. وأصلها تشقيق الصوت، مأخوذ من قولهم: انصاح الخشب والثوب إذ انشقّ فسُمع منه صوت (١١).

لقد انشقت الأرض أمام قوم ثمود، وزُلزلت، وسمعوا لانشقاقها صوتاً رهيباً، وصيحة مدوّية، وهذه الصيحة المدوّية التي سمعوها تنتج عنها رجفة قويّة. قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمُ جَرْثِمِينَ ﴾؛ والرجفة من الرجف، والرجف هو: الحركة والاضطراب الشديد(٢).

وهذه الرجفة وقعت بعد الصيحة، فقوم ثمود سمعوا صيحة قويّة، ثمّ رجفت بهم الأرض بعد ذلك، وتحرّكت، حركة شديدة وزُلزلت زلزالاً كبيراً بعد الصيحة، ثمّ صُعقوا بعد الصيحة والرجفة، فسُمّي العذاب الواقع بهم (الصاعقة)، قال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَالْسَتَحَبُّولُ ٱلْعَمَى عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتُهُمْ صَعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُولْ

⁼ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠١٤م، ص٧٨.

⁽١) عمدة الحفاظ (٢/ ٢١١ - ٢٢٤).

⁽٢) المصدر السابق (١/ ٨١).



يَكُسِبُونَ ﴾ [فصلت: ١٧]. وقال تعالى: ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّى حِينِ ﴿ فَعَتُواْ عَنَ أَمُرِ رَبِهِمْ فَأَخَذَنْهُمُ ٱلصَّبِعَقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿ فَمَا ٱسْتَطَعُواْ مِن قِيامٍ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴾ أَمْرِ رَبِهِمْ فَأَخَذَنْهُمُ ٱلصَّبِعَقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿ فَمَا ٱسْتَطَعُواْ مِن قِيامٍ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴾ [الذاريات: ٤٣-٤٥]. والصاعقة هي: الصوت الشديد من الجو، ثمّ يكون منها نار فقط، أو عذاب أو موت، وهي ذاتها شيء واحد وهذه الأشياء تأثيرات منها (١١).

لقد صعق قوم ثمود بالصاعقة، وكانوا ينظرون وهم مصعوقون عاجزون عن الحركة، أو الهرب، غير قادرين على الانتصار أو دفع العذاب عنهم(٢).

ونجّى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نبيّه صالحاً ومن آمن به، فوقف عَلَيْهِ السَّلَمُ على أطلال قومه وخرائب عمرانهم وجثثهم الهامدة وقال ما ذكره الله في الآية التالية.

٦- قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلتَّصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٩].

أ- ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ ﴾:

الفاء للتعقيب والمباشرة.

ترَك أرضهم مولياً لهم ظهره، وقال لهم ما قاله وهو يخاطبهم، وهم أموات جاثمين، من أسفه عليهم وتحسّره عليهم، لعدم إيمانهم وموتهم، وهم كفّار (٣).

والتولّي: الانصراف عن فراق وغضب، ويُطلق مجازاً على عدم الاكتراث بالشيء، وهو هنا يحتمل أن يكون حقيقة، فيكون المراد به أنّه فارق ديار قومه

⁽١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مكتبة تزار مصطفى الباز، ٢٠٠٩م، ص ٤٨٥.

⁽٢) القصص القرآني (١/ ٢٩٤).

⁽٣) تفسير القرآن الثري الجامع (٤/ ١١٥).

حين علم أنّ العذاب نازل بهم، ويحتمل أن يكون أعرض عن النظر إلى القرية بعد إصابتها بالصاعقة، أو فأعرض عن الحزن عليهم واشتغل بالمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿لَعَلَكَ بَاخِعٌ نَفَسَكَ أَلّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٣](١).

ب- ﴿ وَقَالَ يَعَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةً رَبِّي ﴾:

أكّد مضمون الجملة بـ (قد) والقسم الذي دلّت عليه (اللام)، وذلك للتأكيد على التبرّؤ من التقصير في معالجة كفرهم، ولدفع توهم تقصيره عَلَيْهِ السَّلَامُ في تبليغ الرسالة والنصيحة لهم، ورحمته بهم.

وإضافة الرسالة في قوله تعالى (ربي) تدلّ على الاعتراف بفضل الله عَزَّقِجَلَ، وعنايته الخاصّة بصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن ذلك أنْ نجّا المؤمنين برسالته من العذاب(٢).

جـ- ﴿وَنَصَحْتُ لَكُورُ ﴾:

بتقييد النصيحة بالجار والمجرور (لكم)، يدلّ على تمحيص النصيحة لهم، وأنّ فائدة النصح عائدة إليهم، وأنّه لن يجني من وراء ذلك فائدة لنفسه^(٣). والنصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له^(١).

والنصح: هو إخلاص العمل عن شوائب الفساد، والنصيحة: هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهي عمّا فيه الفساد(٥).

⁽۱) التحرير والتنوير (٤/ ٣١٠).

⁽٢) النظم القرآني في قصة صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ص٧٩.

⁽٣) المصدر السابق نفسه.

⁽٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ(١٣٨).

⁽٥) التعريفات للجرجاني، ص٢٤؛ موسوعة الأخلاق، إشراف علوي القاق (٣/ ٣٩٧).



ومِن أبلغ ما وجهه صالح عَلَيْءالسَّلام إلى قومه النصيحة الصادقة لتوحيد الله، وإفراده بالعبادة، وترك الشرك. ولمّا تبرأ صالح عَلَيْءالسَّلام من التقصير في تبليغ الرسالة، ودفع هذا التوهم بسبب عدم ظهور فائدة ذلك فيهم، واستدرك بقوله:

د- ﴿ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّصِحِينَ ﴾؛

أي: تكرهون الناصحين، فلا تطيعونهم في نصحه؛ لأنّ المحبّ لمن يُحبّ مطيع، فأراد بذلك الكناية عن رفضهم النصيحة(١).

وجاء الفعل: ﴿ يَحُبُّونَ ﴾ مضارعاً لحكاية الحال الماضية، أي: شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم (٢).

وصيغة اسم الفاعل في قوله: ﴿التّصِحِينَ ﴾، فيه مزيد وصف وإشارة إلى أنّه من الثابتين على النصح، والمستمرّين عليه، والمعروفين به، وهم لا يحبّون مَن هذه صفته. وجاءت الجملة عامّة، فلم يقُل: (ولكن لا يحبّوني) لتفيد التعميم، وأنّهم لا يُحبّون كلّ ناصح لهم، سواء كان صالحاً عَيْماً السّلامُ أو غيره. وفي ذلك المبالغة في وصفهم بالإعراض عن النصح، فهم لا يُحبّون النصيحة ولا الناصحين، وفي ذلك غاية الذمّ لهم، إذا قلنا إنّ هذا الخطاب صدر من صالح عَيْماً اللهم بعد هلاك قومه وهذا ما يدلّ عليه التعقيب بـ (الفاء) في قوله: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ ﴾. فإنّ للمفسّرين في ذلك قولين: الأوّل: أنّه عَيْماً السّلامُ قال ذلك تحسّراً على ما فاته من إيمانهم، وتحرّقاً وأسفاً عليهم، فإذا ذكر ذلك الكلام فُرّج عن قلبه وخفّ عليه أثر المصيبة (فيكون لأنشاء التحسّر فيصير من قبل الإنشاء)".

⁽١) النظم القرآني في قصة صالح، ص٧٩.

⁽٢) المصدر السابق نفسه.

⁽٣) المصدر السابق، ص٨٠.

والثاني: أنّ صالحاً عَينَهِ السّكمُ خاطب قومه عمّا خاطب النبيّ صَالَسَهُ عَلَيهِ وَسَلّمَ أهل قليب بدر بعد أن أهلكهم الله إثر غزوة بدر حين أُلقوا في القليب: ناداهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلانُ ابن فلانُ ابن فلانُ ابن فلانٍ أيسُرُّكم أنّكم أطّعتُم الله وأسماء آبائهم، فإنّا قد وجَدْنا ما وعَدنا ربّنا حقًا فهل وجَدْتُم ما وعَد ربّكم حقًا؟» فقال عمر: يا رسولَ الله صَالَسَهُ عَينهو سَلَمَ: «والذي نفس محمّد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»(۱)، فقال قتادة: "أحياهم الله حتّى أسمعهم قوله، توبيخاً وتصغيراً ونقمةً وحسرةً وندماً "(۲).

إنّ مناداة الرسول صَلَّاللَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقتلى قريش بيّنت أمراً عظيماً، وهو أنّهم بدؤوا حياة جديدة، هي حياة البرزخ الخاصّة، وهم فيها يسمعون كلام الأحياء، غير أنّهم لا يُجيبون ولا يتكلّمون، والإيمان بهذه الحياة من عقائد المسلمين، ونعيم القبر وعذابه ثابتان في صِحاح الأحاديث، حتى إنّه صَلَّاللَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرّ بقبرين، وقال: «إنّهما ليُعذّبانِ وما يُعذّبانِ في كبيرٍ» (٣). وذكر أنّ سبب تعذيبهما النمّ بين الناس، وعدم الاستنزاه من البول (٤).

ولا بدّ من التسليم بهذه الحقائق الغيبيّة، بعد أن تحدّث عنها الصادق المصدوق صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وقطع بها القرآن العظيم في تعذيب آل فرعون، قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًا وَعَشِيبًا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوۤا ءَالَ فِرْعَوْتَ أَشَدَّ الْمَدَابِ ﴾ [غافر: ٢٦].

⁽۱) البخاري، رقم (۳۹۷٦)؛ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ۱۹۷۲م، رقم (۲۸۷۳).

⁽٢) البخاري، رقم (٣٩٧٦).

٣) البخاري، رقم (٢١٨).

⁽٤) صور وعبر من الجهاد النبويّ في المدينة، د. محمد فوزي، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٨م، ص٦٤.



وأمّا الشهداء، فقد قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ أَمُوَتَأَّ بَلْ أَحْيَـآ ۚ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩](١).

كانت نصيحة صالح عَلَيْوالسَّلَامُ في حياته صادقة، وأصبحت نموذجاً يُحتذى به على مرّ الأجيال، ولكلّ مصلح وداعية في حرصه على الإخلاص في النصيحة، والعلم بما ينصح به، واللين والرفق في النصيحة.

هذا ما أنهت به سورة الأعراف في حديثها عن قصّة صالح عَلَيُوالسَّلَامُ: ﴿وَنَصَهَحْتُ لَكُورُ وَلَكِنَ لَا يَجْبُونَ النَّصِحِينَ ﴾؛ أي: إنّني جهدت في هدايتكم بكل ما استطعت، وحرصت على ذلك بقولي وفعلي ونيّتي، ولكن لا تحبّون الناصحين، أي: لم تكن سجاياكم وطبائعكم تقبل الحق ولا تُريده، فلهذا صرتم إلى ما أنتم فيه من العذاب الأليم المستمرّ بكم إلى ما لا نهاية، ولا حيلة لي فيما وقع بكم، والذي وجب عليّ من أداء الرسالة قد فعلته، وبلّغتكم إيّاه (٢).

هـ- تعليق الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحَمُ أُللَهُ على قصّة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة الأعراف:

قال رَحْمُهُ أَللَهُ: اعلم أنّ كثيراً من المفسّرين يذكرون في هذه القصّة:

أنّ الناقة قد خرجت من صخرة صمّاء ملساء؛ اقترحوها على صالح، وأنّها تمخّضت تمخّض الحامل، فخرجت الناقة، وهم ينظرون. وأنّ لها فصيلاً حين عقروها رغى ثلاث رغيات، وانفلق له الجبل، ودخل فيه.

⁽۱) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد الصلابي، دار المعرفة، ۲۰۱۰م، ص٥٧٥.

⁽٢) قصص الأنبياء أحداثها وعبرها، محمد الفقى، مكتبة وهبة، ١٩٨٩م، ص٦٠.

وأنّ صالحاً عَيَهِ السَّكَمُ قال لهم: آية نزول العذاب بكم أن تصبحوا في اليوم الأوّل من الأيّام الثلاثة وجوهكم مصفرّة، واليوم الثاني محمرّة، والثالث مسودّة، فكان كما قال، وكلّ هذا من الإسرائيليّات التي لا ينبغي نقلها في تفسير كتاب الله، وليس في القرآن ما يدلّ على شيء منها بوجه من الوجوه.

بل لو كانت صحيحة لذكرها الله تعالى، لأنّ فيها من العجائب والعبر والآيات ما لا يهمله تعالى ويدع ذكره، حتّى يأتي من طريق من لا يوثق بنقله، بل القرآن يُكذّب بعض هذه المذكورات، فإنّ صالحاً قال لهم: ﴿تَمَتّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامِ ﴾ [هود: ٢٥]؛ أي: تنعموا، وتتلذّذوا بهذا الوقت القصير جدّاً، فإنّه ليس لكم من المتاع واللذّة سوى هذا، وأيّ لذة وتمتّع لمن وعدهم نبيّهم وقوع العذاب، وذكر لهم وقوع مُقدّماته، فوقعت يوماً فيوماً، على وجه يعُمّهم ويشملُهم [احمرار وجوههم، واصفرارها واسودادها من العذاب]، هل هذا إلّا مناقض للقرآن ومُضاد له؟ فالقرآن فيه الكفاية والهداية عمّا سواه.

نعم لو صحّ شيء عن رسول الله صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممّا لا يُناقض كتاب الله فعلى الرأس والعين، وهو ما أمر القرآن باتباعه: ﴿ وَمَا ءَاتَكُمُ لُو الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأَنتَهُواً ﴾ [الحشر: ٧].

وقد تقدّم أنّه لا يجوز تفسير كتاب الله بالأخبار الإسرائيليّة، ولو على تجويز الرواية عنهم بالأمور التي لا يجزم كذبها، فإنّ معاني كتاب الله يقينيّة وتلك أمور لا تُصدّق ولا تُكذّب، فلا يُمكن اتّفاقهما(١).

⁽¹⁾ تفسير السعدي (1/ ٧٦٢).



ثانياً: قصّة صالح عَلَيْهِ أَلسَّكُمْ في سورة هود:

نزلت سورة هود في أجواء عصيبة تُحيط بالنبيّ محمد صَّالِللهُ عَلَيْهُ وَسَلَّم، فتولّت تثبيته على المنهج من خلال أُسس مقوّمات ذلك الثبات (۱۱). وتدور السورة حول قضيّة توحيد الله عَرَّفِكَ ، وإفراده بالعبادة، والترغيب في ذلك، والتحذير والترهيب ضدّه الذي هو الشرك وعاقبته، وتحدّي المشركين بهذا القرآن العظيم، وتسلية النبيّ ممّا يُلاقيه منهم بذكر قصص الأنبياء قبله، وكيف كان ردّ أقوامهم عليهم، وبيان عاقبة الفريقين (۱۲).

⁽١) الخارطة القرآنية، مشعل الفلاحي، دار القلم، دمشق، ٢٠٢٢م، ص١٠٣.

⁽٢) النظم القرآني في قصة صالح، ص٨١.

وعرضت سورة هود قصّة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، بعدما ذكرت قصّة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ثمّ هود. ويبتدئ السياق مع الربع الجديد في قصّة ثمود مع النبي صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه الآيات الكريمة العظيمة:

١ - قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَلِحًا ۚ قَالَ يَلْقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَاهِ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَشَا لَمُ مِّنَ الْأَرْضِ وَالسَّعَعْمَرُ مُ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: ٦١].

تفسير الآية الكريمة:

أ- ﴿ وَإِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَلِحًا ﴾:

(الواو): وهي عاطفةُ قصّةٍ على قصّة، ويصحّ أن تكون استئنافيّة.

- ﴿ ثَمُودَ ﴾: هم قوم من العرب، وتحدّثتُ عنهم بالتفصيل في المبحث السابق.

- ﴿ أَخَاهُمْ صَلِحًا ﴾: نبي الله عَلَيْهِ السَّلَمُ ، وهو لأنّه منهم فهو أخوهم؛ أخوة دم وقبيلة ، لا أخوة دين ، وصالح عَلَيْهِ السَّلَمُ من أنبياء العرب، وثمود قبيلة منهم، والعهد موغل آلاف السنين في عمق التاريخ، ومعلوم أنّ كلّ رسول يُرسل في قومه بلغتهم.

ب- ﴿ قَالَ يَنْقُومِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَاهٍ غَيْرُهُۗ ﴿ ﴾:

بداية كلّ نبيّ ورسول أن يُنادي قومه بالتحبُّب إليهم، والانتماء إليهم في النسب والانتماء القبلي، والقرابة الدموية، ومن ثمّ يدعوهم إلى خير وجوهر الدين كلّه، وهو "إفراد الله وحده بالعبادة"(١).

⁽۱) تفسير سورة هو د دراسة تحليليّة - موضوعيّة، الدكتور: أحمد نوفل، جمعيّة المحافظة على القرآن الكريم، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م، ص٨١.



وإن الأنبياء جميعاً يؤكّدون في رسالتهم لأقوامهم على حقيقة التوحيد، ووحدانيّة الله، وتفرّده بالعبادة، والتوجّه إليه في كلّ شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَ (١).

- ﴿ اَعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَه عَيْرُهُ ﴿ ﴾ ؛ هذه الكلمات هي ملخّص الدين كلّه منذ آدم إلى خاتم المرسلين، فلا يعدو الدين هذه الكلمات، أمّا العبادة فهي كلمة جامعة شاملة، تشمل العبادات بمعنى الشعائر وكلّ نشاط الحياة من بعد، ولا تقتصر على هذه الشعائر، وقصرها من تقصير الفهم، فالشعائر مهمّة قطعاً وهي أركان، لكنّ الدين أشمل منها والعبادة بطبيعة الحال كما بينّا.

كلّ إنسان عابد بالضرورة، وبالفطرة، فهو لا ينفكّ عن عبادة، وعن طاعة معبود، فإن استكبر عن عبادة الله، فقد وقع تلقائيّاً في عبادة سواه بما لا يستحقّ العبادة؛ كالشيطان، أو المعبودات التي عُبدت في الأرض من شجر وحجر وبشر وشمس وقمر وأنهار، ومخلوقات ورموز، أو عادات وتقاليد أو قوى متنفّذة، فقد تعدّدت المعبودات وجاء الدين ليردّ الناس إلى العبادة الحق، وجاء الرسل ليردّوا الناس إلى المعبود الحقّ، والمعبود بحقّ هو الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى فلا يستحقّ العبادة إلاّ هو.

ولذا لم يقتصر قول نبي الله صالح عَلَيْهِ الله عَلَيْ على قوله: ﴿ أَعْبُدُواْ اللَّهَ ﴾، وإنَّما أردفه: ﴿ مَا لَكُم مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ﴿ ﴾؛ فلا يُعبد معه أحد ولا يُعبد من دونه أحد كائناً من كان هذا (٢).

إنَّ قوم صالح عَلَيْهِ السَّلَمُ انحرفوا عن التوحيد، وإفراد العبادة لله عَزَّقَ عَلَ، وهو نتيجة العناد، والاستكبار، والظلم، والطغيان المادي، والإسراف، والفساد،

⁽١) الأمة في الرؤية الإسلامية، عمر إسماعيل، دار الكتب القانونية، ٢٠١٣م، ص٩١٠.

⁽٢) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص١٩٨.

ونسوا عبادة الله في خِضَمّ انشغالهم بالمادّيات من قصور في السهول، وبيوت في الجبال، وآلاء الله، ونعمه العظيمة، والتي لم يشكروا الله عليها، فذكّرهم صالح عَلَيْهِ الله بضرورة التوجّه لعبادة الله وحده، وذكّرهم بأمور، ودعاهم إلى الاستغفار، والتوبة، والرجوع إلى الإله الرحيم القريب المجيب.

جـ- ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾:

الإنشاء هو الإيجاد ابتداءً من غير واسطة شيء: أنشأ، أي: أوجد وجوداً ابتداءً من غير الاستعانة بشيء آخر(١٠).

ولقد بين صالح عَلَيْ الله عَنَّ الله عَنَّ الذي دعاهم لتوحيده، وإفراده بالعبودية، هو الذي خلقهم من الأرض بخلق أبينا آدم منها، فالحق سُبْحَانهُ وَتَعَالى قد خلق آدم من نفس مادة الأرض، والأرض مخلوق من مخلوقات الله عَرَّكِلَ، ثمّ بعد ذلك أنشأ الإنسان من التقاء الزوج والزوجة، فمنيُّ الزوج وبويضة الزوجة، يتكوّنان من خلاصة الدم، الذي هو خلاصة الأغذية، وهي تأتي من الأرض، فسواء رمزت لآدم عَلَيْ النائم من الأرض، أو أبقتها في ذرّيته، فكل شيء مردّه إلى الأرض (٢).

إنّ صالح عَلَيْوالسَّلَمُ يُعرّف قومه بما غُرس في فطرتهم، وبما ينبغي أن يكون معلوماً بالضرورة، لأنّ كلّ دين ذكّر بهذه الحقيقة حتى صارت في البديهيات في الأذهان، والمعلومات المتناقلة والمتداولة، ومفردة من مفردات الثقافة، ومكوّناتها.

وللإنشاء من الأرض دلالات، فأوّلاً: قدرته تعالى، ومُلكه من خلقه، وعِلمه، وحكمته، ومشيئته، وربوبيّته، ثمّ حتّى ينقادوا طوعاً، ومحبّة، ورجاءً،

⁽۱) تفسير الشعراوي (۱۱/۲٥۲۸).

⁽٢) المصدر السابق (١١/ ٢٥٢٩).



وخوفاً إلى عبادة الله عَنْهَا، وذكّرهم بأصلهم لكي يتركوا الاستكبار والتمرّد ويتواضعوا لله ربّ العالمين ففيم الاستكبار والذهاب بعيداً فيه؟ ومن التراب بدأتم، وإليه تعودون، ومنه يُخرجكم ربّ العالمين للحساب.

إن الخالق العظيم، هو الذي أوجدكم من العدم، وأمدّكم بالحياة، ومتطلّباتها، فمعرفة أصل الإنسان في خلقه تقوده إلى توحيد الله، وإفراده بالعبوديّة، أيّ حين يتخلّص من الأهواء، والوساوس الشيطانيّة، ويُعطي عقلَه حريّة التأمّل، والتفكّر، والتأمّل على أُسس صحيحة.

د- ﴿وَاسْتَعْمَرَكُم فِيهَا ﴾ السين والتاء في (استعمركم) للمبالغة (١)، وهو لبيان عظم فضل الله عليهم بتمكينهم في الأرض وعمارتهم لها، وفي لفظ: (استعمركم) إيجاز لاحتمالها معاني متعدّدة كلّها صالحة ومناسبة للسياق، فقد جاء معناها: أنّها من العمارة، أي: جعلكم تعمرونها وتستغلّونها وتسكنون فيها، وقيل من العُمُر، أي: أطال أعماركم فيها (٢).

وإن الإيجاز في هذه السورة، وترك التفصيل في بيان كيفيّة استعمار ثمو د الأرض؛ مناسب لترتيب السور، وذكر القصّة، سواء ترتيبها في المصحف أو ترتيبها حسب النزول، فسورة الأعراف التي سبقت سورة هود في المصحف وفي النزول(٣).

⁽۱) تفسير الرازي، التفسير الكبير، الإمام فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م (١٨/ ١٨).

⁽۲) تفسير الزمخشري.، محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٠١٣م (٢/ ١٦١).

⁽٣) البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي بدر الدين، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص١٣٦.

وقد ورد فيها تفصيل لعمارتهم الأرض، حيث بيّنت أنّهم كانوا يتّخذون من سهولها قصوراً وينحتون الجبال بيوتاً، فناسب الإيجاز هنا، لورود ذلك فيما سبق(١).

- ﴿وَالسَّعَمْرَكُرُ فِيهَا ﴾؛ ساعة ترى الألف والسين والتاء، فاعلم أنّها للطلب، وهكذا يكون معنى الكلمة (استعمر)، هو طلب التعمير، ومن الخطأ الشائع تسمية البلاد التي تحتل بلاد أُخرى: دولة الاستعمار (٢).

يقول الشيخ محمّد متولّي الشعراوي رَحْمَهُ اللهُ: إنّ ذلك خطأ، لأنّهم كانوا دول استعمار، فهذا يعني أنّهم يرغبون في عمارة الأرض، ولكنّهم في حقيقة الأمر يخربون في الأرض، ولذلك كان يجب أن تُسمّى (دول الاستخراب)(٣).

ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور رَحْمَهُ اللّهُ: والاستعمار: الإعمار، أي: جعلكم عامرينها، فالسين والتاء للمبالغة كالتي في (استبقى) و(استفاق)، ومعنى الإعمار أنّهم جعلوا الأرض عامرة بالبناء والغرس والزرع، لأنّ ذلك يُعدّ تعميراً للأرض (٤).

وقال إلكيا الهرّاسي رَحْمَهُ اللّهُ في قول تعالى ﴿وَالسَّعَمْرَكُمْ فِيهَا ﴾؛ الآية تدلّ على وجوب عمارة الأرض، فإنّ الاستعمار طلب العمارة، والطلب المطلق من الله للوجوب (٥).

وذكر الشيخ علّال الفاسي: إن المقصد العام للشريعة الإسلاميّة، هو: عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلّفين فيها،

⁽١) النظم القرآني في قصة صالح، ص٨٧.

⁽۲) تفسير الشعراوي (۱۱/ ۲۵۲۹).

⁽٣) المصدر السابق (١١/ ٢٥٢٩).

⁽٤) التحرير والتنوير (٥/٤٢٥).

⁽٥) أحكام القرآن، إلكيا الهرّاسي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م (٢/٢٢).



وقيامهم بما كُلّفوا به من عدل واستقامة، ومن صلاح في العقل وفي العمل، وإصلاح في الأرض، واستنباط لخيراتها، وتدبير لمنافع الجميع(١).

وعلَّق الشيخ الدكتور محي الدين القره داغي -حفظه الله- على كلام الشيخ علال الفاسي رَحَمُ اللهُ بقوله: ويدلِّ على هذه الأهميَّة قول الحبيب المصطفى صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَالَةً وَلَا الحبيب المصطفى صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَالَةً وَلَا العبيلة فليغرسها (۱)، وفي رواية أخرى بلفظ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليفعل (۱). وكذلك الأحاديث الكثيرة الدالة على إحياء الموات والزرع والغراس ونحوهما.

ويرتبط بالعمران أدواته من الصناعة والتجارة والزراعة ونحوها التي وردت فيها مئات الآيات الكريمة والسنة المطهّرة(٤).

إنّ نبيّ الله صالح عَلَيْوالسَّكم كانت المنظومة المقاصديّة حاضرة في دعوته لتحقيق كفّتي الميزان في التديّن والعمران، فدعوة الأنبياء والمرسلين ومنهم صالح عَلَيْوالسَّكم من مقاصدها، صلاح الإنسان في داخله بالتقديس والتسبيح وتحقيق التوحيد وإفراد العبادة لله والتعبّد لله على منهجه، والاعتقاد الذي جاءت به رسله، وعمارة الكون لتحقيق العمران والاستخلاف. ومن الكتب النافعة في تحقيق هذه

⁽١) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ٢٠١٠م، ص٤٦.

⁽٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب أرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م (١٢٩٠٢)، إسناده صحيح.

⁽٣) رواه أحمد، ١٢٩٨١، صححه الكثيرون.

⁽٤) الارتقاء من مقاصد الشريعة إلى المنظومة المقاصديّة لتحقيق كفتي الميزان (التدين والعمران)، د. علي محي الدين القره داغي، دار الأصالة، ٢٠٢٤م، ص٣٣.

المقاصد: (كتاب شيخنا القره داغي -حفظه الله-: الارتقاء لتحقيق كفّتَي الميزان: التديّن والعمران).

في حديث سيّدنا صالح عَلَيْءِالسَّلَامُ لقومه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُمُ مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَالسَّعَمْرَكُمْ فِيهَا﴾، يدلّ على أنّ الله يُريد عمارة الأرض، لا التخلّي والتبتّل(١).

وبعد أن ذكّرهم صالح عَلَيْهِ الله عليهم وإحسانه إليهم، دعاهم مُرغّباً لهم إلى الاستغفار والتوبة ممّا كانوا يفعلونه من الشرك والمعاصي قائلاً لهم (٢).

هـ - ﴿ فَأَسۡ تَغۡفِرُوهُ ثُرَّ تُوبُوۤا ۚ إِلَيْهِ ﴾:

(الفاء): هنا للتفريع، لأنّ ما تقدّم من الإحسان، يوجب الاستغفار والتوبة(٣).

وقدّم الاستغفار على التوبة لعدّة أسباب:

الأوّل: الترتيب الزمني، لتعلّق الاستغفار بما مضى والتوبة بما يُستقبل.

والثاني: للتقديم الرُّتبي، حيث إنَّ التخلية مقدَّمة على التحليَّة، أي: استغفروه من الشرك ثمّ ارجعوا إليه بالطاعة.

والثالث: أنّ طلب السلامة مُقدّم على الغنيمة(٤).

وإليك شيء من التفضيل فيما يتعلّق بالاستغفار والتوبة:

⁽١) التفسير المحرر للقرآن الكريم، مؤسسة الدرر السنية (١٠).

⁽٢) النظم القرآني في قصة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ص٨٧.

⁽٣) روح المعاني، الألوسي (٦/ ٢٨٧).

⁽٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، أبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ، ص٧٨٠.



- ﴿ فَأَسَتَغْفِرُوهُ ﴾؛ قدّم الاستغفار على التوبة، لأنّ الاستغفار إنّما يكون من الذنوب التي فعلها العبد، وأمّا التوبة فتالية له. ومن شروطها: عدم العودة على ما أسلف من المعصبة.

وجاء في (البحر المحيط): أمر بالاستغفار من الذنوب، ومن ثمّ التوبة، وهما معنيان متباينان، لأنّ الاستغفار طلب المغفرة، وهي الستر، والمعنى لا يبقى له تبعه، والتوبة؛ الانسلاخ من المعاصي، والندم على ما طلب منه، والعزم على عدم العودة إليها(١).

وجاء في تفسير الشيخ الرازي رَحْمَا الله في فائدة هذا الترتيب أنّ المراد استغفروا من سالف الذنوب، ثمّ توبوا إليه من المستأنف.

والاستغفار طلب من الله لإزالة ما لا ينبغي. والتوبة سعي من الإنسان في إزالة ما لا ينبغي، فقدّم الاستغفار ليدلّ على أنّ المرء يجب ألا يطلب الشيء إلّا من مولاه، فإنّه هو الذي يَقدر على تحصيله، ثم بعد الاستغفار ذكر التوبة لأنّه عمل يأتي به الإنسان ويتوسّل به إلى دفع المكروه. والاستعانة بفضل الله مقدَّمة على الاستعانة بسعى النفس(٢).

﴿ فَٱسۡتَغْفِرُوهُ ﴾؛ أي: اسألوه مغفرة ما مضى من ذنوبكم.

﴿ وَأَوْ اللَّهِ اللَّهِ اللهِ اللهِ في المستقبل بالندم على ما فات، والإقلاع في المستقبل بالندم على ما فات، والإقلاع في الحال والعزم على عدم العودة في المستقبل، فلا يُقال: إنّ الاستغفار هو التوبة، وإنما بينهما اختلاف وتغاير.

⁽۱) البحر المحيط في التفسير، محمد يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ (٥/ ٢٠١).

⁽۲) تفسير الرازي (۱۸/ ۳۱۵).

وأصل معنى الاستغفار: طلب الغفر، أي: الستر، ومعنى التوبة: الرجوع، ويُطلق على الأوّل طلب ستر الذنب من الله تعالى والعفو عنه، والثاني على الندم عليه مع العزم على عدم العودة إليه. والقلب يميل فيه إلى حمل الأمر الثاني على الإخلاص في التوبة والاستمرار عليها(١).

وقال الطاهر بن عاشور رَحْمَهُ اللهُ: والاستغفار طلب المغفرة للذنب، أي: طلب عدم المؤاخذة بما مضى منهم من الشرك، لأنّ استغفار الله يستلزم الاعتراف بوجوده، ويستلزم اعتراف المستغفر بذنب في جانبه (٢). ومن أعظم ذنوبه عند دعوة صالح عَيْدًا للهُمَ الشرك بالله عَرَقِبَلً.

﴿ ثُمُّ تُوبُواْ إِلَيْهِ ﴾؛ أي: يترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة، ويتبع ذلك التوبة النصوح وهي توثيق العزم على ترك الذنب لتورث صاحبها الفلاح عاجلاً وآجلاً.

إنّ صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ دعا قومه إلى التوبة، والله عَنَّهَ عَلَى أَسمائه (التواب)، والتوبة من شرعة الله الخالدة، وهي من الأحكام الشرعيّة للإنسان طوال الأزمان والدهور والعصور، ودعا إليها الأنبياء والرسل.

إنّ الاستغفار والتوبة إلى الله، حثّ النبي صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الالتزام بهما، وقد كان رسول الله صَلَّاللَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدوة للأمّة، فالتزم الاستغفار آناء الليل والنهار، وبيّن فضل الاستغفار، ودعا المسلمين إلى طلبه قولاً وفعلاً، لمنافعه الكثيرة في الدنيا

⁽۱) التفسير الموضوعي (٣/ ٢١٤).

⁽٢) التحرير والتنوير (٥/٥٥٥).



والآخرة(١). وكان رسول الله صَالَّاتَهُ عَلَيْهِ وَسَالَّمَ هو الذي غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر: (يستغفر كل يوم مئة مرّة)(٢).

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كلّ ضيق مخرجاً ومن كلّ همّ فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب »(٣). وكان رسول الله صَمَّالْتَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستغفر الله، ويتوب إليه يوميّاً، فقال عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: "إنَّى أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرّة»(٤).

- ﴿ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ ﴾: أي: بعد استغفاركم توبوا إليه واستخدم هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حرف الجر (إلى) وبعده الضمير العائد إلى الرب الذي يربيكم ويزكيكم ويرزقكم سبحانه. و(إلى) تُشعر برحلة الإياب بعد الغياب عن الرب التوّاب. فصالح عَلَيْهِ السَّلامُ دعا قومه إلى الغفار والتوَّاب، والرب الجليل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى القريب المجيب.

﴿ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ ﴾؛ أي: توبوا إلى التواب، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ هو التواب على من تاب إليه من عباده المذنبين، التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه، وتوبة الله على عبده هو أن يرزقه ذلك، ويؤوب من غضبه عليه إلى الرضاعنه، ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه(٥).

⁽١) شرعة الله للأنبياء، ص١٠٤.

⁽٢) رواه الدارمي، مسند الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارامي السمر قندي، دار التأصيل، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م، رقائق (١٥)؛ مستند أحمد (٤/ ٢١١).

⁽٣) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، عزة الدعاس، دار الحديث، حمص، سوريا، ط١، ١٣٨٨ هـ (١/ ٣٤٨)؛ ابن ماجه، رقم (٣٨١٩).

⁽٤) البخاري، باب الاستغفار (٧/ ١٤٥)؛ التوبة في ضوء القرآن الكريم، آمال بنت صالح نصير، دار الأندلس الخضراء، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص٨٣.

⁽٥) تفسير سورة هود، ص٢٠٣.

فالله عَرَّبَكَا: هو التائب على التائبين أو لا بتوفيقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه، وهو التائب على التائبين بعد توبتهم قبولاً لهم وعفواً عن خطاياهم (١). ووصف الله سبحانه نفسه بالتواب لكثرة من يتوب عليه (٢).

- تعريف التوبة:

قال القرطبي رَحْمَهُ أَلَدَهُ في تعريفه للتوبة: هي الندم من القلب، وترك المعصية في الحال، والعزم على ألا يعود إلى مثلها، وأن يكون ذلك حياءً من الله (٣).

- قال ابن كثير رَحْمَهُ اللهُ: التوبة النصوح: هو أن يُقلع عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي، ويعزم على ألّا يفعل في المستقبل، ثمّ إن كان الحقّ لآدميّ ردّه إليه بطريقه (٤).
- وقال الراغب الأصفهاني رَحْمَهُ اللهُ: التوبة ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كملت شرائط التوبة (٥٠).
- ولقد عرّفها الإمام ابن القيم الجوزيّة، فقال: لا يكون -الإنسان- بمجرّد الإقلاع والعزم والندم تائباً، حتّى يوجد منه العزم الجازم على فعل المأمور والإتيان به، وهذا حقيقة التوبة، وهي اسم لمجموع الأمرين... ولهذا علّق سبحانه الفلاح المطلق على فعل المأمور وترك المحظور بها، فقال: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعًا أَيّتُهَ

⁽١) المصدر السابق نفسه.

⁽۲) تفسير السعدي (۵/ ۳۰۰).

⁽٣) ولله الأسماء الحسني، عبد العزيز الجليل، ٢٠١٥م، ص٥٨٢.

⁽٤) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٩٢).

⁽٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مكتبة تزار مصطفى الباز، ٢٠٠٩م، ص٧٦.



ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُقْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١] فكلّ تائب مفلح، ولا يكون مفلحاً إلّا من فعل ما أمر به، وترك ما نُهي عنه، قال تعالى: ﴿وَمَن لَمْ يَتُبُ فَأُوْلَتِكَ هُمُ ٱلظّلِمُونَ ﴾ الحجرات: ١١]. وتارك المأمور ظالم، كما أن فاعل المحظور ظالم، وزوال اسم الظلم عنه إنّما يكون بالتوبة الجامعة للأمرين (١٠).

فالإمام ابن القيم يرى أنّ التوبة لا يكفي فيها ترك المنهي عنه، بل لا بد من العزم الأكيد على فعل المأمورات والإتيان بها(٢).

- وعرفها الإمام الغزالي رَحْمَهُ اللهُ: أنّها عبارة عن معنى ينتظم في ثلاثة أمور مرتّبة: علم وحال وعمل، فالعلم هو معرفة الذنوب وعظم خطرها، والحال هو تألّم النفس من ذلك الضرر وهو ما يسمّى بالندم، والعمل هو ترك الذنب وتدارك ما يمكن تداركه في المستقبل (٣).

ممّا سبق نستنتج أنّ التوبة هي معرفة العبد لقبح الذنوب وضررها عليه، فيقلع عنها مخلصاً في إقلاعه عن الذنب لله تعالى، نادماً على ما بدر منه في الماضي من المعاصي قصداً وجهلاً، عازماً أكيداً على عدم العودة إليها في المستقبل، والقيام بفعل الطاعات والحسنات، متحلّلاً من حقوق العباد بردّها إليهم أو محصّلاً البراءة منهم(٤).

⁽۱) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفضي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ(١/ ٣٠٥-٣٠٦).

⁽٢) التوبة في ضوء القرآن الكريم، آمال بنت صالح، ص٢١.

⁽٣) إحياء علوم الدين لحجة الإسلام، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ (٤/٣) بتصرّف.

⁽٤) التوبة في ضوء القرآن الكريم، ص٢١.

و - ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾:

وابتدأ الختام بأن المؤكدة، ثمّ كلمة الرب المفيدة التربية خاصة وأنّ الآية كلّها في الخلق والتعهّد فناسب أن يختمها بذكر الربّ وأضاف الرب إلى ياء المتكلّم ليشعر بقرب المولى سبحانه من عباده، وابتدأ الحديث بنفسه لتُنقل المشاعر إليهم (۱). وكأنّهم استعظموا أن يكون جرمهم ممّا يقبل الاستغفار منه، فأجيبوا بأنّ الله قريب مجيب (۱).

وفي الآية دلالة على كمال يقين صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ بما تضمّنه الجملة من أنَّ الله قريب مجيب، وهذا يدلَّ على كمال علمه بربّه (٣).

والتعبير بالربوبية في قوله (ربي) مناسب لمعنى الجملة، لأنّ لفظ الرب مُشعر بالعناية والرعاية والحفظ للمربوب، وهذا يستدعي أن يكون قريباً مجيباً. وفي إضافته لياء المتكلّم إشارة إلى أنّ صالحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ أعلم بالله من غيره فهو ربّه، وفيه أيضاً تعريض للمخاطبين بأنّ آلهتهم التي يدعون لا تسمع ولا تُجيب(٤).

- ﴿قَرِيبُ ﴾؛ أقرب ممّا يتصوّر كلّ مخلوق، فهو يرعاك في النفس الذي يتردّد في صدرك، وهو الذي يرعى التوازن الدقيق في جسمك، فلو زاد أي عنصر أو نقص في هذا البدن الاختلّ وجودك، فمن يرعى هذه الدقائق؟ والكبد والكلى والرئتان ودورة الدم والدماغ المسلطة على كلّ. هذه تعمل بأمر من؟ أليس بأمره سبحانه وكلّها تجري وتقوم بوظائفها، أفَقُربُ أقربُ من هذا القرب؟

⁽١) تفسير سورة هود، أحمد نوفل، ص٢٣٤.

⁽٢) التحرير والتنوير (٥/٤٢٥).

⁽٣) النظم القرآني في قصة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ص٨٨.

⁽٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٦م (٩/ ٣١٩).



هو معك في متقلّبك وخطراتك وحركاتك وسكناتك ونواياك وعزماتك وإراداتك، وهو معك في كلّ لمحة عين وهمسة فم، وكلّ ما تسمعه(١). وورد اسمه سبحانه القريب في القرآن ثلاث مرّات:

- مرّة مفرداً، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِي فَإِنِي قَرِيبٌ أَجِيبُ أَجِيبُ وَعُوةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَـانٍ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

- ومرّة مُقترناً باسمه سبحانه (السميع)، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَيِمَا يُوحِىۤ إِلَىٰٓ رَبِّيۡ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [سبأ: ٥٠].

- ومرّة مُقترناً باسمه سبحانه (المجيب) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّ قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (٢). وهو القريب من جميع خلقه، فهو المحيط بهم والعليم بحالهم، وهو القريب من المؤمنين بنصره لهم وإجابة دعائهم وحفظهم (٣).

والآية الكريمة تُشير إلى أُنس صالح عَلَيْ السَّكَمُ بربّه وقُربه منه، واطمئنانه وحسن ظنّه ومحبّته، وقوّة رجائه في خالقه سُبْحَانهُ وَتَعَالَى. وعلّمنا ربّنا في كتابه على لسان صالح عَلَيْ السَمه (القريب) الموغل في الجمال المكلّل بالبهاء ففي الوقت الذي يُريدك خالقك أن تعلم أنّه على العرش استوى، يُريدك أن تتيقّن أنّه أقرب إليك من حبل الوريد، يسمع كلماتك، ويرى أفعالك، ولا تخفى عليه منك خافية.

دخل الرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسجد، فإذا بصحابته الكرام يدعون ربَّهم بأصوات جهيرة مرتفعة، فقال: «اربعوا على أنفسكم، فإنّكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً،

⁽۱) تفسير سورة هود، ص٢٣٤.

⁽٢) ولله الأسماء الحسني، عبد العزيز ناصر، ص٦٤٦.

⁽٣) هذا ربى، خالد الخليوي، دار الحضارة، ط١، ٢٠١٩م، ص١٢٤.

إنّكم تدعون سميعاً قريباً»(١). وبمجرّد أن ينتهي العبد من الدعاء، إذ بالإجابة تلوح، لأنّه قريب (٢). وسرعة الإجابة في الدعاء، ولو كان في السرّ، دليل نفاذ علمه إلى البواطن وقدرته اللامتناهية في إيصال كلّ ما يطلبه الخلق، فهو قريب منهم بقدرته (٣).

وقال الشيخ السعدي رَحَمَا ألله: القريب: هو القريب من كلّ أحد. وقربه نوعان:

- قرب عام من كل أحد بعلمه وخبرته ومراقبته ومشاهدته وإحاطته، وهو أقرب من الإنسان من حبل الوريد.

- وقرب خاص من عابديه وسائليه، ومُجيبيه، وهو قرب يقتضي المحبّة، والنُّصرة، والتأييد في الحركات، والسكنات، والإجابة للداعين والقبول والإثابة، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَالسَّجُدُ وَاقْتَرَب ﴾ [العلق: ١٩]. وفي قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِي فَإِنِي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعُوةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

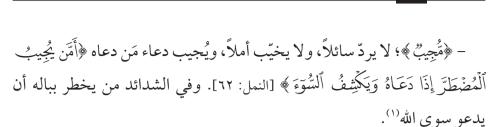
وهذا النوع قرب يقتضي ألطافه تعالى، وإجابته لدعواهم وتحقيقه لمراداتهم، ولهذا يُقرن باسمه (القريب) اسمه (المجيب). وهذا القرب قرب لا تدركه حقيقة، وإنّما تعلم آثاره من لطفه بعبده، وعنايته به وتوفيقه، وتسديده، ومن آثار الإجابة للداعين والإثابة للعابدين (٤).

⁽۱) البخاري، رقم (۲۰۰۵)، مسلم، رقم (۲۷۰٤).

⁽٢) لأنك الله، علي بن جابر الفيفي، دار الحضارة، ٢٠١٦م، ص١٧٢.

⁽٣) التفكر في الأسماء عن طريق العلماء، د. ضياء الدين الجماس، دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٠م، ص٤٦٨.

⁽٤) الحق الواضح المبين، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مطبوع ضمن الكاملة في مؤلفات الشيخ السعدي، جزء العقيدة الإسلامية، مركز صالح بن صالح، ص ٦٤.



وورد اسمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (المجيب) مرّة واحدة في القرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَالْسَتَغْفِرُوهُ ثُرُّ تُوبُواْ إِلَيْهِ ۚ إِلَى رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾. وورد بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدُ نَادَنْنَا نُوحٌ فَلَيْغُمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴾ [الصافات: ٧٥].

وقال في اللسان: وفي أسماء الله تعالى: المجيب، وهو الذي يُقابل الدعاء والسؤال بالعطاء والقبول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (٢٠).

ويقول الشيخ السعدي رَحْمَهُ اللَّهُ: من أسمائه المجيب لدعوة الداعين، وسؤال السائلين، وعبادة المستجيبين، وإجابته سبحانه نوعان:

- إجابة عامّة لكلّ من دعاه: دعاء عبادة أو دعاء مسألة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ اَدْعُونِى ٓ أَسۡتَجِبُ لَكُمُ ﴾ [غافر: ٦٠]. فدعاء المسألة يقول العبد: اللهم أعطني كذا، أو اللهم ادفع عني كذا، فهذا يقع من البرّ والفاجر، ويستجيب الله فيه لكلّ مَن دعاه بحسب الحالة المقتضية وبحسب ما تقتضيه حكمته، وهذا يُستدلّ به على كرم المولى، وشمول إحسانه للبرّ والفاجر، ولا يدلّ بمجرّده على حسن حال الداعي الذي أُجيبت دعوتُه إن لم يقترن بذلك ما يدلّ عليه وعلى صدقه وتعيّن الحقّ معه، كسؤال الأنبياء ودعائهم لقومهم وعلى قومهم فيجيبه الله، فإنّه يدلّ على صدقهم صدقهم فيجيبه الله، فإنّه يدلّ على صدقهم فيما أخبروا به وكرامتهم على ربّهم، ولهذا كان النبيّ صَمَّاللَّهُ عَلَيْهُ وَسَلَّمَ كثيراً

⁽۱) تفسير سورة هود، ص٢٣٤.

⁽٢) لسان العرب (١/٢١٦).

ما يدعو بدعاء يشاهد المسلمون وغيرهم إجابته، وذلك من دلائل نبوّته وآيات صدقه، وكذلك ما يذكرونه عن كثير من أولياء الله من إجابة الدعوات فإنّه من أدلّة كراماتهم على الله.

- وأمّا الإجابة الخاصّة فلها أسباب عديدة، منها: دعوة المضطر الذي وقع في شدّة وكربة عظيمة، فإنّ الله يجيب دعوته، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل: ٦٦]. وسبب ذلك الافتقار إلى الله، وقوّة الانكسار، وانقطاع تعلّقه بالمخلوقين، ولسعة رحمة الله التي يشمل بها الخلق بحسب حاجتهم إليها فكيف بمن اضطرّ إليها.

ومن أسباب الإجابة طول السفر، والتوسّل إلى الله بأحبّ الوسائل إليه من أسمائه وصفاته ونعمه، وكذلك دعوة المريض والمظلوم والصائم، والوالد على ولده، أولى في الأوقات والأحوال الشريفة (١١).

إنّ صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ دعا قومه إلى الاستغفار والتوبة، ورغبهم في اللجوء إلى الله، وبيّن لهم بأنّ ربّهم قريب مُجيب فما كان جواب قومه إلّا الإنكار والتوبيخ والصد والرد، فقالوا، ما ذكره الله تعالى في الآية الآتية.

٢ - قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَصَلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوَّا قَبْلَ هَذَاً أَتَنْهَننَا أَن نَعْبُدُ مَا يَعْبُدُ
 ءَابَآؤُنا وَإِنّنَا لَفِى شَكِّ مِمّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبِ ﴾ [هود: ٦٢].

في هذه الآية إجمال وتلخيص لدعوة نبي الله صالح عَلَيْوَالسَّلَامُ لقومه، وفي هذه الآية ردُّ من القوم على دعوته، وهو الردِّ المتوقّع، رفض دعوة نبيّهم لهم إفراد الله

⁽١) الحق الواضح المبين، ص٦٥.



وحده بالعبادة، ودعواهم في ردّ دعوة النبيّ هي دعوى الأقوام: الآبائيّة، أي: أنّ دعوة النبيّ تخالف تقاليد الآباء وهي في نظرهم مقدّسة.

أ- ﴿قَالُواْ يَصَلِحُ ﴾:

قوم صالح يُنادونه باسمه لا للتقرّب والتودّد، وإنّما للتعوّد أي مازالوا يعاملونه كما لو كان قبل نبوّته.

ب- ﴿قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَاذَا ﴾:

- ﴿قَدُ للتحقيق، ﴿ كُنتَ ﴾: على اعتبار ما كان أو لرسوخ الصفة(١)، ﴿مَرَجُوَّا ﴾ كان لنا رجاء فيك، وكنت مرجوًا فينا لعلمك وعقلك وصدقك وحسن تدبيرك(٢).

أي: كانت تلوح فيك مخايل الخير وأمارات الرشد، فكنّا نرجوك لننتفع بك، وتكون مشاوراً في الأمور ومسترشداً في التدابير، فلمّا نطقتَ بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك، وعلمنا أن لا خير فيك^(٣). وقدّم الجار والمجرور ﴿فِينَا ﴾ على ﴿مَرْجُوّاً ﴾؛ لأنّ الكلام يتعلّق بهم، فقدّم ضميرهم ﴿فِينَا ﴾.

جـ- ﴿ أَتَنْهَنَآ أَن نَّعُبُدَ مَا يَعَبُدُ ءَابَآ وُنَا ﴾:

بزعمهم أنّ هذا أعظم من القدح في صالح، كيف قدح في عقولهم وعقول آبائهم الضالين، وكيف ينهاهم عن عبادة من لا ينفع ولا يضرّ ولا يُغني شيئاً، من الأحجار والأشجار ونحوها، وأمرهم بإخلاص الدين لله ربّهم الذي لم تزل نعمه عليهم

⁽۱) تفسير سورة هو د، ص ٢٣٧-٢٣٧.

⁽٢) أنبياء الله، أحمد بهجت، دار الشروق، ٢٠٠٦م، ص٨٨.

⁽٣) على طريق التفسير البياني، فاضل السامرائي، دار الفكر، عمان، الأردن، طبعة ٢٠١٠م (٣/ ٢٥٥).

تترى، وإحسانه عليهم دائماً ينزل، الذي ما بهم من نعمة إلّا منه، ولا يدفع عنهم السيّئات إلّا هو(١).

- ﴿ فَذَ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبُلَ هَلاَ آ ﴾؛ تذكّرنا بما كان.
 - د- ﴿ وَإِنَّنَا لَفِي شَكِّ مِّمَّا تَدْعُونَاۤ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾:
- ﴿وَإِنَّنَا﴾؛ الواو للعطف، أو الاستئناف، أو الحال، تصلح لكلِّ ذلك ولكلُّ و
- ﴿لَفِي شَكِّ ﴾؛ اللام في خبر إنّ هي المزحلقة، ووظيفتها التوكيد، وهي تنبّئ عمّا يعتمل في صدورهم من شكّ وارتياب.
 - ﴿لَفِي شَكِّ ﴾؛ تفيد الاستغراق وتنكير كلمة (شك)، لتفيد التكثير.
- ﴿مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾؛ من الذي تدعونا، أي: من دعوتك إيّانا لعبادة الله وحده، ولعمارة الأرض والاستغفار.
- ﴿مُرِيبٍ ﴾؛ والريب: الشك، كأنّهم يقولون شكّ يستدعي شكّاً آخر. وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها(٢).
- ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكِّ مِّمَّا تَدَعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾؛ الشكّ هو أن يبقى الإنسان متوقّفاً بين النفي والإثبات. والمريب هو الذي يظنّ به السوء فقوله: ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكِّ ﴾؛ يعني به أنّه لم يترجّح في اعتقادهم صحّة قوله.

⁽۱) تفسير السعدي (۲/ ١٦٥).

⁽۲) تفسير سورة هو د، ص ۲۳۸.



وقوله: ﴿مُرِيبٍ﴾، يعني أنّه ترجّح في اعتقادهم فساد قوله، وهذه مبالغة في تزييف كلامه(١).

إنّ الآية الكريمة تبيّن لنا أن الآبائيّة والتقليد آفة خطيرة، وحتّى عند كثيرين ممّن يتكلمون عن التقليد وينعَون على فاعليه، وهم غارقون فيه حتّى الأذقان، وقد بلغ بالناس التحجّر أن يعجبوا من الحقّ المبين، وأن يعلّلوا العقائد بفعل الآباء. والبشرُ طبيعة واحدة ورواية واحدة تتكرّر على مدى العصور والدهور(٢).

وفي قصة إسلام خالد بن الوليد رَحَوَلِكُ عبرة، ومعلوم أنّ خالداً تأخّر إسلامه إلى آخر السنة السادسة من الهجرة، فقال له بعضهم بعد أن أسلم و دخل في دين الله بَالله وسمتك، ما الذي أخّر إسلامك؟ لماذا تَاخر إسلامك؟ سبقك الناس بعشرين سنة إلى الإسلام، المهاجرون الأوائل: أبو بكر، عمر، عثمان، علي، طلحة، الزبير، عبد الرحمن بن عوف، أبو عبيدة، سعيد بن زيد، بلال، صهيب، عبد الله بن مسعود، هؤلاء أسلموا قبل خالد بعشرين سنة، عشرون سنة على الكفر لم تدخل في الإسلام، ما الذي أخر إسلامك يا خالد؟

فقال: قد كان يسوسنا رجال، وكنّا نرى أنّ عقولهم تزِنُ الجبال^(٣)، فكنّا تبعاً، فلمّا ماتوا ورجع الناس إلينا، فكّرنا في الأمر، فعرفنا الحقّ فاتّبعناه.

إذن في السابق ما كان يفكّر، ما كان يسمح لنفسه أبداً أن يُفكّر؛ اتّباعاً للآباء، اتّباعاً للأجداد، اتّباعاً للكبراء، فلمّا رجع الأمر إليه وصار من كبار قريش، فكّر،

⁽۱) تفسير الرازي (٦/ ٣٦٨).

⁽۲) تفسیر سورة هود، ص۲۳۹.

⁽٣) فبهداهم اقتده، قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء عَلَيْهِ وَالسَّلَامُ، عثمان الخميس، دار إيلاف الدولية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص٩٨.

فلمّا فكّر عرف الحقّ واتبعه، فقد أراد الله له الهداية رَضَالِيَهُ عَنهُ، كما أنّ قوم صالح عَلَيْهَ السَّالَمُ أُصيبوا بالاستكبار والعناد والجحود، مع تقاليد الآباء بطريقة بعيدة عن العقل والحكمة والمنطق.

إِنَّ العقائد الباطلة الراسخة المأخوذة عمّن يُحسن بهم الظنّ -من آباء أو غيرهم - من أكبر الموانع لقبول الحقّ، وكذلك قالت جميع الأمم المكذّبة رادّين دعوة الرسل: ﴿إِنَّا وَجَدُنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٓ ءَاثَرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]؛ وهذا هو سبيل أهل الباطل في كلّ زمان، يتعلّقون بأوهى الحجج لتبرير مسلكهم في اتّباع الآباء(۱).

رفضت ثمودُ دعوة صالح عَلَيَّ السَّلَمُ، لحجج واهية، وبتقليد أعمى استحكم على النفوس والعقول، وهذا التقليد الأعمى هو الذي أضرّ بالكثيرين، ولذلك تأتي الآيات كثيراً في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

- ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢].
 - ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [السجدة: ٤].
 - ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٠].
- ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].
- وهكذا تأتى الآيات: أبصر، تذكّر، فكّر، أعقل (٢).

⁽۱) الدروس المستفادة من العقوبات الإلهية في القرآن الكريم، عبد الهادي الشمراني، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ص٢٣٤.

⁽۲) فبهداهم اقتده، ص۱۰۱.



وقد ردّ سيدنا صالح عَلَيْهِ السَّلامُ على قومه عندما قالوا له: ما زلنا شاكّين فيما دعوتنا إليه شكًّا مؤثّراً في قلوبنا الريب، بزعمهم أنّهم لو علموا صحّة ما دعاهم إليه لاتّبعوه؛ هم كذبة في ذلك، ولهذا بيّن لهم كذبهم (١)، في الآية الآتية:

٣- قوله تعالى: ﴿قَالَ يَكَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّ وَءَاتَـٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُفِ مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ [هود: ٦٣].

بعد أن قالوا لنبيّهم في شكّ مما يدعوهم إليه، ناقشهم صالح عَلَيْوَالسَّلامُ بأمرين: أمر عقليّ منطقيّ، وأمر قائم على الحجّة الملزمة.

فأمّا الأمر العقليّ المنطقيّ فإنّه قال لهم:

أ- ﴿قَالَ يَنْقُومِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّ وَءَاتَكْنِي مِنْهُ رَحْمَةً ﴾:

- ﴿ قَالَ يَنَقَوْمِ ﴾؛ قال صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا قوم؛ نداء فيه تودَّد وحنان ولطف ورفق وتقرّب إليهم. وبدأ جوابه بالنداء، لقصد التنبيه إلى ما سيقوله اهتماماً بشأنه، وإيثار مناداتهم بلفظ (قوم)، لاستمالتهم؛ لأنَّه يدلُّ على إخلاصه في نصحه لهم، وكمال بشفقته عليهم، وتذكيرهم بأنّه منهم ولا يريد لهم إلّا خيراً.

- ﴿أَرَءَيْتُمْ ﴾؛ الهمزة همزة استفهام تعجّب وتقرير. والرؤية رؤية قلبيّة، أو فكريّة، بمعنى العلم بشكل مؤكّد(٢). أي: أخبروني. والاستفهام هنا استفهام عن الرؤية بمعنى الاعتقاد، وهو استفهام تقريريّ. وبالإضافة إلى ذلك فقد حمل هذا الاستفهام معنى التعجّب، وعبّر بالرؤية دون العلم ونحوه لما في الرؤية من قوّة إثبات الحجّة لقيامها على المشاهدة والتأمّل.

⁽¹⁾ تفسير السعدى (٢/ ١٦٥).

⁽٢) تفسير القرآن الثرى الجامع (٥/ ٢٣٩).

- ﴿إِن كُنتُ عَلَى بَيِنَةٍ مِّن رَّقِ ﴾؛ ﴿إِن ﴾؛ تفيد هنا معنى لو. ﴿عَلَى ﴾؛ تفيد التمكين. ﴿بَيِنَةٍ ﴾؛ الحجّة الواضحة والدليل المقنع القاطع. ﴿مِّن رَّقِ ﴾؛ أي كائنة من عنده سبحانه. واختار لفظ ربّي المفيد للتربية والتعهّد للمناسبة، أي لأنّه الأنسب، وأضاف الربّ إلى ضمير المتكلّم للتشرّف(١) وللدلالة على رعايةٍ وعنايةٍ خاصّة به عَينوالسَّلَامُ، إذ خاصّه الله بالرسالة والرحمة من فضله(٢).

قال ابن عاشور رَحْمَهُ أَللَّهُ: واختيار وصف الرب دون اسم الجلالة للدِّلالة على أنَّ إعطاءه البيَّنة والرحمة فضل من الله أراد به إظهار رفقه وعنايته به (٣).

- ﴿وَءَاتَـٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً ﴾؛ أيّ أعطاني ربّي منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رحمة، وهي النبوّة (١٠). ب- ﴿فَمَن يَنصُرُفِ مِنَ ٱللّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ و ﴾:

فمن يحميني من غضبه، ويقيني من عقابه إن عصيته بعدم تبليغ دعوته.

جـ- ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾:

أي: إن عصيت الله وأطعتكم فإنّكم لا تزيدوني غير حسرات بهذه الطاعة لكم (٥٠).

أي: ما تزيدونني إلّا خسارة على خسارة، غضب الله، وحرماني شرف الرسالة، وخزي الدنيا، وعذاب الآخرة، وهي خسارة بعد خسارة، ولا شيء إلّا التخسير والتثقيل والتشديد(١).

⁽۱) تفسیر سورة هود، ص۲٤٠.

⁽٢) النظم القرآني في قصة صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ص٩٤.

⁽٣) المصدر السابق نفسه.

⁽٤) تفسير سورة هود، ص٢٤٠.

⁽٥) المصدر السابق نفسه.

⁽٦) في ظلال القرآن (١٩٠٨/٤).



وجملة: ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ ﴾؛ جواب الشرط، وهو: ﴿إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ ﴾؛ والمعنى إلزام وجدل، أي: إن كنتم تنكرون نبوّتي وتوبّخوني على دعوتكم؛ فأنا مؤمن بأنَّى على بيَّنة من ربِّي، أفْتَرون أنَّى أعدل عن يقيني إلى شكَّكم، وكيف تتوقّعون منّى ذلك، وأنتم تعلمون أنّ يقيني بذلك يجعلني خائفاً من عذاب الله إن عصيته ولا أحد ينصرني.

والكلام على قوله: ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ﴿ ؟ كالكلام على قوله: ﴿ مَن يَنصُرُ نِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتَّهُم ﴾ [هود: ٣٠] في قصّة نوح.

وفرّع على الاستفهام الإنكاري جملة: ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخَسِيرٍ ﴾؛ أي: إذا كان ذلك فما دعاؤكم إيّاي إلّا يسعى في خسراني $^{(1)}$.

قال الإمام الجليل محمّد أبو زهرة رَحَمُ أللَّهُ في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيرَ تَخْسِيرٍ ﴾؛ أي: فإنَّكم بهذا لا تزيدونني غير خسارة مضاعفة، بعد هذا ذكر لهم المعجزة، وقد كانوا في الصحراء سفينتهم فيها الناقة لها خواص ليست لكلُّ صواحبها تجعلوها غير مشابهة لهم، وهي آية لهم ونذير، إن اعتدوا عليها، وجعل لها شرب أي ماء غير شرب سائر النوق، فقال لهم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيما قصَّه الله تعالي (٢).

٤ - قال تعالى: ﴿ وَيَنْ قَوْمِ هَاذِهِ - نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۗ فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ ٱللَّهِ ۗ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ [هود: ٦٤].

⁽١) التحرير والتنوير (٥/٢٦٧).

⁽٢) زهرة التفاسير أبو زهرة، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، دون تاريخ (٨/ ٣٧٢٥).

هذه الآية الكريمة، فيها ردّ صالح عَلَيْوالسَّلَامُ على قومه، وهي آخر مرافعته قبل أن يحلّ بهم العذاب، بينما السابقة تكلّمت عن ردّ قومه على دعوته، بينهما كمال الاتصال وتمام الاتساق.

أ- ﴿ وَيَلْقَوْمِ هَلَذِهِ عَنَاقَةُ أَلَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾:

- ﴿وَيَكَقَوْمِ ﴾؛ هذا هو النّداء الثالث والأخير يُنادي به صالح قومه مُتردّداً منذراً محذّراً.

- ﴿ هَاذِهِ عَالَقَةُ ٱللَّهِ ﴾؛ ﴿ هَاذِهِ عَ ﴾؛ اسم إشارة للقريب لتلفت الأنظار. ﴿ نَاقَتُهُ اللَّهِ ﴾؛ وإضافة الناقة إلى الله لتعظيم شأنها، ولتحذير هم ضمناً من التعدّي عليها (١٠).

- ﴿ لَكُمْ ءَايَةً ﴾؛ وفي تخصيصها لهم: ﴿ لَكُمْ ءَايَةً ﴾، ما يشير إلى أنها كانت ذات صفة خاصة مميزة، يعلمون بها أنها آية لهم من الله، ونكتفي بهذا دون الخوض في ذلك الخضم من الأساطير، والإسرائيليّات التي تفرّقت بها أقوال المفسّرين حول ناقة صالح عَلَيهِ السَّكَمُ (٢).

والآية: العلامة الدالّة على شيء، وهنا معناها: العلامة الدالّة على أنّها من عند الله، وعلى أنّى رسول الله، وأنّ ما أدعوكم إليه حقّ (٣).

⁽۱) تفسیر سورة هود، ص۲٤٢.

⁽٢) في ظلال القرآن (٤/ ١٩٠٨).

⁽٣) تفسير سورة هود، ص٢٤٢.



ب- ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِيَ أَرْضِ ٱللَّهِ ۗ ﴾:

الناقة ناقة الله، والأرض أرض الله، لأنّ كلّ ما في الكون من كائنات ومملوكات هي لله سبحانه.

- ﴿فَذَرُوهَا ﴾؛ اتركوها تأكل ممّا تشاء، وأين تشاء، وكيف تشاء، وليس عليكم رزقها أو تدبيرها(١).

لم يقل: لا تقتلوها، بل نهى عن مجرّد مسّ الناقة بأيِّ سوء، أو أذى بسوء نكرة مهما كان شكله ونوعه، ولو كان أدنى القليل، وغيره من أنواع الأذى. والسوء أعمّ من القتل؛ أي: يشمل القتل(٢).

وإن النهي عن المسّ الذي هو مقدّمة الإصابة بالشرّ الشامل لأنواع الأذى مبالغة في الزجر، أي: لا تتعرّضوا لها بشيء ممّا يسوؤها أصلاً كالطرد، والعقر، وغير ذلك(٣). ونكّر السوء ليشمل أيّ سوء مهما كان ضئيلاً(١).

د- ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَ يِبٌ ﴾:

- (الفاء)؛ هذه فاء السببيّة، وما بعدها منصوب بأن مقدّرة، ففعلكم متسبّب في وقوع العذاب بكم، وهو عذاب قريب وشيك، وعبّر عن وقوع العذاب بالأخذ بقوله:

⁽١) تفسير القرآن الثري الجامع (٥/ ٢٤١).

⁽٢) المصدر السابق نفسه.

⁽٣) على طريق التفسير البياني (٣/ ٢٥٩).

⁽٤) المصدر السابق نفسه.

- ﴿فَيَأَخُذَكُر ﴾؛ ليفيد القوّة، والهيمنة، وقلّة شأنهم أمام هول العذاب، فهو يأخذهم كما تأخذ حزمة قشّ صغيرة بيدك، ويفيد الإحاطة، كلّ هذا وغيره في ظلال لفظة واحدة وهي ﴿فَيَأَخُذَكُم ﴾، فيا لبلاغة القرآن، ويا لإيحاءاته، وإيماءاته، وغزارة دلالاته(۱).

- ﴿عَذَابُ قَرِيبُ ﴾؛ هنا وصف العذاب بالقريب لعلّه التحذير الأقوى، ولم يعبّر بالشديد، لأنّ من آمن أنّ العذاب قريب وشيك أغناه عن ذكر شدّته، ويكفي ما أوحت به يأخذكم من قوّة، وبأس، وإحاطة، وشدّة (٢).

إنَّ الناقة اختارها الله عَزَّوَجَلَّ؛ لتكون معجزة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، لذلك نسب صالح عَلَيْهِ السَّلامُ الناقة إلى الله ﴿نَاقَةُ اللَّهِ ﴾، مع أنّ كل شيء من المخلوقات منسوب

⁽۱) تفسير سورة هود، ص٢٤٣.

⁽٢) المصدر السابق نفسه.

⁽٣) تفسير القرآن الثري الجامع (٥/ ٢٤١).



إلى الله، ولكنّ الله تعالى اختارها لتكون معجزة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، كان ذلك له فضل اختصاص في النسبة إلى الله تعالى (١)، لكنّ قوم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يستجيبوا للترغيب ولا النهي عن مساس ناقة الله، فقاموا بعكس ما أمرهم به ونهاهم عنه.

٥- قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامِرٍ ذَالِكَ وَعُدُّ غَيْرُ مَكْذُوبِ ﴾ [هود: ٦٥].

ففي الآية السابقة نهاهم عن مجرّد مسّ الناقة، وكأنّ التحذير كان تحريضاً على العكس، فعقروها فجاءهم ما يوعَدون، فالآية نسق مع ما سبق (٢).

أ- ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامِ ﴾:

- ﴿ فَعَ قَرُوهَا ﴾؛ جاءت الفاء للتعقيب، لإفادة مسارعتهم في عصيان الأمر ومخالفة النهي، فهم نُهوا عن المسّ مجرّد المسّ، فأتوا بما هو أشدّ وأسوأ بما لا يُقاس، عاملوها بالعقر.

وإن العقر يُستخدم في حقّ الناقة، ومن لم ير كيف تُذبح الإبل لم يتصوّر المعنى، فالناقة تُعقر لأنّه لا يستطيع أن يقترب منها أحد لقوّة الإبل، فتُقيّد اليدان أوّلاً، ثمّ تُطعن لتنزف وتفقد الكثير من قوّتها ثمّ تُنحر، فهذا عقر الناقة ومعناه قتلها باختصار، سواء استُخدمت للأكل أم لا(٣).

 ⁽۱) زهرة التفاسير (۷/ ۳۷۲۵).

⁽٢) تفسير سورة هود، ص ٢٤٥.

⁽٣) المصدر السابق نفسه.

- ﴿ فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامِ ﴾؛ فصار يُضرب المثل بمهلة ثمود، وقد قالها أي هذه الكلمة أبو نوّاس للرشيد: أمهلني مهلة ثمود (١١).
- ﴿تَمَتَّعُواْ ﴾؛ كلوا، واشربوا، وامرحوا، وامضوا في حياتكم على مرضاة شأنكم، ومعتاد أمركم؛ فإنّ الذي ينتظركم مهول رهيب مهيب محذور خطير..، فتمتّعوا بين يدي عذاب سيطول عليكم فوق ما تتوقّعون، فاغتنموا قبل أن تغتمّوا غمّاً مقيماً (۱).
- ﴿ وَ دَارِكُمْ ﴾؛ في مواطنكم، أو في مساكنكم وعبّر بالفرد: ﴿ دَارِكُمْ ﴾؛ لإفادة أنّ كل فرد يستمتع في داره، أو كما قلنا في أوّل الكلام، أي: في مكان إقامتكم في ديار ثمود فهي موطنكم أو داركم المؤقّتة إلى حلول العذاب، فلن تُسكن من بعدكم لأنّه لن تكون لكم ذرّيّة يسكنون دوركم من بعدكم ويجدّدونها كلّما تقادمت أو تضعضعت (٣).

وهناك من العلماء من يرى أنّ ﴿فِي دَارِكُمْ ﴾ تعني البلدة أو القرية. أمّا (دياركم) تعنى: المنازل أو المساكن(٤٠).

- ﴿ وَلَكَثَةَ أَيَّامِ ﴾؛ هذه الأيام هي التي أنظر فيها نبيّ الله صالح عَلَيْهِ السَّكُمُ قومه ثمود، بأن يتمتّعوا فيها بالعيش في دارهم، ثمّ يأتي يوم الهلاك والعذاب (٥٠). وهذه مهلة يسيرة. ولك أن تتصوّر أنّهم عاشوها في الترقّب، وإن كان بعضهم مستهتراً

⁽١) المصدر السابق نفسه.

⁽٢) المصدر السابق نفسه.

⁽٣) المصدر السابق، ص ٢٤١.

⁽٤) تفسير القرآن الثري الجامع (٥/ ٢٤١).

⁽٥) تفسير سورة هود، ص٢٤٦.



مستخفًّا، لكنّهم في أعماقهم يُقرّون أنّ الأمر قد يؤول إلى ما يقول صالح عَلَيْهِ السَّلامُ، فتكون الطامّة! والثلاثة أيام مهلة في عمر الزمن أقلّ من لمح البصر(١).

ب- ﴿ ذَالِكَ وَعُدُّ غَيْرُ مَكَذُوبٍ ﴾:

- ﴿ ذَٰلِكَ ﴾؛ استخدم اسم الإشارة ذلك بـ (لام) البعد إمّا لتهويله فهو بعيد الشأن في هوله، وإمّا لاستبعاد وقوعه، ونزول ذلك الذي تستبعدونه. وأمّا الثالثة أن يعتبر بمقاييسهم الثلاثة أيّام مهلة طويلة ومعلومة بنسبة الزمن، فالثلاثة أيام لا تُقاس بمقياس واحد، ففي عمر الزمن هي صفر، وعلى المنتظر دهر، فمن أين شئت نظرت.

- ﴿وَعُدُ ﴾؛ موعد مضروب وتوقيت محدد. ونكّر كلمة (وعد) لإقامة تعظيمه وتهويله وصدقه وعلق شأنه.

- ﴿غَيْرُمَكُذُوبٍ ﴾؛ غير مخالف ولا منقوض، ولا يقبل التأخير ولا التحويل ولا التبديل، فهو حقّ صادق، حقّ مطابق لما سيكون، مطابق للوعد والوعيد، والموعد المضروب(٢).

- ﴿مَكَذُوبِ ﴾؛ صيغة مبالغة من (كذب)، أي: وعد صادق لا ريب فيه. والوعد عادة يأتي في الخير. واستعماله هنا للتهكم، وهو من قبيل تأكيد الشيء بنفي نقيضه (٣).

وعلَّق الإمام القرطبيّ رَحْمَهُ اللَّهُ عن الآية الكريمة، فقال: ﴿فَعَقَرُوهَا ﴾؛ إنَّما عقرها بعضهم. وأُضيف الفعل إلى الكلّ لأنّه كان برضى الباقين.. ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُواْ ﴾؛ أي:

⁽١) الأيام والليالي في القرآن، محمد رقات الفرح، ص١٦.

⁽۲) تفسير سورة هود، ص۲٤٧.

⁽٣) تفسير القرآن الثري الجامع (٥/ ٢٤٢).

قال لهم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ تمتعوا، أي: بنعم الله عَنَّقِجَلَ قبل العذاب ﴿ فِي دَارِكُمْ ﴾؛ أي: في بلدكم. ولو أراد المنزل لقال في (دوركم). وقيل: أي يتمتّع كلّ واحد منكم في داره ومسكنه، كقوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُكُم لِلْهِ لَلَا ﴾ [غافر: ٢٧]؛ أي كلّ واحد طفلاً (١٠).

ومن الدروس والفوائد والعبر من الآية الكريمة:

- أحمق الحمقي: من يفعل الفعل، ولا يتفكّر في العواقب.
 - الزمن أعظم فرصة، بل أعظم ثروة مهدورة.
- ربّما يأتي على الناس زمان يتمنّون فيه لو أُعطوا فسحة ساعة من الزمان، وقد كان معهم عمر فبددوه.
 - وعد الله حقّ واقع، وصدق ثابت لا يخلف ولا يكذب.
 - فساد القلب يؤدّي إلى الاستهتار.

وبعدما عقروا الناقة، جاء أمر الله في موعده.

٦- قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَيْنَا صَالِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ و بِرَحْمَةِ مِنَا وَمِنْ خِزْي يَوْمِبِنِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُو ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [هود: ٦٦].

أمهل النبيّ صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ -بإعلام من ربّه تعالى- قومَه ثلاثة أيّام، بانتظار أن تنقضي ليجيء الوعد، ويحلّ عليهم العذاب، وها قد جاء في هذه الآية موعد العذاب، وأجله الذي أجّله الله.

أ- ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾:

⁽١) المصدر السابق نفسه.



- (الفاء)؛ للتعقيب.
- ﴿ فَلَمَّا ﴾؛ تُفيد أوِّل حدوث الشيء فأفادت السرعة من وجهين.
- ﴿ أُمَّرُنَا ﴾؛ أي: وعْدنا بحلول العذاب، وأمر العذاب بأن ينزل بهم، وأضاف الأمر إلى ضميره بنون العظمة.
 - ب- ﴿ نَجَّيْنَا صَالِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ و ﴾:
- ﴿ فَجَيَّنَا صَلِحًا ﴾؛ عبر بنجّينا دون أنجينا ليُفيد تجلّي المشهد، بينما أنجينا تتكلّم بصورة إجماليّة نهائيّة، ونجيّنا تُفيد أناة في عرض المشهد وتفصيلاً للنّجاة. وبلغة العصر: بالتصوير البطيء.
- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ ﴿ ﴾؛ أي: أنّ النجاة شملت صالحاً والذين آمنوا معه، ونجّيناهم معه أيضاً.

جـ- ﴿برَحْمَةِ مِّنَّا ﴾:

- (الباء)؛ سببيّة، أي بسبب هذه الرحمة الكائنة منّا(١).

فذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنّه نجّاهم برحمة منه، ولم يقلْ مثل ذلك في موضعَين آخرين، فقد قال في سورة النمل: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [النمل: ٥٣]. وقال في سورة النمل: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [فصلت: (١٨]. ولم يقل برحمة منّا.

وذلك -والله أعلم- أنّه ذكر صفتين في سورتي النمل وفصّلت، وهما الإيمان والتقوى، فقد قال فيهما: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [فصلت: ١٨]. ولم يذكر

⁽۱) تفسير سورة هود، ص۲٤۸.

في سورة هود غير صفة واحدة وهي الإيمان، فاتسعت رحمته لتُمثّل من كان مؤمناً وإن لم يكن متّقياً، فناسب ذكر الرحمة في هذا الموضع، وإن كانت النجاة برحمته وليست بشيء آخر(۱).

وقد ورد الفعل: ﴿وَنَجَيّنا ﴾ [فصلت: ١٨] على صيغة: (فعّل)، التي تُفيد التكثير والمبالغة. وهذه الصيغة هي الأنسب من غيرها في هذا السياق بالنظر إلى من نجّاه الله، وبالنظر إلى العذاب الذي نجوا منه، أمّا الذين نجّاهم الله فهم صالح عَلَيْوالسّلام ، والذين آمنوا وقد أُفرد ذكر صالح عَلَيْوالسّلام ، وعطف عليه الذين آمنوا فكأنّ النتيجة هنا مضاعفة، وهذا يناسب صيغة (فعّل) التي تُفيد التكثير والمبالغة. وأمّا من حيث ما نُجّوا منه، فقد أنجاهم الله من العذاب والخزي والفضيحة.

وهذه الأمور مجتمعة النجاة منها مضاعفة، فكأنّما نتيجة بعد نتيجة، بالإضافة إلى أنّ السياق دلّ على هول العذاب. والأنسب أن يكون التعبير عن الإنجاء من الأمر المهول والمقحم بصيغة التكثير والمبالغة.

وإسناد التنحية إلى نون العظمة، يدلّ على أنّها نجاة عظيمة، ومِنّة منه عَرَّفَكَلَ تكريماً وتشريفاً لصالح عَيْمُ السَّلَامُ والذين آمنوا معه. وعطف: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ على: ﴿صَلِحًا ﴾ من باب عطف العام على الخاص. والنكتة في ذلك تمييز صالح عَيْمُ السَّلَامُ والاهتمام به، والتنبيه على فضله وشأنه بتقديمه وذكره أوّلاً، وأنّ المذكورين بعده أتباع له. وذكر العام بعده يدلّ على العموم، وشمول بقيّة المؤمنين بالنجاة (٢).

على طريق التفسير البياني (٣/ ٢٦١).

⁽٢) النظم القرآني في قصة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ص١٠٠.



ثمّ إنّ في تخصيص صالح عَينواسكم بالذكر تثبيتاً للنبيّ صَالِّتَهُ عَينواسكم وإنّ الله عَنَوَجَلَّ وإشارة إلى الله عَنَوَجَلَ سينصره كما نصر صالحاً عَينواسكم قبله، وأنّ الله يحفظ أنبياءه ورسله ويرعاهم ويكلؤهم بعنايته، وأنّ الارتباط بقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ نَقُصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ ويرعاهم ويكلؤهم بعنايته، وأنّ الارتباط بقوله تعالى: ﴿وَكُلِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠]. الرّسُلِ مَا نُنْبِتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحُقُ وَمَوْعِظَةُ وَذِكْرِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠]. وتعريف ﴿وَالّذِينَ ءَامَنُوا ﴾، بالصلة والتعظيم والإشعار بمكانتهم؛ لأنّها تُفيد معينتهم لصالح عَينواسكم والنبيه على أنّ سبب نجاتهم ورحمة الله لهم، هو إيمانهم بصالح عَينواسكم عن عذاب الله بصالح عَينواسكم عن عذاب الله إلا المؤمنون (١٠). وقوله: ﴿بِرَحْمَةِ ﴾؛ التنوين للتفخيم، أي: بسبب رحمة عظيمة (١٠). وتقييد هذه الرحمة بالجار والمجرور: ﴿مِنَا ﴾، يُفيد أنّ إحسانه سُبْحَانهُ وَتَعَالَ لا يكون إلّا فضلاً منه (١٠).

د- ﴿ وَمِنْ خِزْي يَوْمِبٍ إِ ﴾:

أي: نجّيناهم -صالحاً والذين آمنوا معه- من خزي ذلك اليوم، فقوله: ﴿وَمِنْ ﴾: عطف مع تقدير العامل، أي: ونجّيناهم من خزي يومئذ. والتنوين عوض، أي: يوم نزول العذاب(٤).

والخزي: هوان ومقت وإبعاد من الله(٥).

⁽١) النظم القرآني في قصة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، المصدر السابق، ص١٠١.

⁽Y) تفسير أبو السعود (X/ ٢٢٣).

⁽٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (٩/ ٣٢٣).

⁽٤) تفسير سورة هود، ص ٢٤٩.

⁽٥) استنباط الأهداف من القرآن من سورتي يونس وهود، بسام عبد الملك، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ٢٠١٨م، ص٢٩.

- ﴿ وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِبٍ لَإِ ﴾؛ ونجّيناهم من هوان ذلك اليوم وذلّـه، ومن ذلك العذاب(١). ولا خزي أعظم مَن كان هلاكه بغضب الله وانتقامه(١).

هـ - ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾:

ناسب مجيء الأمر وصفه تعالى بالقويّ العزيز، فإنّهما من صفات الغلبة والقهر والانتقام (٣).

وفُصِلَت جملة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُو الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ عمّا قبلها، لأنّها تذييليّة تُفيد التعليل، لأنّ من كان قويّاً عزيزاً ينصر أولياءه، ويهلك أعداءه. وفي ذلك تسلية للنبيّ صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ. وجملة التذييل التعليليّة إذا أُكّدت فإنّ التأكيد يُفيد الاستقلال، وهو في الوقت نفسه يربطها بما قبلها ربطاً معنويّاً. وقد أُكّد الخبر بعدّة مؤكّدات للاهتمام به، وهي: (إنّ) و (ضمير الفصل)، وهما يفيدان القصر (١٠)، فصار المعنى: إنّ ربّك هو القويّ العزيز لا غيره (٥٠).

- ﴿إِنَّ رَبَّكَ ﴾؛ بإضافة الرب إلى ضمير المخاطب - وهو الرسول صَّالِللهُ عَلَيْهُ وَسَلَّمَ - تحذيراً لقريش من مغبّة موقفهم من رسول الله، فإنّ ربّك يفعل بهم ما فعل بالأقوام البائدة الذين أهلكهم الله كما قال محذّراً لهم: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُم صَعِقَةً مِّشْلَ صَعِقة عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت: ١٣](١).

تفسير الطبري (۱۲/ ٦٤-٦٥).

⁽۲) تفسير سورة هود، ص ۲٤٩.

⁽٣) البحر المحيط (٥/ ٢٤٠).

⁽٤) النظم القرآني في قصة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ص١٠١.

⁽٥) المصدر السابق نفسه.

⁽٦) على طريق التفسير البياني (١/ ٢٦١).

والتعبير بالربوبيّة في خطاب النبي صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبيان عناية الله به وإحسانه إليه كما أحسن إلى الأنبياء قبله (۱). وعرّف الخبر، وجاء بضمير الفصل، فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾، ولم يقل (إن ربك قويُّ عزيزٌ)؛ ليدلّ على أنّه لا قويٌ غيره على الحقيقة، بل هو وحده القويّ العزيز.

وقال في سورة الشورى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُ بِعِبَادِهِ عَرَزُقُ مَن يَشَآءٌ وَهُو ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [الشورى: ١٩]؛ فأكّد في آية هود قوّتَه وعزّته بـ ﴿إِنَّ ﴾، ولم يؤكّد ذلك بالشورى، فلم ذلك؟

والجواب: أنّه أكّد في آية هود لأنّ المقام مقام عقوبة، وإنجاء صالح ومن آمن معه، وذلك يستدعي تأكيد القوّة والعزّة. وأمّا السياق في الشورى فإنّه في لطفه بعباده، فلا يستدعي ذلك تأكيدها.

وقدّم (القوي) على (العزيز) لأنّه قويّ فعزّ، فإنّ العزّة إنّما تكون من القوّة، ولذلك حيث اجتمع هذان الوصفان في القرآن الكريم قُدّم القويّ على العزيز، وذلك نحو قوله: ﴿إِنَّ اللّهَ لَقَوِئُ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]. وقوله: ﴿إِنَّ اللّهَ قَوِئُ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]. وقوله: ﴿إِنَّ اللّهَ قَوِئُ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١].

- ﴿ اللَّهُ وَتُ ﴾ [الشورى: ١٩]؛ من أسماء الله الحسنى، وقد ورد اسم القوي في القرآن الكريم (تسع مرات) جاء في أكثرها مقترناً باسمه العزيز، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِيعَالَمُ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ وَ بِالْغَيْبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد: ٢٥]. وورد مرّتين

⁽١) النظم القرآني، ص١٠٢.

⁽۲) على طريق التفسير البياني (١/ ٢٦٢).

مقترناً بشديد العقاب، كما في قوله تعالى: ﴿فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُ وَقَوِيُّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [غافر: ٢٢].

قال الطبري رَحَمُ الله عند قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ وَقُوِيٌ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [غافر: ٢٢]؟ القويّ: الذي لا يغلبه غالب، ولا يردّ قضاؤه رادّ ينفذ أمره، ويمضي قضاؤه في خلقه، شديدٌ عقابُه لمن كفر بآياته، وجحدَ حُجَجَه (۱). وقال ابن كثير رَحَمُ اللهُ: أي: لا يغلبه غالب ولا يفوته هارب (۲). وقال الخطابي رَحَمُ اللهُ: هو الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال. والمخلوق وإن وُصف بالقوّة، فإنّ قوّته متناهية وعن بعض الأمور قاصرة (۱).

وقد ورد الاقتران في القرآن الكريم بين اسمه سبحانه (القويّ)، واسمه (العزيز) في سبع آيات، وهناك معنى زائد في الجمع بين الاسمين، وهو أنّ العزّة التي يتضمّنها اسم الله عَرَّبَكً (العزيز) هي عزّة القوّة، وعزّة الغلبة، وعزّة الامتناع، ووصف الله عَرَّبَكً بالقوّة راجع إلى كمال عزّته (٤).

ومن آثار الإيمان باسمه (القوي) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ التواضع لله تعالى ولخلقه، والشعور بالضعف الشديد أمام قوّة الله عَرَّفِجَلَ، والتوكّل على الله وحده الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، والاستهانة بقوّة المخلوق والثقة في نصر الله عَرَّفِجَلَّ وكفايته للمؤمنين، فمهما بلغت قوّة الكافرين، وعددهم وعنادهم، فالله فوقهم ونواصيهم بيده، وقوّتهم لا شيء في جنب قوّة الله تعالى، ولكن بشرط

⁽۱) تفسير الطبرى (۱۰/ ۱۷ – ۱۸).

⁽۲) تفسیر ابن کثیر (۲/ ۳۲۰).

⁽٣) شأن الدعاء، حمد محمد الخطابي، دار الثقافة العربية، ١٩٩٢ م، ص٧٧.

⁽٤) ولله الأسماء الحسني، ص ٤٠١.



الأخذ بأسباب النصر والعزّة، وعدم الخوف من المخلوق والتبدد من الحول والقوّة، حيث لا قوّة للعبد على طاعة الله عَزَقِجَلَّ وترك معاصيه والصبر على أحكامه القدريّة إلّا بقوّة الله عَزَقِجَلَّ وتوفيقه. ولو وُكل العبد إلى نفسه وحوله وقوّته؛ لضاع وهلك وخسر، ولذا قال الرسول صَلَّاللَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الله بن قيس: «يا عبد الله بن قيس، ألا أعلمك كلمات هي من كنوز الجنّة، لا حول ولا قوّة إلّا بالله»(۱). وثبت عنه صَلَّاللَهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ في دعائه أنّه قال: «يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كلّه ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً»(۱).

- ﴿ الْعَزِيزُ ﴾؛ من أسماء الله الحسنى ورد اسم (العزيز) في القرآن في اثنتين وتسعين مرّة، جاء في أكثرها مقترناً بأسماء أخرى من أسمائه سبحانه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالْعَلَمُ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وقوله سبحانه: ﴿ وَالْتَهُ عَزِيزُ دُو الْتِقَامِ ﴾ فوله تعالى: ﴿ وَاللّهُ عَزِيزُ دُو الْتِقَامِ ﴾ في وَلَه سبحانه: ﴿ وَاللّهُ عَزِيزُ دُو الْتِقَامِ ﴾ [الله عمران: ٤]. وقوله تقامِ ﴾ [السعراء: ٩]، وقد تكرّر في السورة الله عمران: ٤]. وقوله سبحانه: ﴿ وَاللّهُ عَزِيزُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [الشعراء: ٩]، وقوله سبحانه: ﴿ إِنّ كَثَيراً. وقوله سبحانه: ﴿ إِنّ اللّهَ عَزِيزُ عَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨]. وقوله تعالى: ﴿ رَبُّ السّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [البروج: ٨].

قال ابن كثير رَحْمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ ٱلْعَزِيزِ ﴾ ؛ أي: الذي قد عزَّ كل شيء قهره، وغلب الأشياء فلا ينال جنابه لعزّته وعظمته وجبروته وكبريائه (٣).

⁽١) البخاري، رقم (٦٤٠٩).

⁽٢) عمل اليوم والليلة، أحمد بن شعيب النسائي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ٢٠٠٦م، صححه الألباني.

⁽٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٣).

قال الشيخ السعدي رَحَمُهُ اللهُ: ﴿ الْعَزِيزِ ﴾: الذي له العزّة كلّها؛ عزّة القوّة، وعزّة الغلبة، وعزّة الامتناع، فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة، وخضعت لعظمته (۱).

وحظّ المؤمن من اسم (العزيز): أن يحقق العبوديّة للعزيز، ويعتزّ به، ويشعر بذلك، ويتوكّل عليه، ويستعين به، ولا يتكبّر على عباده، ولا يخشى أعدائه.

ولا عجب أن نقرأ لشاعر مؤمن يناجي ربّه في عبوديّة عزيزة بالله متذلّلة إليه، غنيّة بالله، فقيرة إليه:

ومما زادني شرفاً وعزّاً وكدت بأخمصي أطأ الثريّا دخولي تحت قولك يا عبادي وأن أرسلت أحمد لي نبيّاً

وقال سيّدنا عمر بن الخطّاب رَضَالِلَهُ عَنهُ: نحن كُنّا أذلّ قوم، فأعزّنا الله بالإسلام، فمهما نلتمس العزّة بغيره أذلّنا الله (٢).

إِنَّ الآية الكريمة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُو الْقَوِيُّ الْعَزِيرُ ﴾، تُبيّن لنا إِنَّ الله هو القويّ العزيز، فلا يغالب ولا ينازع في ملكه، ورحمته تسع كلّ الخلائق لكن من خرج عنها حُرم منها، والله سبحانه يأخذ العُتاة أخذاً، ولا يعزّ عليه أمر ولا يهون من يتولّاه ويرعاه، وعذاب الآخرة هو العذاب، وعذاب الدنيا على شدّته مقدّمة يسيرة (٣).

⁽۱) تفسير السعدي (٥/ ٣٠٠-٣٠).

⁽٢) موسوعة القرضاوي (٧/ ٤٢٢).

⁽٣) تفسير سورة هود، ص٢٥٠.



٧- قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَرِهِمْ جَشِمِينَ ﴾ [هود: ٦٧].

تكلّمت الآية السابقة عن نجاة المؤمنين، وفي هذه الآية تكملة الصورة بالحديث عن هلاك المكذّبين الكافرين.

أ- ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ ﴾:

- ﴿وَأَخَذَ ﴾؛ الواو للعطف، وعبّر بالماضي المذكور دون (أخذت) لتقوية الأخذ. وعبّر بالأخذ لإفادة القوّة والشدّة والبأس.
- ﴿ اللَّذِينَ ﴾؛ وعبّر بالاسم الموصول (الذين) لاستحضار صلته وهي: ﴿ ظَلَمُواْ ﴾؛ ليسجّل عليهم ظلْمهم.
- ﴿ الصَّيْحَةُ ﴾؛ أي: طوّقتهم الصيحة من كلّ مكان، وهي الصوت المفزع، ومعها الزلزلة الشديدة، قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَايِّمِينَ ﴾.

وقال الشوكاني رَحْمَهُ اللَّهُ: كانت الصيحة في اليوم الرابع من عقر الناقة، صيح بهم فماتوا. وذكر الفعل لأن الصيحة والصياح واحد، مع كون التأنيث غير حقيقي: قيل صيحة جبريل، وقيل من السماء فتقطعت قلوبهم وماتوا(١).

وقال عبد الله بن عباس رَضَاللَّهُ عَنْهُمْ: الصيحة: الصاعقة (٢).

⁽١) فتح القدير في الجمع بين فني التفسير، محمد علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، نشر وتوزيع المكتبة التجارية بمكة المكرمة (٥٦٦/٤).

⁽٢) موسوعة التفسير بالمأثور، المشرف العلمي مساعد الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م (٢١/ ٢٣٢).

وقال مقاتل بن سليمان رَحْمَهُ أُللَّهُ: الصيحة صيحة جبريل(١١).

ب- ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دِيكرِهِمْ جَاشِمِينَ ﴾:

- ﴿الفاء﴾؛ للتعقيب.
- ﴿فَأَصْبَحُواْ ﴾؛ إمّا من الإصباح، وإمّا لمطلق الأوقات، كما قال: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ الْمُوسَى فَرَادً عَلَا اللهِ عَلَا القصص: ١٠]، لا يقصد وقتاً بعينه، وإنّما صار كذلك.
- ﴿ فِي دِيَكِهِمْ ﴾؛ في بيوتهم ومساكنهم، في بلدتهم، وقُدَّمت على جاثمين، للاهتمام بها وإظهار أنَّها لا تَحميهم.
- ﴿جَنْثِمِينَ ﴾ ؛ الجثوم: الانكباب على الوجوه، وهي كناية على هلاكهم على هذه الحالة(٢).
- ﴿ جَنْثِمِينَ ﴾ ؛ باركين على الركب أو مقيمين. والمراد أنّهم هامدون صرعى لا حراك بهم من الجثوم، وهو للناس والطير بمنزلة البروك للإبل، يُقال جثم الطائر يجثم جثوماً (٣).

وقد عبّر عن ثمود بالذين ظلموا، للإيماء بالموصول: ﴿اللَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ إلى علّة ترتُّب الحكم، أي: لظلمهم، وهو ظلم الشرك. وفيه تعريض بمشركي أهل مكّة بالتحذير أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك لأنهم ظالمون أيضاً (٤).

⁽١) المصدر السابق نفسه.

⁽۲) تفسير سورة هود، ص۲۵۲.

⁽٣) المصدر السابق نفسه.

⁽٤) تفسير التحرير والتنوير (٥/ ٦٨٥).



ومن الدروس المستفادة من الآية الكريمة:

- الهلاك باستئصال من يُكذّب بآيات الله.
- قد لا يكون الهلاك الآن بالاستئصال الشامل، كما حصل مع الأمم السابقة، ولكن ربّما يكون الهلاك بالأوبئة والحروب وما أشبه ذلك.
 - لا يحمي من قَدَر الله شيء إذا وقع.
 - الإيمان مَنْجاة.
- القرآن الكريم تتكامل آياته، فما أُجْمل في موضع، يُفصّل ويكمل في موضع آخر، فالأعراف وهود تكاملتا في بيان عذاب ثمود صالح(١).

٨- قوله تعالى: ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ۚ أَلَا إِنَّ تَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدَا
 إِنَّا مُودَ ﴾ [هود: ٦٨].

هذه الآية من الآيات المتحدّثة عن قصّة ثمود، فقد انتهت ثمود من الدنيا، وأصبح لا وجود لهم فيها.

أ- ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ﴾:

كأن لم يكن لهم وجود فيها وكأنّهم ما كانوا، قال الشاعر بعد انفضاض الناس من مكّة (ومع الفارق بالطبع):

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكّة سامر(٢)

تفسیر سورة هود، ص۲۵۳.

⁽٢) المصدر السابق نفسه.

وتُبيّن الآية سرعة زوالهم، كأنّهم لم يأتوا إلى الدنيا، ولم يُقيموا في ديارهم، ويتمتّعوا، وإنّه لمشهد مؤثّر، وأصحابه جثوم ماثلون أمام عين البصيرة التي ترى وتحسّ الصورة القرآنيّة، وليس بين الحياة والموت -بعد أن يكون- إلّا لمعة كومضة العين، كأن لم يغنوا فيها(۱).

ب- ﴿ أَلَا إِنَّ تَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ﴾:

لما ذكر الله سُبَحَانهُ وَتَعَالَى هلاك ثمود وصف حالهم، فشبههم بعد زوالهم وفنائهم واستئصالهم بحال من لم يُقِم في داره، ولم تسبق له حياة أصلاً، ثمّ نبّه عَرَقِعَلَ على سبب عذابهم في هذه الآية، وقد أكّدت الجملة بأداة التنبيه (ألا)، و(إنّ) مع تصدير (ألا) الخبر وهي لا تُقال إلّا عند الأمور الهائلة. ووضع الاسم الظاهر موضع المضمر في قوله عَرَقِعَلَ ﴿ تُمُودَا ﴾ لزيادة البيان والتشنيع والتسجيل عليهم.

- وفي قوله: ﴿كَفَرُواْ رَبَّهُمُ ﴾؛ عدى الفعل (كفروا) إلى (ربهم) بدون حرف الجر؛ لأنّه ضُمّن معنى الجحود، فالتقدير: ألا إنّ ثمود جحدوا ربهم. وهذا من الإيجاز، قيل هو من باب حذف المضاف وإنابة المضاف إليه منابه مع التعبير عن الربوبيّة الدالّة على الإحسان إليهم والعناية بهم، تفظيعاً لجزمهم، وتشنيعاً لحالهم؛ إذ كيف يكفرون بمن ربّاهم بنعمه، وأحسن إليهم؟! وبعد أن سجّل الله عليهم الكفر والجحود لعنهم وأبعدهم من رحمته، فقال:

وكرّر التنبيه بقوله ﴿أَلَا ﴾ في الدعاء عليهم تهويلاً لأمرهم، وتفظيعاً له، وبُعداً عن الاعتبار بهم، والحذر من مثل حالهم.

⁽١) فقه دعوة الأنبياء، أحمد الأميري، دار السلام، ٢٠١٢م، ص١٥٣.



ووضع الاسم الظاهر موضع المضمر في قوله عَرَّهَ عَلَّا لِلْمُودَ ﴾ مبالغة في التنصيص عليهم، والتأكيد على استحقاقهم اللعنة والإبعاد(١).

وتدخل ثمود في سلسلة الأقوام التي لعنها الله تعالى، وقد ورد اللعن بشأنهم بصيغة الإبعاد: ﴿أَلَا بُعُدًا لِنَّمُودَ ﴾، وقد عملت ثمود أعمالاً استحقّت بها لعنة الله من الكفر والجحود والعناد، والاستكبار، واستعجال العذاب، وتكذيب نبيهم ومحاولتهم قتله، والتطاول عليه بشتّى الاتهامات، فمرّة يرمونه بالسحر، ومرّة يرمونه بالكذب(۱).

ثالثاً: قصة قوم صالح عَلَيْوالسَّلَامُ في سور الحجر:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَبَ أَصْحَبُ ٱلْحِبْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ وَءَاتَيْنَهُمْ ءَايَتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۞ وَاَتَيْنَهُمْ اَلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ مُعْرِضِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۞ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الحجر: ٨٠-٨٤].

تدور سورة الحجر حول موضوع إثبات تنزيل القرآن الكريم من عند الله عَنْجَعَلَ على الرسول على الرسول صَلَّاللَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وأنّه معجزة ظاهرة بينة كافية لبيان صدق الرسول صَلَّاللَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وأنّه معجزة ظاهرة بينة كافية لبيان صدق الرسول صَلَّاللَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وأنه وترهيبهم بِذكر قصص المكذّبين قبلهم، وما حلّ بهم؛ بسبب كفرهم بآيات الله سُبْحَانهُ وَتَعَالَى التي جاءتهم بها رُسلُهم. قال البقاعي رَحْمَهُ اللهُ: مقصودها وصف الكتاب، بأنّه في الذروة من الجمع للمعاني الموضّحة للحق عن غير اختلاف أصلاً، وأشكل ما في هذا المعنى قصّة أصحاب الحجر،

⁽۱) نصوص اللعن في القرآن وأثرها في الأحكام الشرعية، عمر شاكر الكبيسي، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٣هـ، ص٤٤٣.

⁽٢) المصدر السابق، ص٥٤٥-٤٤٧.

فإنّ وضوح آيتهم عندهم وعند كلّ من شاهدها أو سمع بها كوضوح ما دلّ عليه مقصود هذه السورة في أمر الكتاب عند جميع العرب، لاسيما قريش، وأيضاً آيتهم في غاية الإيضاح للحقّ، والجمع لمعاينة الدائرة على التوحيد المقتضى للاجتماع على الداعي(١).

عرضت السورة لدعوة الأنبياء، وبيّنت موقف أهل الشقاوة والضلالة من لدن بعثة شيخ الأنبياء نوح عَلَيْوالسَّكَمُ، إلى بعثة خاتم المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وقد بيّنت السورة أنّ هذه سنّة المكذّبين في كلّ زمان وحين (٢).

وفي هذه السورة إشارة مجملة عن ثمود، لم تذكرها فيها باسمها، بل كَنّت عن ثمود بأصحاب الحجر، حيث كانت مساكنهم. وقد ذكرت الآيات أنّ أصحاب الحجر كذّبوا المرسلين، لأنّ تكذيبهم صالحاً عَيَهِالسَّلامُ يعتبر تكذيباً لجميع المرسلين، لأنّ دعوتهم واحدة، كما جاء في سورة الشعراء (٣)، وسيأتي الحديث عنها مفصّلاً إن شاء الله. والجديد في هذه الآيات عن قصّة صالح عَيْهِالسَّلامُ، على الرغم من إيجازها وإجمالها، أنّها بيّنت لنا مكان ثمود لأوّل مرّة، وهو أنّ مدينتهم كانت الحِجْر (١٠). وإليك تفسير الآيات الكريمة:

- ١ قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدُ كُذَّبَ أَصْحَبُ ٱلْحِبْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الحجر: ٨٠].
- ﴿وَ﴾؛ الواو للعطف، عطف قصّة أصحاب الحجر على قصّة أصحاب الأيكة.

⁽١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١/١).

⁽٢) مقاصد القرآن الكريم ومحتوياته، عبد الله التلبيدي، ص ١٤١.

⁽٣) القصة في القرآن الكريم، د. عصام الدين الهنامي، ٢٠٢٣م، ص٨٨.

٤) من قصص القرآن، د. فضل حسن عباس، ص ٢٤١.



- ﴿والـلام﴾؛ للتخفيف، وهي داخلة على الفعل الماضي (كذّب) لمزيد التوكيد، وأنّه حصل منهم التكذيب.

- (التكذيب): جُحْد ما جاء به الرسل، وزعْم الكذب بحقّ كل نبيّ كذّبه قومه من الأنبياء (عَلَيْهِ السَّلَامُ جميعاً).

والكاذب يكذّب الناس الصادقين. والكفر والتكذيب وجهان لقضيّة واحدة.

أ- ﴿أَصْحَابُ ٱلْحِجِي﴾:

سكّان المكان أو مالكوه، أو المقيمون فيه، ويمكن أن نقول أصحاب الشيء لأدنى ملابسة كما يقولون، فأصحاب الكهف مروا به مروراً عابرين، فجعله الله وطناً لهم، ومسكناً ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ تَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴾ [الكهف: ٢٥]. ولأي شيء سمّي الحِجر بهذا الاسم؟ هل لأنّه في نظر أهله ممتنع مع كلّ عدوّ خارجي طامع لحصانته ومنعته؟ أم لأنّه نحت من الحجر كما نُحتت البتراء؟

كلّ ذلك محتمل، وهما احتمالان مترابطان على كلّ حال، فهو، أي المكان الممتنع على ذي الطمع، لأنّه منحوت من الصخر ومُحصّن (١).

- وفي الشعراء: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَلْرِهِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤٩].
- وهنا في الحجر: ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٦].
 - وفي الشعراء: ﴿ أَتُتَرَكُونَ فِي مَا هَلَهُ نَآ ءَامِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤٦].
 - ب- ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾:

⁽١) تفسير سورة الحجر، د. أحمد نوفل، جمعية المحافظة على القران الكريم، ٢٠١٩م، ص٣٧٢.

كذّب قوم صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ -وهم أصحاب الحجر- رسولَهم صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ، ومن كذّب واحداً، فكأنّما كذّب النبيين والمرسلين أجمعين، ومن قتل نفساً فكأنّما قتل الناس جميعاً، القاعدة ذاتها(١).

ذلك أنّ الأنبياء جميعاً قد جاؤوا بدين واحد، فمن كذّب واحداً فقد كذّبهم جميعاً، ومن هنا جاء الإسلام بما ينبغي به الدين الخاتم: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدِ مِّن رُسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]؛ فلا يكون مسلماً مَن لا يؤمن بالأنبياء جميعاً (٢٠).

لأنّ تكذيب رسول واحدٍ تكذيبٌ لكلّ الرسل، ولا يصحّ إيمانُ مَن يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعضهم الآخر. ومن جحد نبوّة واحد من الرسل المذكورين في القرآن الكريم كان كافراً، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً (٣).

فقوم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ لَم يُكذّبوا سوى رسولهم صالح، ولكنّ صالحاً ليس إلّا ممثّلاً للرّسل جميعاً، فلما كذّبه قومه قيل: إنّهم كذّبوا المرسلين؛ توحيد للرسالة، وللرسول، وللمكذّبين في كلّ أعصار التاريخ، وفي كلّ جوانب الأرض على اختلاف الزمان والمكان والأشخاص والأقوام (١٠).

- قال الإمام الزمخشري رَحَمَهُ اللَّهُ في تفسير الآية: (أصحاب الحجر) هم قبيلة ثمود، والحجر واديهم بين المدينة والشام (٥).

⁽١) تفسير سورة الحجر، ص٢٧٢.

⁽٢) من أنباء القرى، د. أحمد الكبيسي، مؤسسة الرسالة العالمية، ط١، ٢٠٠٧م، ص١٨٥.

⁽٣) رسالة الأنبياء، د. عمر أحمد عمر، دار الجيل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م (١٦١).

⁽٤) في ظلال القرآن (٢١٥١/٤).

⁽٥) تفسير سورة الحجر، ص٧٧٣.



- وقال ابن عاشور رَحمَهُ اللَّهُ: الحجر المكان المحجور، أي: الممنوع من الناس بسبب اختصاصهم به، أو اشتُق من الحجارة لأنهم كانوا ينحتون بيوتهم من صخر الجبل نحتاً مُحكماً (۱).

٢- قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ [الحجر: ٨١].

آية صالح عَلَيْوَالسَّلَامُ كانت الناقة، ولكن الآيات في هذا الكون كثيرة، والآيات في الأنفس كثيرة، وكلها معروضة للأنظار والأفكار، وليست الخارقة التي جاء بها صالح عَلَيْوالسَّلَامُ وحدَها الآية التي آتاهم الله، وقد أعرضوا عن آيات الله كلها، ولم يفتحوا لها عيناً ولا قلباً (٢).

ومعنى الآية: آتيناهم الدلائل الدالّة على صدق نبيّ الله صالح الذي أرسل إليهم كالناقة التي خلقها الله تعالى من صخرة بيد صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأعرضوا عنها ولم ينتفعوا بها (٣).

والآيات تصحّ على ثلاث معان: الرسالة والكتاب والمعجزات الماديّة كالناقة، والآيات الكونيّة. والمكذّبُ مكذّبُ بها جميعاً (٤).

- ومعنى ﴿مُعْرِضِينَ ﴾؛ أي: مدبرين مشيحين عن الحقّ، والرسول الداعي إلى الحق، ومتولّين عنه ومبتعدين، بسبب الكبر من ناحية، وطول الإلْف لما هم عليه من ناحية أخرى، والمصالح من جهة أخرى (٥)، والحسد والفساد كذلك.

⁽١) التحرير والتنوير (٦/ ٢٣٢).

⁽٢) في ظلال القرآن (٢١٥١/٤).

⁽٣) التفسير الموضوعي (٤/٠٠٤).

⁽٤) تفسير سورة الحجر، ص٣٧٦.

⁽٥) المصدر السابق، ص٧٥٥.

أ- قال المراعى في تفسيره للآية رَحْمَدُاللَّهُ:

أي: وأريناهم حججنا الدالّة على نبوّة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، من الناقة وغيرها من الآيات فأعرضوا عنها، ولم يعتبروا بها(١).

ب- وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

جمع الآيات في قوله: ﴿ اَتَيْنَا ﴾ مراد به الجنس، وهي الناقة. أو أُريد أنّها آية تشتمل على آيات كيفيّة خروجها وحياتها، ورعيها وشربها (٢).

جـ- وقال الدكتور سعد الدين عبد الرحمن الحمدان:

وقد دلّ النظم في هذه الآية الكريمة على عظمة الآيات التي آتاهم الله، وفخامتها واستعظام موقفهم منها وإعراضهم عنها، فالتعبير بالفعل ﴿ اَتَيْنَا ﴾ الذي هو بمعنى الإعطاء الدالّ على الإكرام والمنة (٢)، مع إسناد الإيتاء إلى نون العظمة، ثمّ ذِكْر الضمير العائد عليهم يدلّ على أنّ الله امتنّ عليهم بهذه الآيات العظيمة، لتكون سبباً في هدايتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة، ولإقامة الحجّة عليهم، فكان الواجب أن يشكروا الله عَرَقِبَلَ، لا أن يكفروا ويُعرضوا، والتعبير بصيغة الجمع ﴿ اَتَيْنَا ﴾، يدلّ على أنّها آيات متعددة وذلك قطعاً لعذرهم. وإضافة الآيات إلى نون العظمة يدلُّ على أنّها آيات عظيمة كافية لمن تدبّرها طالباً للحقّ.

ولكنّ هؤلاء القوم قابلوا هذا الإيتاء وهذه الآيات العظيمة بالإعراض، قال عَنْهَجَلّ مُشنّعاً عليهم: ﴿فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾.

⁽١) المصدر السابق نفسه.

⁽٢) التحرير والتنوير (٦/ ٢٣٢).

⁽٣) النظم القرآني في قصة صالح، ص ١٤١.



- (الفاء)؛ تدلُّ على سرعة كُفرهم، ومبادرتهم إلى الإعراض عن الآيات.
- ﴿ فَكَانُولُ ﴾؛ الفعل الناقص (كان)، ومجيء خبرها اسماً، إذ يدلّ هذا الاستعمال على رسوخ معنى الخبر في اسمها(۱). والاتّصاف بالحدث في الزمن الماضي على وجه الثبوت(۲). أي: أنّ القوم متّصفين بصفة الإعراض عن آيات الله عَنْ عَلَى على وجه الثبوت، فهم راسخون في الإعراض، وفي ذلك غاية الذمّ لهم.
- ﴿عَنْهَا﴾؛ تقديم الجار والمجرور على الخبر للاهتمام بشأن الآيات التي أعرضوا عنها، واستعظام إعراضهم، كما أنّ تقديم الجار والمجرور أليق بالسياق، لأنّ الآية تتحدّث عن الآيات التي آتاهم الله عَنْهَكَلَ، فأصبحت نُصْب العين، والتفت إليها الخاطر(٣). فناسب تقديم الجار والمجرور الذي هو الضمير العائد على الآيات. وأيضاً في تأخير (الخبر) تشويق إليه، ومراعاة للفاصلة القرآنيّة (١٤).

٣- قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٦].

هذا وصف حال قوم أصحاب الحجر بعد وصف حالهم مع الرسول والرسالة، هذا وصف معيشتهم وسكناهم، فقد آتاهم الله البيّنة وآتاهم الأمن والسكن الفاره المريح.

أ- ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾:

⁽١) المصدر السابق نفسه.

⁽٢) معانى النحو، فاضل السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٩م (١/ ١٩٤).

⁽٣) مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م، ص٢١٥.

⁽٤) النظم القرآني في قصة صالح، ص١٤٢.

نحت قوم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ مدينة من الصخر في جبل، فكانت في ذلك الوقت المبكّر من فجر البشريّة مثاراً للدهشة والسبق. وأمّا الأنباط العرب -وهم كقوم صالح عرب- والاثنان حفرا ونحتا الجبال بيوتاً فكانت مثاراً لدهشة العالم حتّى الآن، وإن كان الأنباط قريبي عهد، لا يتجاوز التاريخ الميلادي، أمّا قوم صالح فأقدم بكثير من هذا فآثارهم باقٍ منها ما يدلّ عليها.

- (فالنحت): الحفر والقطع مع تصميمات هندسيّة لتكون بيوتاً ومرافق.
 - (من): في قوله ﴿مِنَ ٱلْجِبَالِ ﴾؛ إمّا تبعيضيّة وإمّا بيانيّة.

ب- ﴿ءَامِنِينَ ﴾:

أي: محصّنين ممتّعين على عدوّكم، لا يصل إليكم ولا يخاطر باقتحام مساكنكم، والأمن مطلب إنسانيّ رئيس، ومطلب دينيّ كذلك، ولذا فرض الله الأشهر الحرم ليأمن الناس في عبادة الحج، وامتنّ على الناس بالأمن، وجعل الأمن ثمرة من ثمرات الإيمان(١)، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَنَهُم بِظُلْمٍ أُولَاتِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُمّ تَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

قال السعدي رَحْمَا الله في قوله ﴿ اَمِنِينَ ﴾: من المخاوف مطمئنين في ديارهم، فلو شكروا النعمة، وصدّقوا نبيّهم صالحاً عَيْمِ السَّكُمُ لأدرّ الله عليهم الأرزاق، ولأكرمهم بأنواع من الثواب العاجل والآجل، ولكنّهم لمّا كذّبوا وعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربّهم، وقالوا: ﴿ وَقَالُواْ يَصَلِحُ النَّيْنَ اللهُ رُسَلِينَ ﴾ أمر ربّهم، وقالوا: ﴿ وَقَالُواْ يَصَلِحُ النَّيْنَ اللهُ رُسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٧]، ﴿ فَأَخَذَتُهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾ [الحجر: ٨٣] (٢).

⁽١) تفسير سورة الحجر، ص٣٧٨.

⁽Y) تفسير السعدى (Y \ Y \ Y).



٤ - قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾ [الحجر: ٨٣].

وهذه اللمحة الخاطفة من الأمن في البيوت الحصينة في صلب الجبال، إلى الصيحة تأخذهم فلا تُبقى لهم ممّا جمعوا وممّا كسبوا وممّا بنوا وممّا نحتوا شيئاً يُغنى عنهم، ويدفع الهلاك الخاطف. هذه اللمحة تلمس القلب البشريّ لمسة عنيفة، فما يأمن قوم على أنفسهم أكثر ممّا يأمن قوم بيوتهم المنحوتة في صلب الصخور، وما يبلغ الاطمئنانُ بالناس في وقت أشد من قوم صالح، تأخذهم الصيحة مصبحين، وهم في ديارهم الحصينة آمنون، فإذا كلّ شيء ذاهب، وإذا كلّ وقاية ضائعة، وإذا كلُّ حصين موهون، فما شيء من هذا كلُّه بواقيهم من الصيحة، وهي فرقعة ريح أو صاعقة، تلحقهم فتهلكهم في جوف الصخر المتين(١١).

أً- قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تقطّعت قلوبهم في أجوافهم، وأصبحوا في دارهم جاثمين هلكي، مع ما يتبع ذلك من الخزي واللعنة المستمرّة (٢).

ب- قال المراغى رَحْمَهُ ٱللَّهُ:

فأخذتهم صيحة الهلاك حين كانوا في صحوة اليوم الرابع من اليوم، الذي أُوعدوا فيه بالعذاب، كما جاء في قوله ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَثَةَ أَيَّامِرُّ ذَالِكَ وَعُدُّ عَيْرُ مَكِذُوبٍ ﴾.

ومن الدروس من الآية الكريمة:

- العذاب بانتظار كلّ من أخذ واتّخذ التكذيب منهجاً.

⁽١) في ظلال القرآن (٤/ ٢١٥٢).

⁽۲) تفسير السعدي (۲/۳۱۳).

- 154
- لم تغن قومَ صالح حصونُهم التي ظنّوها حجراً محجوراً.
- يغتر الناس بقوّتهم وينسون قوّة الله التي لا يقف لها شيء.
- القياس الفاسد سبب لكثير من الخراب، فكثيراً ما يقيس الناس ربّ العالمين على مقاييسهم وخبرتهم وأنفسهم (١).
 - ٥ قوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الحجر: ٨٤].

من الأموال والزروع والثمار (٢) والحصون، وكلّ ما كانوا يعملون ويجتهدون فيه سواء، أكانت بيوتهم المحفورة في الجبال، والمنحوتة في الصخر، أم ما صنعوا من وسائل، وما اصطنعوا من أسباب البقاء كآبار حفظ الماء لتستمرّ الحياة، أو ما حفروا بحثاً عن ينابيع، أو غير ذلك من وسائل حفظ البقاء والاستمرار (٣).

قال السعدي رَحْمَهُ اللَّهُ: لأنَّ أمر الله إذا جاء لا يرده كثرة جنود ولا قوّة أنصار، وغزارة أموال (٤).

من الدروس والعِبر في الآية:

- لا يُغني تدبير ولا يُجدي شيء نفعاً أمام عقاب الله إذا حلّ، وعذابه إذا وقع.
- يصطنع الناس أسباب بقائهم، واستمرارهم، ولا بأس، ولكن أن يعملوا لبقائهم الحقيقي، وحياتهم الدائمة أهم.

⁽١) تفسير سورة الحجر، ص٣٨٣.

⁽٢) التفسير الموضوعي (٤/٠٠٤).

⁽٣) تفسير سورة الحجر، ص٣٨٥.

⁽٤) تفسير السعدي (٢/ ٣١٣).



- يفطن الناس للمهم، ويهملون الأهم، فهم يفطنون للدنيا، ولا ينتبهون للآخرة، وهي الكنز ورأس المال.

٦ - مرور النبيّ صَاَّلتَهُ عَلَيْهِ وَسَالَّة بالحجر ديار ثمود:

عن ابن عمر رَضَالِلُهُ عَنْهُا قال صَلَّاللَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحاب الحجر: «لا تدخلوا على هؤلاء القوم إلّا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم يصيبكم مثل ما أصابهم»(١).

وعن ابن عمر: أنّ رسول الله صَالَاللهُ عَالَيْهُ عَلَيْهِ وَسَالًم نزل عام تبوك بالحجر عند بيوت ثمر ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود، فنصبوا القدور، وعجنوا الدقيق، فقال رسول الله صَالَاللهُ عَلَيْهِ وَسَالًم: «أكفئوا القدور، واعلفوا العجين الإبلَ»، ثمّ ارتحل حتّى نزل في الموضع التي كانت تشرب منه الناقة، فقال: «لا تدخلوا على هؤلاء القوم الذين عُذبوا فيصيبكم ما أصابهم»(٢).

أ- قال القرطبي رَحْمَهُ ٱللَّهُ:

يُستفاد منه: كراهة دخول أمثال تلك المواضع، فإن كان ولا بدّ من دخولها، فعلى الصفة التي أرشد إليها النبيّ صَالَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَالَم من الاعتبار والخوف والإسراع، كما أنّ فيها دليلاً على بعض أهل الفساد، وذمّ ديارهم وآثارهم (٣).

⁽۱) البخاري (۸/ ٤٨٥)، رقم (٤٧٠٢).

⁽٢) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، رقم (٦٢٠٣).

⁽٣) المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، القرطبي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١،٩٩٦م (٧/ ٣٥٤-٣٥٤).

وقال أيضاً: فحقّ المارّ بموضع الـمُعاقبين أن يُحدّد النظر والاعتبار، ويُكثر من الاستغفار في تلك الديار(١).

ب- قال النووي رَحْمَهُ ٱللَّهُ:

فيه الحثّ على المراقبة عند المرور بديار الظالمين، ومواضع العذاب، ومثله الإسراع في وادي مُحسّر؛ لأنّ أصحاب الفيل هلكوا هناك، فينبغي للمار في هذه المواضع الخوف والبكاء والاعتبار بهم، وبمصارعهم، وأن يستعيذ بالله من ذلك(٢).

رابعاً: قصّة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة الشعراء:

سورة الشعراء مكية، وآياتها سبع وعشرون ومائتان (بين يدي السورة). وقد عالجت أصول الدين من التوحيد والرسالة والبعث، شأنها شأن سائر السور المكية،

⁽١) المصدر السابق (٧/ ٣٥٤).

⁽۲) شرح النووي على صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، مؤسسة قرطبة للطباعة والتوزيع والنشر، ۲۰۰۹م (۲۰ / ۳۲۵/ ۳۲۵).



التي تهتم بجانب العقيدة وأصول الإيمان. وابتدأت السورة الكريمة بموضوع القرآن العظيم الذي أنزله الله هداية للخلق، وبلسماً شافياً لأمراض الإنسانية، وذكرت موقف المشركين منه، فقد كذّبوا به مع وضوح آياته، وسطوع براهينه، وطلبوا معجزة أخرى غير القرآن الكريم عناداً واستكباراً.

ثمّ تحدّثت السورة عن طائفة من الرسل الكرام عَلَيْهِمْ السَّلامُ، الذين بعثهم الله تعالى لهداية البشريّة، فبدأت بقصّة الكليم موسى عَلَيْهِ السَّلامُ مع فرعون الطاغية الجبّار، وما جرى من المحاورة والمداورة بينهما في شأن الإله جَلَّوَكَلا، وما أيّد الله تعالى به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من الحجّة الدامغة، ومعالم كثيرة من قصّته، وكذلك الأحداث العظيمة التي مرّ بها إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وموقفه من قومه وأبيه في عبادتهم للأوثان والأصنام. وقد أظهر لهم بقوّة حجّته ونصاعة بيانه، وبطلان ما هم عليه من عبادة مالا يسمع ولا ينفع. وأقام لهم الحجّة القاطعة على وحدانيّة الله ربّ العالمين، الذي بيده النفع والضرّ، والإحياء والإماتة. ثمّ تحدّثت السورة عن المتّقين والغاوين، والسعداء والأشقياء، ومصير كلّ من الفريقين يوم الدين. وبعد أن تابعت السورة في ذكر قصص الأنبياء؛ نوح وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، على نبيّنا وعليهم أزكى الصلاة والتسليم، وبيّنت سنّة الله تعالى في معاملة المكذّبين لرسله؛ عادت للتنويه بشأن الكتاب العزيز، تفخيماً لشأنه، وبياناً لمصدره: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِينِ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

ثمّ ختمت السورة بالردّ على افتراء المشركين في زعمهم أنّ القرآن من تنزيل الشيطان، ليتناسق البدء مع الختام، في أروع تناسق والتئام.

وسمّيت سورة الشعراء؛ لأنّ الله تعالى ذكر فيها أخبار الشعراء، وذلك للردّ على المشركين في زعمهم أنّ سيدنا محمّد صَّاللَّهُ عَيْدُوسَالَم كان شاعراً، وأنّ ما جاء به من قبيل الشعر، فردّ الله تعالى عليهم ذلك الكذب، والبهتان بقوله: ﴿وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَبِعُهُمُ الْغَاوُدِنَ شَ أَلَمُ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادِ يَهِيمُونَ ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ الفَاوُدِنَ شَ أَلَمُ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادِ يَهِيمُونَ ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٤]. وبذلك ظهر الحقّ وبان (١٠).

١ - قوله تعالى: ﴿ كَذَبَتْ تَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَلِحٌ أَلَا تَتَقُونَ ﴿ إِنَّ إِنَّ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿ وَمَا أَسْعَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِى إِلَّا عَلَى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [الشعراء: ١٤١-١٤٥].

وإليكم تفسير الآيات:

أ- ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾:

هذه نهاية المكذبين والمتكبرين -نهاية القصة - يبدأ بها لإبرازها منذ البداية، ثمّ يأخذ في التفصيل. وقوم صالح لم يكذّبوا إلّا صالحاً، ولكنّه يُذكّرهم أنّهم كذّبوا المرسلين، فالرسالة في أصلها واحدة؛ وهي دعوة إلى توحيد الله، وإخلاص العبوديّة له، فمن كذّب بها فقد كذّب بالمرسلين أجمعين، فهذه دعوتهم أجمعين. والقرآن يؤكّد هذا المعنى ويُقرّه في مواضع بصيغ متعدّدة، لأنّه كليّة من كُليّات العقيدة الإسلاميّة، التي تختصّ بها الدعوات جميعاً وتُقسَم بها البشريّة كلّها إلى صفيّن، صف المؤمنين وصف الكافرين، على مدار الرسالات، ومدار القرون. وينظر المسلم فإذا المؤمنون في كلّ دين وكلّ عقيدة من عند الله، هي أمّته منذ فجر التاريخ إلى مشرق الإسلام دين التوحيد الأخير، وإذا الصف الآخر هم الكفّار

⁽١) مقاصد القرآن الكريم ومحتوياته، ص١٨٥.



في كلّ ملّة وفي كلّ دين. وإذا بالمؤمن يؤمن بالرسل جميعاً، ويحترم الرسل جميعاً، لأنّهم حملة رسالة واحدة هي رسالة التوحيد(١)، وأي أمّة تكفر برسولها فكأنّما كفرت بجميع المرسلين.

إنّ لاستخدام كلمة: ﴿كَذَّبَتُ ﴾ هنا أهميّة خاصّة، وخصوصاً أنّها وردت منذ البداية، فالتكذيب في المجال الروحي يعني عدم التصديق بما جاء في الرسالات السماويّة. والتكذيب قد يُعتبر كمفتاح لصفات أخرى لأي قوم اتصفوا بعدم التصديق، فالإنسان الذي يكذّب بكل الرسالات السماويّة جبار في طبعه، قاسٍ في قلبه، مستكبر في تصرفاته، لأنه لا يمتلك صفة التعقّل، وميزة الحكمة التي تُحجم الإنسانَ عادة عن عمل السوء.

ويبدو أنّ انحراف القوم، وتوجّههم نحو الشرّ، قد منعهم من رؤية الأمور في منظارها الصحيح، وغرس فيهم روح التحدّي الذي قد بلغ ذروته لديهم. ومن هذه الزاوية فقد أتى صالح برسالته السماويّة لإصلاح تلك النفوس الملتوية (٢).

ب- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَلِحٌ أَلَا تَتَقُونَ ﴾:

صرّح القرآن الكريم في شِرعة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنّه الأخ لقومه الكافرين، باعتبار أخوة الإنسانيّة، أي: من أبيهم آدم، وهي أخوة نسب لا أخوة دين.

والأخوُّة لغة وشرعاً على درجات وطبقات، وأوَّلها الأخوة الإنسانيّة التي وُصف بها الأنبياء مع قومهم وقبائلهم. وتكرّر ذلك في القرآن الكريم والسنّة النبويّة، وجاء في حديث الإسراء أنّ الأنبياء إخوة، وكانوا يقولون لرسول الله صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
"مرحباً بالنبيّ الصالح، والأخ الصالح".

⁽۱) في ظلال القرآن (٥/٢٦٠٧).

⁽٢) أحسن القصص، د. زاهية الدجاني، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ٢٠٠٨م، ص٦٦.

وأعلى درجات الأخوّة أخوة الإيمان، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]. وقال رسول الله صَاَّلِللّهُ عَلَيْهِ وَسَالًة: «المؤمن أخو المؤمن»(١).

- ﴿أَلَا تَتَقُونَ﴾؛ وتخافون عاقبة ما أنتم فيه؟ وتستشعر قلوبكم خوف الله وخشيته؟

وهذا التوجه إلى التقوى مطرد في هذه السورة(٢).

والاستفهام: ﴿أَلَا تَتَقُونَ ﴾ [الشعراء: ١٤٢]، فيه العرض مع الحضّ: ألا تتقون الله في توحيده وإفراده بالعبادة والطاعة والاستجابة لرسوله.

والتقوى: هي الالتزام بشرع الله، واجتناب نواهيه. وهي الترفّع عن الدنيا، وأغراضها، والسعى للحصول على رضى الله تعالى، وتجنّب غضبه، وعذابه (٣).

جـ- ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾:

لا يخون، ولا يخدع، ولا يغشّ، ولا يزيد شيئاً أو ينقص شيئاً ممّا كُلِّفه من التبليغ.

إنّي لكم رسول مبعوث من عند الله، وأمين على رسالة ربّي، أبلّغها لكم، كما أتلقّاها بالوحي عنه، لا أزيد فيها، ولا أنقص منها. ويترتّب على كونه رسول الله، مُبلّغاً عن ربّه رسالاته، أنّهم مأمورون من قِبَل الله بطاعته.

د- ﴿فَأَتَّقُواْ أَلَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾:

⁽١) سنن أبي داود (٢/ ٥٧٦)؛ شرعة الأنبياء ص٩٤.

⁽٢) في ظلال القرآن (٥/٢٦٠٧).

⁽٣) أنبياء في القرآن تركوا آثاراً، ص٥٥.



اتقوا عذاب الله، وأطيعوني فيما أدعوكم إليه، لأنّكم إن لم تطيعوني فيما أدعوكم إليه الأنّكم إن لم تطيعوني فيما أدعوكم إليه -وأنا رسول مبلّغ عن الله- كنتم مستحقّين لعقابه وعذابه، فليست القضيّة قضيتين وإنّما هي قضيّة الله ربّي وربّكم (۱).

هـ- ﴿ وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾:

لما كان يتبادر لأذهان الأقوام المدعوّين إلى مبدأ أو فكرة أو علم أو جماعة لاتهامهم الدّاعي بأنّ له مصلحة شخصيّة، يحصل عليها من جرّاء اتباعهم له. كان من الحكمة أن يُعلن الرسول تجرّده من أيّة مصلحة شخصيّة، يحصل عليها من قومه الذين يدعوهم إلى دين الله ربّه وربّهم، ومعلوم أنّ أدنى المصالح وأخفّها مطالبتهم بأجر على ما يقدّمه لهم من تعليم ونصح وإرشاد، والظاهر أنّ التبرّؤ من أدنى المصالح وأخفّها يستلزم بداهة التبرّؤ ممّا هو أصعب على نفوس القوم وأشد، فأبان لهم صالح عَلَيْوالسَّلَامُ أنّه ما يسألهم على ما يبذل لهم من أجر، مهما كان قليلاً أو خفيفاً، دلّ على ذلك (٢) قوله تعالى: ﴿وَمَا أَسْعَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾.

و- ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾:

ليس معنى ذلك أنّه لا يطلب أجراً مطلقاً، إنّها مثاليّة خياليّة بالنسبة للبشر، وهو لا يدّعيها، بل هو ضامن أجراً يظفر به عند ربّ العالمين، فقد تكفّل الله عن المدعوّين بأجر الدعاة إلى دينه وعبادته، فقال صالح عَلَيْوَالسَّكَمْ: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ المحدعوّين بأجر الدعاة إلى دينه وعبادته، فقال صالح عَلَيْوَالسَّكَمْ: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبّ المحصول على الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤٥]؛ فلا رغبة لي في أمو الكم أو مساعدتكم أو الحصول على منفعة منكم، أو أيّ مصلحة أطلبها لذاتي، لأنّ أجري على ربّ العالمين.

⁽١) نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ والطوفان العظيم، ص ٦٤.

⁽٢) انظر للتوسع: أخلاق الأنبياء عَلَيْهِ مَالسَّلَم، محمد درويش، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ص ٦١.

٢- قوله تعالى: ﴿أَتُتُرَكُونَ فِي مَا هَهُنَا ءَامِنِينَ ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونِ ﴾
 [الشعراء: ١٤٧،١٤٦].

كان قوم صالح عَلَيْوالسَّلامُ قد أعرضوا عن عبادة الله تعالى وأنكروا البعث، وغرّهم أئمّة كفرهم في ذلك، فجاءهم صالح عَلَيْوالسَّلامُ رسولاً يذكّرهم بنعمة الله عليهم، بما مكّن لهم من خيرات، وسخّر لهم من أعمال عظيمة، ونزّل حالهم منزلة من يظنّ الخلود، ودوام النعمة، فخاطبهم بالاستفهام الإنكاري التوبيخي(۱)، فقال لهم:

أ- ﴿ أَتُتُرَكُونَ فِي مَا هَهُنَا عَامِنِينَ ﴾:

هذا ســـؤال اســـتنكار، معناه: لا تُترْكون فــي هذا النعيم آمنيــن مطمئنين، بغير تكليف بطاعــة المنعم وعبادته، فالله ســبحانه العليم الحكيم مــا خلقكم لمجرّد المتاع واللّهو(٢).

وقال الشيخ متولّي الشعراوي رَحْمَهُ اللّهُ: يُريد أن يوبّخهم: أتظنّون أنّكم ستخلّدون في هذا النعيم، وأنتم آمنون، أو تأخذون نعم الله، ثمّ تُفرّون من حسابه، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمُ أَنَمَا خَلَقُنَكُم عَبَثَا وَأَنّكُم إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥](٣).

- ﴿هَاهُنَآ ﴾؛ إشارة إلى بلادهم، أي: في جميع ما تشاهدونه، وهذا إيجاز بديع.
- ﴿ اَمِنِينَ ﴾؛ وهذا تنبيه على نعمة عظيمة، وهي نعمة الأمن التي من أعظم النعم، ولا يُتذوّق طعم النعم الأخرى إلّا بها(٤).

التحرير والتنوير (٨/ ٣٩٩).

⁽۲) التفسير الموضوعي (٦/ ١٧٩).

⁽۳) تفسير الشعراوي (۱۷/۱۷۷).

⁽٤) التحرير والتنوير (Λ/Λ).



ب- ﴿فِي جَنَّاتِ وَعُيُونِ ﴾ [الشعراء: ١٤٧]:

امتداد للآية السابقة، يعني: لا تظنّوا أنّ هذا اليوم يدوم لكم، ﴿جَنَّتِ ﴾: جمع جنّة، وهي المكان المليء بالخيرات وكلّ ما يحتاجه الإنسان، أو هو المكان الذي إن سار فيه الإنسان سترته الأشجار؛ لأنّ جَنَّ يعني ستر، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ﴾ [الأنعام: ٧٦]؛ ستره، ومنه الجنون: يعني ستر العقل، وكذلك الجنّة: فهي تستر عن الوجود كلّه، وتغنيك عن الخروج منها إلى غيرها، ففيها كلّ ما تتطلّبه نفسك، وكلّ ما تحتاجه في حياتك(١).

وقوله ﴿فِي جَنَّاتِ ﴾؛ ينبغي أن يعلق بـ ﴿ءَامِنِينَ ﴾؛ ليكون مجموع ذلك تفصيلاً لإجمال اسم الإشارة، أي: اجتمع لهم الأمن ورفاهيّة العيش والجنّات: الحوائط التي تشجر بالنخيل والأعناب(٢).

- ﴿ وَعُيُونِ ﴾؛ لأنَّ الجنَّة تحتاج دائماً إلى الماء ليضمن بقاءها (٣).

فالعيون سبب وجود الجنّات، ولذلك امتنّ الله بها عليهم، وهي جمع عين: والعين ينبوع الماء الذي ينبُع من الأرض ويجري، ويدلّ ذلك على أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد رزقهم الماء، بلا كلفة ولا مشقّة، فهو ينبوع من الأرض، لا يحتاجون إلى حفر كي يحصلوا عليه (٤).

⁽۱) تفسير الشعراوي (۱۷/ ۱۰۶۸).

⁽٢) التحرير والتنوير (٨/ ٣٩٩).

⁽٣) تفسير الشعراوي (١٠٦٤٨/١٧).

⁽٤) النظم القرآني في قصّة صالح، ص١٧٥.

٣- قوله تعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلِ طَلْعُهَا هَضِيرٌ ﴾ [الشعراء: ١٤٨].

أ- النخل:

وهو من الزروع، ولكن خصّ النخل من باب ذكر الخاص بعد العام. والنخل شبه الرسول صَّالِللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمسلم، ولو تأمّلت النخلة، لوجدت كلّ شيء فيها نافع، وله مهمّة، وينتفع الزرّاع به، ولا يُلقى منها شيء مهما كان بسيطاً.

- فالجذوع تُصنع منها السواري والأعمدة، وتُسقف بها البيوت قبل ظهور الخرسانة.

- ومن الجريد تُصنع الأقفاص، ومن الجزء المفلطح من الجريدة ويسمّى (القحف). والذي لا يصلح للأقفاص كانوا يجعلونه على شكل معيّن، فيصير (مقشّة) يكنسون بها المنازل.

- ومن الليف يصنعون الحبال، ويجعلونه في تنجيد الكراسي وغيرها، حتى الأشواك التي تراها في جريد النخل خلقه الله لحكمة وبقدر؛ لأنّها تحمي النخلة من الفئران أثناء إثمارها.

- والليف الذي ينمو بين أصول الجريد جعله الله لحماية النخلة، وهي في طور النمو، وماتزال غضّة طريّة، إذن: هي شجرة خيّرة، كالمسلم، ولذلك عندما قال رسول الله صَلَّاللَّهُ عَلَيْهُ وَسَلَّمَ: «إنّ من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي كالمسلم، حدّثوني ما هي؟ فوقع الناس من شجر البادية، قال ابن عمر رَضَالِلَهُ عَنْهُ: ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبد الله: فاستحييت، فقالوا: يا رسول الله أخبرنا بها، فقال رسول الله صَلَّاللَهُ عَلَيْهُ وَسَلَمَ: هي النخلة. قال عبد الله: فحدّثت أبي بما وقع في نفسي،



فقال: لأن تكون قلتها أحبّ إليّ من أن يكون لي كذا وكذا»(١). والذين يزرعون النخيل يرون فيه آيات وعجائب دالّة على قدرة الله تعالى(٢).

ب- ﴿طَلْعُهَا ﴾:

والطلع: وعاء يطلع من النخيل فيه ثمر النخلة في أوّل أطواره، يخرج كنصل السيف في باطنه شماريخ القِنو، ويسمّى هذا الطلع الكِمَّ بكسر الكاف، وبعد خروجه بأيّام ينفلق ذلك الوعاء من الشماريخ، وهي الأغصان التي فيها الثمر كحبّ صغير، ثمّ يغلظ ويصير بُسراً ثمّ ثمراً (٣).

جـ- ﴿هَضِيرٌ ﴾:

اللطيف الدقيق⁽³⁾، وبمعنى: مهضوم، وتُقدّم لنا الآية معلومةً عن فائدة التمر الغذائيّة، فهو هضيم، أي: هو سريع الهضم، فالمعدة تهضمه، وتمتصه بسرعة، ولا تجد في ذلك معاناة، والدم يحمل ما فيه من سكّر وعناصر غذائيّة للجسم، وما أن يأكل الإنسان حبّات من التمر، حتّى يشعر بالحيويّة والنشاط، ولهذا من السنّة للصائم أن يَفطر على حبّات من التمر، ويُتبعها بشربة ماء، ليعود لجسمه نشاطه وحيويّته، وذلك لأنّ هذا التمر هضيم، كما قرّر صالح عَلَيُوالسَّلَمُ قبل آلاف السنين (٥). وقيل معنى ﴿هَضِيمُ ﴿ المنظّم في وعائه قبل أن يظهر: وأصل الهضم النقض (٢).

⁽۱) البخاري، كتاب العلم، رقم (۱۳۱).

⁽۲) تفسير الشعراوي (۱۷/ ۱۰۲۵۰).

⁽٣) التحرير والتنوير (٨/ ٣٩٩).

⁽٤) شرعة الله للأنبياء، ص١٣١.

⁽٥) القصص القرآني، الخالدي (١/ ٢٧٧).

⁽٦) التدبر والبيان (٢٤/ ٤١٧)، تفسير القرآن بصحيح السنن.

وقال الشعراوي رَحَمُ اللَّهُ: ﴿ هَضِيرُ ﴾؛ أي: يعني غضّ، ورطب طريّ، وهذا يدلّ على خصوبة في الأرض، ومنه هضم الطعام حتّى يصير ليّناً ومستساغاً (۱). ٤ - قال تعالى: ﴿ وَتَنْحِثُونَ مِنَ الْإِجْبَالِ بُيُوتَا فَرِهِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤٩].

وقد ذكّرهم صالح عَلَيْوالسَّلَامُ بفضل الله عليهم، في تمكينهم من نحت الصخور والجبال(٢).

- و ﴿ فَارِهِ بِنَ ﴾؛ جمع فاره، وفاره: اسم فاعل من فَره، والفره هو الأشر والبَطَرُ والحذق والمهارة.

قال ابن فارس: الفره: كلمة تدلّ على أشر وحذق، والفاره الحاذق بالشيء، والفره الأشِر(٣). ووصْف قوم ثمود بأنّهم كانوا فارهين في نحت بيوتهم في الجبال يُراد به أمران:

الأوّل: وصفهم بالحذق، والمهارة، والإتقان من نحت البيوت. ونحت الصخر يحتاج إلى حذق ومهارة، وما كلّ إنسان يقدر على نحت الصخر، وما كلّ ناحت يكون فارها حاذقاً ماهراً في نحته، وهذا في صالحهم، وفيه إشارة إلى تقدّمهم المعماري، وفنّهم الإنشائيّ الهندسيّ، في نحت الأشكال الهندسيّة الجميلة(٤).

الثاني: ذمّهم، والإنكار عليهم، لأنّهم كانوا فارهين في نحت الجبال بيوتاً، أي كانوا في ذلك أشِرين بطرين، مترفين مسرفين متكبّرين، ولا تناقض بين الأمرين؛

⁽۱) تفسير الشعراوي (۱۷/ ۱۰۲۵۰).

⁽٢) القصص القرآني (١/ ٢٧٢).

⁽٣) معجم مقاييس اللغة (٤٩٦/٤).

⁽٤) القصص القرآني (1/200).



لأنّ قوم ثمود أحسنوا الاستفادة من مواهبهم وقدراتهم في نحت البيوت في الحبال، وكانوا بذلك حاذقين ماهرين، وهذا يسجّل لهم.

ولكنّهم أفسدوا هذه المهارة، وأتلفوا هذا الحذق، عندما استخدموا ذلك في الفَرَهِ والأشر، والتكبّر والبطر، وهذا هو وجه الإنكار عليهم، ولو استغلّوا حذقهم ومهارتهم في تحسين مستواهم العمراني، ولم يستخدموه في البطر والتكبّر لأجادوا وأحسنوا واستحقّوا الثناء.

وفي ﴿فَرِهِينَ ﴾ بالألف: بمعنى: حاذقين ماهرين متقنين.

الثانية: قراءة ابن كثير، ونافع، وأبي عمرو، ويعقوب، وأبي جعفر: ﴿فَرِهِينَ ﴾ بدون ألف، بمعنى: أُشِرين بطرين، متكبّرين (١).

إنّ مجموع القراءتين الصحيحتين (فارهين، فرهين) يدلّ على تحقّق واجتماع معنييهما عند قوم ثمود، فقد كانوا في نحت البيوت فارهين حاذقين ماهرين، ثمّ كانوا بعد ذلك فرهين أشِرين بطرين. ولم تقتصر مساكن ثمود على الإقامة في البيوت المنحوتة في الجبال، وإنّما توسّعوا في تقدّمهم العمرانيّ، فأنشأوا القصور الفخمة في السهول(٢)، وقد مرّ معنا ذلك في سورة الأعراف.

والآيات الكريمة تشير إلى تقدّم حضاري في العمران والبناء والزراعة عند قوم ثمود، حيث شيّدوا القصور وما حولها من الجنان والعيون، وبنوا البيوت في الجبال، ونشأ على إثر ذلك السعة في العيش، وتفاوت مستويات استفادتهم منها، فشكلوا

⁽۱) إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنا، عال الكتب، بيروت، ط۱، ١٩٨٧ م (٢/ ٣١٩).

⁽٢) القصص القرآني (١/ ٢٧٤).

نظاماً اجتماعياً على أساس طبقتين: طبقة المستكبرين، وطبقة المستضعفين (۱). وقد بيننا ذلك في سورة الأعراف، وقد استطاع صالح عَلَيْوالسَّلامُ في حديثه لقومه، من خلال الآيات الكريمة السابقة ما أنعم عليهم من التمكين في الأرض، وإعطائهم العلم والقوّة والقدرة والمهارة ما جعلهم ينحتون الجبال ببراعة، ونلحظ من خلال الآيات الثلاثة السابقة أنّها توحي بجمال المكان الذي كان يعيش فيه قوم ثمود؛ سواء كان جمالاً طبيعيّاً ممّا حباهم الله به من الجنّات والعيون، أم جمالاً مصطنعاً من نحت الجبال والمهارة في ذلك والتفنّن (۱).

٥ - قال تعالى: ﴿فَأَتَّقُواْ أَلَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء: ١٥٠].

ذكّرهم صالح عَلَيْهِ السّكم مجدّداً بتقوى الله عَنَّهِ الله وطاعته، فتقوى الله وطاعته كفيلة أن تُذهب ماضيكم، وتمحو ذنوبكم، بل وتبدّله خيراً وصلاحاً: ﴿إِنَّ اللّهَ يَعْاتِ ﴾ [هود: ١١٤]. فدعاهم صالح عَلَيْهِ السّكم إلى أن يتقوا عقاب الله بطاعته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيما أمر به ونهاهم عنه. وتكرار الأمر بتقوى الله وطاعته، للتأكيد على ذلك، والاهتمام بشأنهما، والتحذير من عقوبة الله بسلب ما ذكر من النعم منهم، فقد بذل صالح عَلَيْهِ السّكم وسعه في نصحهم، واستنفذ طاقته؛ لردّهم عن غيّهم، وأنّه أقام الحجّة عليهم، فلا عذر لهم. وفي تكرار الأمر بالتقوى أيضاً تناسب مع جوّ السورة الذي يغلب عليه التكذيب والإنذار والعقاب (٣).

⁽۱) سنن الله في الحضارة الإنسانية، أحمد سريرات، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠١٣م، ص٣٥.

⁽٢) النظم القرآني في قصة صالح عَلَيْهِ السَّكَرُمُ، ص١٧٧.

⁽٣) المصدر السابق نفسه.



٦- قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُواْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [الشعراء: ١٥٢،١٥١].

تفسير الآيات:

أ- ﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾:

لا تطيعوا أمر المسرفين على أنفسهم في تماديهم في معصية الله، واجترائهم على سخطه؛ وهم الرهط التسعة الذين كانوا يفسدون في الأرض، ولا يصلحون من ثمود الذين وصفهم الله جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [النمل: ٤٨](١).

والإسراف: الإفراط في الشيء، والمراد به هنا الإسراف المذموم في المال وفي الكفر، وفي الأخلاق (٢)، وفي الاقتصاد، وفي المجتمع، وفي السياسة، وفي كلّ مناحي الحياة.

- ﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾؛ حيث لم يقل (ولا تسرفوا)، وكأنّ ربّنا عَنَّهَا يريد أن يوقظ غفلتنا ويُنبّهنا ويحذّرنا من دعاة الباطل الذين يُزيّنون لنا الإسراف في أمور حياتنا، ويهوّنون علينا الحرام، يقولون: لا بأس في هذا، ولا مانع من هذا، وهذا ليس بحرام. ربّنا يعطينا المناعة اللازمة ضدّ هؤلاء حتّى لا نَنْساق لضلالاتهم (٣٠).

⁽۱) تفسير الطبرى (۱۹/ ۱۰۲–۱۰۳).

⁽٢) شرعة الله للأنبياء، ص١٢٠.

⁽٣) تفسير الشعراوي (١٠٦٥١/١٧).

ب- ﴿ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾:

وصفهم المولى تَارَكَوَتَعَالَ، بأنّهم: ﴿ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ، لأنّ الإسراف منوط بالفساد، والإفساد جعل الشيء خارجاً عمّا ينبغي أن يكون عليه، وعن كونه منتفعاً به، وهو في الحقيقة إخراج الشيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح. ويكون في الدين، والنفس، والبدن، والأشياء الخارجة عن الاستقامة، ويأتي الفساد بمعنى العصيان والهلاك والقتل والتخريب والتدمير (۱).

والفساد والإفساد حرامان في التشريع الإلهي، وحذّر منهما الأنبياء والرسل، وجاء القرآن الكريم ليمنعهما ويؤكّد تحريمهما، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي الشَّرَضِ بَعْدَ إِصْلَحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]. وقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿وَلَا تَعْتَوُاْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة: ٢٠].

وقال شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَحِهَا ۚ فَالِ شَعِيبِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿ وَالْفُلُواْ فَي اللَّهُ عَلَيْهُ وَالْفُلُواْ كَيْفَ كَانَ عَلَقِبَةُ لَا لَهُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [الأعراف: ٨٥]. ثم قال لهم: ﴿ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَلَقِبَةُ الْفُسادُ وَالْإِفْسادُ فَي اللَّهُ صَالَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفسادُ وَالْإِفْسادُ فَي اللَّهُ صَالَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفسادُ وَالْإِفْسادُ فَي أَلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٦]. وحرّم رسول الله صَالَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفسادُ وَالْإِفْسادُ فَي أَحَادِيثَ كثيرة.

وهذا ما يلتزم به المؤمن الصادق الذي يراقب الله تعالى، ويخشى عقابه في الدنيا والآخرة، وهو ما حرص عمر بن الخطّاب وَعَالِيَهُ عَنْهُ على محاربته ومكافحته، حتّى مع الولاة والأمراء وحاسبهم على أعمالهم، وأبدع أيّما إبداع في هذا المسلك.

⁽۱) تفسير القرطبي (۱۱/ ۲۵)؛ موسوعة نضرة (۱۱/ ۲۳۲).



وهذا الإفساد محرّم في جميع القوانين والأنظمة في العالم اليوم، ولكن تطبيقه شحيح وقليل. وظهر الفساد في هذا العصر في جميع أنحاء العالم، وخاصّة من الحكّام والوزراء، والمسؤولين. وتعدّ جريمة في الشرق والغرب، وفي إفريقية والبلاد العربيّة، ممّا تحتاج إلى التربية الدينيّة والخوف من الله، والمحاسبة والتحذير، وعدم الاعتزاز بالمال والجاه، والسلطة في الدنيا، وأكّد صالح عَلَيْهِ السَّكمُ أنّ المعصية تمنع النصر، قال تعالى: ﴿فَمَن يَنصُرُنى مِنَ اللهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيرُ تَخْسِيرٍ ﴾ [هود: ٦٣]. والمعصية نوع من الفساد(۱).

فهؤلاء القوم الذين تحدّث عنهم صالح عَلَيْوالسّكامُ لم يصفهم بالفساد وحسب، إنّما أيضاً هم ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ ذلك لأنّ الإنسان قد يُفسد في شيء، ويُصلح في شيء، إنّما هؤلاء دأبهم الفساد، ولا يأتي منهم الإصلاح أبداً (٢).

وصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ حارب الفساد والمفسدين في قومه، ودعاهم إلى الإصلاح العقائديّ، والسلوكي، والاجتماعي، والاقتصادي... إلخ.

والصلاح ضد الفساد. وقوبل في القرآن تارة بالفساد، وتارة بالسيّئة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦]. ومن الثاني قوله تعالى: ﴿ وَلَطُواْ عَمَلًا صَلِحًا وَءَاخَرَسَيّئًا ﴾ [التوبة: ١٠٢].

والصلاح: هو سلوك طريق الهدى، وهو استقامة الحال على ما يدعوا إليه العقل. والصالح: المستقيم الحال في نفسه، والقائم بما عليه من حقوق الله، وحقوق العباد⁽⁷⁾.

⁽١) شرعة الأنبياء، ص١٢١.

⁽۲) تفسير الشعراوي (۱۷/ ۱۰۲۵٤).

⁽٣) صلاح القلوب وفسادها، مها محمد رومي لعنزي، ص ٢٩.

٧- قال تعالى: ﴿قَالُوٓا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٣].

اتَّهموه بأنَّه من المسحّرين، فما معنى المسحّرين؟

قال ابن فارس عن معنى السحر:

السحر يُطلق على أصول ثلاثة متباينة:

الأوّل: السَّحِر: وهو ما لصق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن.

والثاني: السِّحْر: وهو إخراج الباطل في صورة الحقّ، للخداع.

والثالث: السَّحَر: وهو الزمان الذي يكون قُبيل الصبح(١).

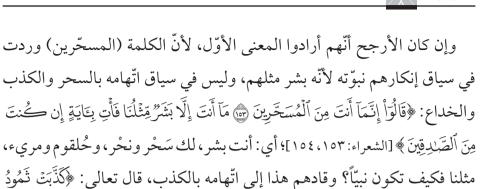
ولمّا اتّهم قوم ثمود صالحاً عَلَيْهِ السَّكَمُ بِأَنّه من المسحّرين، لعلّهم أرادوا المعنيين الأوّل والثاني من معاني السحر^(۲). وقد قال الإمام الراغب في (المفردات) عن ذلك:

قوله تعالى: ﴿أَنْتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾؛ قيل: أنت ممّا جعل له (سَحْر) تنبيهاً إلى أنّه محتاج إلى الغذاء، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَلذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسُواقِ ﴾ [الفرقان: ٧]. ولهذا قالوا بعدها: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرُ مِّتُلُنَا ﴾ [الشعراء: ١٥٤]. وقيل: معناه: أنت ممّن جُعل له، (سِحْر)، يتوصّل بلطفه ودقّته إلى ما يأتى به ويدّعيه (٣).

⁽١) مقاييس اللغة باختصار (٣/ ١٣٨).

⁽٢) القصص القرآني (١/ ٢٨٢).

⁽٣) المفردات، ص٤٠٠.



بِٱلنُّذُرِ ۞ فَقَالُواْ أَبَشَرَا مِّنَّا وَلِحِدَا نَّتَّبِعُهُ ۚ إِنَّا إِذَا لَّفِي ضَلَالِ وَسُعُرِ ۞ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا

وفي معنى ﴿ أَلْأَشِرُ ﴾ [القمر: ٢٦]: نَقَل السمين الحلبي، والهَرَوي:

بَلْ هُوَكَذَّابٌ أَشِرُ ۞ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾ [القمر: ٢٣-٢٦].

- قال القُتيبي: ﴿ٱلْأَثِيرُ ﴾ [القمر: ٢٦]: هو الفرِح المتكبّر.
- وقال الهروي: ﴿ الْأَثِيرُ ﴾ [القمر: ٢٦]: هو اللجوج في الكذب(١).

وقال الشيخ متولّي شعراوي رَحَمُ أُللَهُ في قوله: ﴿ ٱلْمُسَحَرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٣]: جمع مسحّر، وهي صيغة مبالغة تدلّ على وقوع السحر عليه أكثر من مرّة. تقول: مسحور يعني مرّة واحدة، ومُسحّر يعني عدّة مرّات، ومن ذلك قوله تعالى عن ملأ فرعون أنّهم قالوا له: ﴿ قَالُوا أُرْجِهُ وَأَخَاهُ وَابْعَتُ فِي ٱلْمَدَآبِنِ حَشِرِينَ ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَادٍ عَلِيمِ ﴾ [الشعراء: ٣٦، ٣٧]، يريدون أن يخلصوا إلى عدم اتّباعه هو بالذات فهم يريدون تديّناً على حسب أهوائهم، يريدون عبادة إله لا تكليف له، ولا منهج كالذي يعبدون وهم سعداء بهذه العبادة، لماذا؟

لأنّ آلتهم لا تأمرهم بشيء، ولا تنهاهم عن شيء، لذلك، فكل الدجالين، ومدّعوا النبوة رأيناهم يخفّفون التكاليف على أتباعهم، فقديماً أسقطوا عن الناس

⁽١) عمدة الحفاظ، ص١٠١؛ القصص القرآني (١/ ٢٨٣).

الزكاة، وحديثاً أباحوا لهم الحرام والفساد، وهذه تهم لا تستقيم، لا هو ساحر، ولا هو مسحور، إنّه مجرد كذب وافتراء على أنبياء الله، وعلى دعاة الخير في كل زمان ومكان(١).

٨- قال تعالى: ﴿مَا أَنتَ إِلَا بَشَرُ مِثْلُنَا فَأْتِ بِاللّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّدِقِينَ ﴾
 [الشعراء: ١٥٤]:

أي: إنك بشر مثلنا، فكيف أوحي إليك دوننا، وتكون نبيًّا لنا؟ كما قالوا في آية أخرى: ﴿ أَيُلْقِى ٱلذِّكُرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَكَذَّابُ أَيْثِرُ ۞ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾ [القمر: ٢٦،٢٥].

وهذا بمنزلة ما كانوا يذكرون في الأنبياء أنهم لو كانوا صادقين، لكانوا من جنس الملائكة (٢). فقد كان تصورهم للرسول عجباً، هكذا كانت الأمم الكافرة، وما كانت تدرك حكمة الله في أن يكون الرسول بشراً، وما كانت تدرك كذلك تكريم هذا الجنس البشري باختيار الرسل منه ليكونوا رواد البشرية المتصلين بمصدر الهدى والنور، وكانت الأمم الكافرة تتصور الرسول خلقاً غير البشر، أو هكذا ينبغي أن يكون ما دام يأتي إليها من خبر السماء، وخبر الغيب، وخبر العالم المحجوب عن البشر.

ذلك أنها ما كانت تدرك سر هذا الإنسان الذي كرّمه الله به، وهو أنه موهوب القدرة على الاتصال بالملأ الأعلى، وهو على هذه الأرض مقيم، يأكل وينام،

⁽۱) تفسير الشعراوي (۷/ ١٠٦٥٦)

⁽٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م (١٠/ ٢٢١).



ويتزوج، ويمشي في الأسواق، ويعالج ما يعالجه سائر البشر من المشاعر والنوازع، وهو متصل بذلك السر العظيم.

وكانت البشرية جيلاً بعد جيل تطلب خارقة ومعجزة من الرسول تدل على أنه حقاً مرسلٌ من الله:

- ﴿ فَأْتِ نِايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّلِدِقِينَ ﴾؛ وهكذا طلبت ثمود تلك الخارقة، فاستجاب الله لعبده صالح، وأعطاه هذه الخارقة في صورة ناقة. ولا نخوض في وصفها، كما خاض بعض المفسرين القدامي، لأنه ليس لدينا سند صحيح يعتمد عليه في هذا الوصف، فنكتفي بأنها كانت آية عجيبة ومعجزة خارقة كما طلبت ثمود (١).

٩ - قوله تعالى: ﴿قَالَ هَاذِهِ عَنَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمِ مَعَلُومِ ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوَّ وَلَا تُمَسُّوهَا بِسُوَّ وَنَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمِ عَظِيمِ ﴾ [الشعراء: ١٥٦،١٥٥]:

جاءهم نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَمُ بمعجزة الناقة على شرط أن يكون الماء الذي يستقون منه يوماً للناقة، ويوماً لهم، ولا يجورون عليها في يومها، ولا تجور عليهم في يومهم، ولا يختلط شرابها بشرابهم، كما لا يختلط يومها بيومهم، ولقد حذّرهم أن ينالوها بسوء على الإطلاق، وإلّا أخذهم عذاب يوم عظيم.

فماذا فعلت الآيةُ الخارقة بالقوم المتعنتين؟ إنها لم تسكب الإيمان في القلوب الجافة، ولم تبث النور في الأرواح المظلمة، على الرغم من قهرها لهم وتحديهم بها، وإنهم لم يحفظوا عهدهم، ولم يوفوا بشرطهم(٢).

⁽١) في ظلال القرآن (٥/٢٦١٢).

⁽٢) المصدر السابق نفسه.

• ١ - قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَادِمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٧]:

والعقر: النحر. والذين عقروها منهم الذين يفسدون في الأرض، ولا يصلحون، ولقد حذرهم صالح وأنذرهم فلم يخشوا النذير (۱)، وجاء التعبير: (عقروها) بصيغة الجمع مع أن الذي عقرها واحد منهم: (قدار بن سالف)، ولكن وافقه الجميع على ذلك، وساعدوه، وارتضوا هذا الفعل، فكأنهم فعلوا جميعاً، لأنه استشارهم فوافقوا (۲) فكانت الخطيئة على الجميع، وكان الجميع مؤاخذين بهذا الإثم العظيم، ولقد ندم القوم على الفعلة، ولكن بعد فوات الأوان، وتصديق النذير.

- ﴿فَأَصْبَحُواْ نَدِمِينَ ﴾؛ فقد ندموا وتابوا في غير أوان التوبة، أو أنهم أصبحوا نادمين، لا ندم توبةٍ من الذنب، إنما نادمون؛ لأنهم يخافون العذاب الذي هدّدهم الله به إن فعلوا(٣).

قال الطاهر بن عاشور رَحَمَهُ اللّهُ، وأصبحوا نادمين لما رأوا أشراط العذاب الذي توعّدهم به صالح، ولذلك لم ينفعهم الندم، لأن العذاب قد حلّ بهم سريعاً، فلذلك عطف بفاء التعقيب على ﴿نَدِمِينَ ﴾، ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الشعراء: ١٥٨](٤).

ويقول الدكتور وهبة الزحيلي: أي ذبحوا الناقة، ثم ندموا على فعلهم عند معاينة العذاب، أي: حين علموا أنّ العذاب نازلٌ بهم، فنالهم عذاب الله، وهو أنّ أرضهم

⁽١) المصدر السابق نفسه.

⁽۲) تفسير الشعراوي (۱۰۲۵۸/۱۷).

⁽٣) المصدر السابق نفسه.

⁽٤) التحرير والتنوير (٨/ ٤٠١).

زُلزلت زلزالاً شديداً، وجاءتهم صيحةٌ عظيمة اقتلعت القلوبَ من محالها، وأتاهم من الأمر ما لم يكونوا يحتسبون، وأصبحوا في ديارهم جاثمين.

والذي حدث أنّ الناقة مكثت لديهم حيناً من الزمان، ترد الماء، وتأكل الورق والمرعى، يتنعّمون بلبنها، يحلبون منها ما يكفيهم شرباً وريّاً، فلما طال عليهم الأمد، وحضر أشقاؤهم، تمالؤوا على قتلها وعقرها. روي أن مِسْطعاً ألجأها إلى مضيق في شعب، فرماها بسهم، فأصاب رجلها فسقطت، ثم ضربها قُدار (١).

١١ - قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ إِنَ فِي ذَالِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكۡ تَرُهُم مُّؤْمِنِينَ
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَـزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ١٥٨، ١٥٨]:

أ- ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾:

حل ونزل بهم العذاب الذي توعدهم به صالح عَلَيْوالسَّلَامُ، فلم يُفلتوا منه. و(اللام) في قوله: ﴿الْعَذَابُ ﴾ [الشعراء: ١٥٨]، عهدية، إشارة إلى قول صالح عَلَيْوالسَّلَامُ: ﴿فَيَأَخُذَكُمُ عَذَابُ يَوْمِ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٥٦]، فأفادت صدق صالح فيما توعدهم به (٢) والرد على تحديهم عندما قالوا: ﴿فَأْتِ بِاَيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّدِقِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٤].

ب- ﴿إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآئِيةً ﴾:

وهنا القصد بأن في إهلاك ثمود بما فعلت من عقرها ناقة الله، وخلافها أمر نبي الله صالح لعبرة لمن اعتبر، وعظة لمن يتعظ يا محمد صَّالَتُهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قومك. وقد دل نظم الآية على عظم شأن القصّة، فقد أكّدت الجملة (إنّ) واللام للتنبيه

⁽۱) تفسير المنير (۱۰/ ۲۲۲).

⁽٢) النظم القرآني في قصة صالح، ص ٨٤.

على أهمية الخبر الوارد فيها، والتأكيد على أنها عبرة لمن اعتبر، وذلك مناسب لحال كفّار قريش الذي ينكرون أن يكون القرآن من عند الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ولا يعتبرون بما فيه من المواعظ والقصص.

كما أنّ اسم الإشارة: (ذلك) الدالّ على البعد يفيد عظم شأن القصة المذكورة، وما فيها من التخويف والإنذار وتهويله (١). وفي تنكير لفظة: ﴿لَآيَةَ ﴾ تعظيم لما في القصة من الاعتبار لمن ألقى السمع وهو شهيد.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكُثَرُهُم مُّؤَمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٨]، وفي التعبير بالجملة الإسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الإيمان واستمرارهم عليه (٢).

جـ- ﴿ وَمَا كَانَ أَكْتَرُهُم تُؤْمِنِينَ ﴾: لن يؤمن أكثرهم في سابق علم الله (٣).

د- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾:

هنا المعنى: وإنَّ ربَّك يا محمَّد صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهو العزيز في انتقامه من أعدائه، الرحيم بمن آمن به من خلقه (٤).

وقد أُكدت الجملة بعدة مؤكدات، وهي: (إنّ) و (اللام) وضمير الفصل (هو)، وتعريف المسند باللام، وهما يفيدان القصر، والغرضُ من التوكيد تقوية مضمون الكلام(٥) وتعريف الله لنفسه للمؤمنين من خلال صفاته وأسمائه.

⁽١) المصدر السابق، ص ١٨٥.

⁽٢) المصدر السابق نفسه.

⁽٣) تفسير الطبري (١٠٤/١٩).

⁽٤) المصدر السابق نفسه.

⁽٥) النظم القرآني، ص١٨٦.



وفي إضافة (الربّ) إلى ضمير الرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله ﴿رَبَّكَ ﴾ تكريم وتشريف للنبي صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَإِشَارة لعناية الله به عناية خاصة، فهو ربه وهو ناصره. والتعبير بالربوبية في خطاب النبي صَلَّاللَهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ مناسب للمقام، إذ هو مقامُ نصرةٍ وتأييد وإحسان، وذلك من مقتضيات الربوبية (۱).

واختيار الاسمين الكريمين: (العزيز) و (الرحيم)، لمناسبتهما صفات الغلبة والقهر والانتقام (٢) وذلك يدل على صفة الرحمة، وذلك مناسب لرحمته لرسله وللمؤمنين وتأييده ونصره لهم (٣).

وقدّم اسم الله (العزيز) على اسمه (الرحيم) لدلالة السياق عليه (عليه) فإنّ إهلاك المكذبين يقتضي تقديم: (العزيز). وذكر الزركشي علّة أخرى تتعلق بالأكثرية والأقلية حيث قال: وأمام مناسبة قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾، فإنّه تعالى نفى الإيمان على الأكثر فدلّ بالمفهوم على إيمان الأقل، فكانت العزّة على من لم يؤمن والرحمة لمن آمن، وهما مرتبتان كترتيب الفريقين (٥٠).

وانتهت قصّة صالح عَلَيه السّلامُ في سورة الشعراء بخطاب إلهي كريم من عزيز رحيم، لكيلا نتأمل في اسمه العزيز، واسمه الرحيم.

- ﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾: اسم الله العزيز: الذي له العزة كلها، عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة، وخضعت لعظمته (٢)، فبعزّته أهلك ثمود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

⁽١) المصدر السابق نفسه.

⁽Y) البحر المحيط (٦/ ١٧٨).

⁽٣) النظم القرآني، ص١٨٧.

⁽٤) البرهان في علوم القرآن، ص٧٨٩.

⁽٥) المصدر السابق، ص ٦٣٤.

⁽٦) تفسير السعدي (٥/ ٣٠٠-٣٠).

- ﴿ الرَّحِيمُ ﴾: اسم الله ﴿ الرَّحِيمُ ﴾، يذكر مع الرحمن دائماً في كتب أسماء الله الحسنى، وهذان الاسمان الكريمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، وهي الرقة والتعطف، وإنّ اسم (الرحمن) أشدّ مبالغة من فعيل، وبناء "فَعْلَان" للسعة والشمول (١٠).

إنّ اقتران اسم العزيز باسمه الرحيم في سورة الشعراء في قصة هود مع قومه، ناسب ختمها بهذين الاسمين الكريمين، وذلك ما حصل للمكذبين من عذاب وهلاك، إنما هو مقتضى عزّته سبحانه، وقوته وغلبته، وهو موجب اسمه سبحانه (العزيز) وما حصل من إنجاء صالح عَيْمُ السَّكَمُ وأتباعه، إنما مقتضى رحمته ولطفه، وهو موجب اسمه سبحانه (الرحيم) فرحمته سبحانه ناشئة عن قدرة وقوة وعزة لا من ضعف وعجز. واجتماع الوصفين يدل على جريان عزّته سبحانه على سنن الرحمة التي تستلزم إفاضة الخير والإحسان (۱).

خامساً: قصة صالح في سورة النمل:

⁽١) ولله الأسماء الحسني، عبد العزيز الجليل، ص١٢٠.

⁽٢) المصدر السابق نفسه.



كَيْفَ كَانَ عَلَقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوَّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ ﴿ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَكَانُواْ يَتَقُونَ ﴾ [النمل: ٢٥-٥٣].

عندما تحدّث العلامة الطاهر بن عاشور رَحْمَهُ أَللَهُ عن قصة صالح عَلَيْهِ السَّلامُ في سورة النمل، قال: هذا مثل ثالث ضربه الله لحال المشركين مع المؤمنين، وجعله تسلية لرسوله وحبيبه محمد صَلَّاللَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بأنّ له أسوة بالرسل، والأنبياء من قبله.

والانتقال من ذِكر مُلك سليمان، وقصّة ملكة سباً، إلى ذكر ثمود ورسولهم دون ذكر عاد لمناسبة جوار البلاد، لأنّ ديار ثمود كانت على تخوم مملكة سليمان، وكانت في الطريق السائر من سبأ إلى فلسطين.

ألا ترى أنّه أعقب ذكر ثمود بذكر قوم لوط، وهم أدنى إلى بلاد فلسطين، فكان سياق هذه القصص مناسباً لسياق السائر من بلاد اليمن إلى فلسطين. ولما كان ما حل بالقوم أهمَّ ذكراً في هذا المقام قدّم المجرور على المفعول لأنّ المجرور هو محل العبرة، وأما المفعول فهو محلّ التسلية، والتسليةُ غرضٌ تبعي(١).

وفي هذه السورة لا تذكر قصّة ناقة صالح، وإنّما يذكر تبييت الرهط التسعة المفسدين لصالح وأهله، ومكرهم به، فمكر الله بهم وهم لا يشعرون، ودمّرهم وقومهم أجمعين، وتركُ بيوتِهم خاويةً آيةٌ لمن بعدهم. والمشركون في مكة يمرّون بهذه البيوت المدمّرة الخاوية، ورغم ذلك لا يعتبرون (٢).

التحرير والتنوير (٨/ ٤٨١).

⁽٢) أنبياء تركوا آثاراً، ص ١١٢.

تفسير الآيات الكريمة:

١ - قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدُ أَرْسَلُنَاۤ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَلِحًا أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ فَإِذَا هُمْ
 فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [النمل: ٥٥]:

بدأت الآية بالقسم لتأكيد رسالة صالح عَلَيْوالسَّكَمُ وتنبيه السامع باهتمام فيما يرد بعده، أو ليؤكد للمخاطبين المترددين فيما تضمّنه الخبر، من تكذيب قومه إيّاه، واستحقاقهم بوعيد ربّهم على لسانه، وحلول العذاب بهم، لأنّ حالهم في عدم العظة بما جرى للماثلين في حالهم، ولميّا كان ما حلّ بالقوم مهمّا في أخذ العبرة، قدّم المجرور على المفعول به فقال: ﴿ وَلَقَدُ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَلِحًا ﴾.

أ- ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾:

لخّص رسالة صالح عَلَيْهِ السَّكُمُ هنا في جملة واحدة: ﴿ أَنِ اَعْبُدُواْ اللَّهَ ﴾، في أقصر وأبلغ عبارة، ذلك أنّ الحياة كلّها تقوم على الإيمان بالله (١) وتحقيق توحيده، وإفراده بالعبادة، ومحاربة كل أشكال الكفر والشرك.

وهذه هي رسالة صالح عَلَيْوالسَّلَامُ ﴿ أَنِ الْعَبُدُواْ اللَّهَ ﴾، فهذه هي القاعدة التي ترتكز عليها رسالة السماء إلى الأرض في كل جيل، ومع كل رسول (٢).

ب- ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾:

- العطف بالفاء التي تقتضي التعقيب، لا المهلة، يفيد أن فريقاً منهم بادروا بالتكذيب والخصومة من حين دعوة صالح عَلَيْهِ السَّلَمُ لهم.

⁽١) في ظلال القرآن (٥/ ٢٦٤٤).

⁽٢) المصدر السابق نفسه.



- ﴿فَإِذَا ﴾ الفجائي تفيد التعجّب منهم(١).

وهنا التعبير بالمضارع مع صيغة التفاعل في قوله: ﴿يَخْتَصِمُونَ ﴾ يفيد تكرار ذلك التخاصم وتجدُّدَه وأن كل فريق صار خصماً للآخر، يدافع عن دينه يوالي فيه، ويعادي فيه، فثمود انقسمت إلى فريقين منفصلين على أساس العقيدة فقد انبثّت وشيحة القومية ووشيحة القرابة، لتقوم وشيحة العقيدة وحدها(٢).

٢ - قوله تعالى: ﴿قَالَ يَنَقُومِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحُسَنَةِ ۖ لَوَلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النمل: ٤٦]:

لما دُعي صالح عَلَيْوالسَّكُمُ أَن يأتيهم بالعذاب إِن كان صادقاً فيما يدّعيه من أنّه رسول من عند الله، وهذا يفهم من السياق، ومن المواضع الأخرى التي وردت فيها القصة في القرآن الكريم، فوعظهم صالح ونبّههم أنّ طلبهم هذا لا ينبغي، فقال:

⁽١) النظم القرآني في قصة صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ص١٩٣.

⁽٢) المصدر السابق نفسه.

⁽٣) أضواء البيان (٦/٦).

أ- ﴿قَالَ يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ﴾:

- ﴿ يَنَقُومِ ﴾؛ فيه تلطّف صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ بقومه ورفقه بهم، وتودده إليه، واقترابه منهم بندائه: ﴿ يَكَفُّومِ ﴾.

- ﴿ إِلَّمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّعَةِ قَبَلَ ٱلْحُسَنَةِ ﴾؛ الاستفهام للإنكار عليهم لاستعجالهم العذاب دون الرحمة. وصيغة المضارع في قوله: ﴿ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ مع دخول (السين) على الفعل تدلّ على تجدّد الطلب منهم، واستمرارهم في الإلحاح عليه، وهذا يشير إلى مدى تكذيبهم لما جاء به صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ ، واستعبادهم لوقوع العذاب بهم، وإلا لما كانوا استعجلوه (۱).

وقد خاطبهم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ تنبيهاً لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلاً فيما اعتقدوه وأن الأولى أنهم يجعلوا امتداد السلامة أمارة على إمهال الله إياهم، فيتقوا حلول العذاب بالمبادرة إلى التصديق والتوبة والاستغفار لعل الله يرحمهم فلا يعذّبهم (٢).

قال الزمخشري رَحْمَهُ اللَّهُ: السيئة: العقوبة. والحسنة: التوبة، في قوله: ﴿لِرَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيَّئَةِ قَبَلَ ٱلْحُسَنَةِ ﴾.

وفي الآية الكريمة التعبير بـ (السيئة) عن العذاب، و(الحسنة) عن رحمة الله بعباده. وفيه إشارة إلى أنّ العذاب يحلّ بمن يستحقه لاقترافه السيئات، وأنّ الله لا يظلم أحداً (٣).

⁽١) النظم القرآني في قصة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ص١٩٤.

⁽٢) أنبياء تركوا آثاراً، ص١١٦.

⁽٣) النظم القرآني، ص١٩٤.



ب- ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾:

وبعد أن أنكر عليهم صالح عَلَيُوالسَّلامُ العذاب قبل الرحمة حضّهم على ما فيه درء السيئة عنهم، وهو الإيمان، واستغفار الله مما سبق من الكفر، وناط ذلك بترجّي الرحمة، ولم يجزم بأنّه يترتّب على استغفارهم، وكان في التحقيق تنبيه على الخطأ منهم في استعجال العقاب، وتجهيل لهم في اعتقادهم (١).

وإن استعمال صيغة المضارع في (تستغفرون)، بعد التحضيض عليه فيه حث على استحداث الاستغفار، وتجديده، وإدامته (٢).

- ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾؛ أي: هلّا استغفرتم ربكم حتى تنالوا رحمته، فالذنوب محرّمة وضارة بالجسم والعقل والنظام الاجتماعي، وهي أكثر ما تكون ضرراً مع إصرار فاعلها على ما اقترف من سوء وندم على ما فات وامتنع (٣)عن الذنوب.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

فكان ردّ ثمود على صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ:

٣- ﴿ قَالُواْ الطَّيِّرِنَا بِكَ وَبِمَن مَعَكَ ۚ قَالَ طَلْبِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ۖ بَلُ أَنتُمْ قَوْمُ تُفْتَنُونَ ﴾
 [النمل: ٤٧]:

⁽١) البحر المحيط (٨/ ٢٤٩).

⁽٢) النظم القرآني في قصة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ص١٩٥.

⁽٣) مع الأنبياء في القرآن، عفيف عبد الفتاح طباره، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٥، ١٩٨٥م، ص١٩٨٠.

أ- ﴿قَالُواْ ٱلَّايَّرُنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ﴾ [النمل: ٤٧]:

أي: تشاءمنا(١).

والتطير: التشاؤم، مأخوذ من عادة الأقوام الجاهلة التي تجري وراء الخرافات والأوهام، لأنّها لا تخرج منها إلى نصاعة الإيمان، فقد كان الواحد منهم إذا همّ بأمر لجأ إلى طائر فزجره -أي: أشار إليه مطارداً- فإن مرّ سانحاً عن يمينه إلى يساره استبشر، ومضى في الأمر، وإن مرّ بارحاً عن يساره إلى يمينه تشاءم وتوقّع الضر(٢).

قال الزمخشري رَحَمُ الله: فإنْ تحوّل يميناً تفاءلوا(٣)، وسموه السانح، وإن اتبجه يساراً تشاءموا وسمّوه البارح، وما تدري الطيرُ الغيب، وما تدري حركاتُها التلقائية، عن شيء من المجهول ولكن النفسَ البشرية لا تستطيع أن تعيش بلا مجهول مغيب تكل إليه ما لا تعرفه وما لا تقدر عليه، فإذا لم تكل المجهول المغيب إلى الإيمان بعلام الغيوب ووكلته إلى مثل هذه الأوهام والخرافات التي لا تقف عند حد، ولا تخضع لعقل، ولا تنتهي إلى اطمئنان ويقين بالله، ويستنكفون أن يكلوا الغيب إليه، لأنهم بزعمهم قد انتهوا إلى حد من العلم لا يليق معه أن يركنوا إلى خرافة الدين، هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله، ولا بدينه ولا بغيبه، تراهم يعلقون أهمية ضخمة على رقم (١٣)، وعلى مرور قط أسود يقطع الطريق أمامهم، وعلى إشعال أكثر من لفافتين بعود ثقاب واحد، إلى آخر هذه الخرافات الساذجة. ذلك أنهم يعاندون حقيقة الفطرة، وهي جوعتها إلى الإيمان، وعدم استغنائها عنه،

⁽۱) مجالس النور في تدبر القرآن الكريم وتفسيره، د. محمد عياش الكبيسي، دار نشر جامعة قطر، ۲۰۱۹ (۱/ ۲۰۱۱).

⁽٢) في ظلال القرآن (٥/ ٢٦٤٥).

⁽٣) الكشاف، الزمخشري (٣/ ١٤٦).

وركونها إليه في تفسير كثير من حقائق هذا الكون التي لم يصل إليها علم الإنسان، وبعضها لن يصل إليه في يوم من الأيام، لأنه أكبر من الطاقة البشرية، ولأنه خارج عن اختصاص الإنسان، زائد على مطالب خلافته في هذه الأرض، التي زوّد على قدرها بالمواهب والطاقات(١).

ونلاحظ في تخصيص صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ: ﴿ أَطَّيَرُنَا بِكَ وَبِمَن مَعَكَ ﴾، ولم يقولوا: (بكم)، دلالة على مبلغ كفرهم (٢) وتطاولهم على رسولهم صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ، جرأتهم عليه، فلما قال قوم صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ قولتَهم الجاهلة الساذجة العالقة في تيه الوهم والخرافة، ردَّهم صالحٌ إلى نور اليقين، وإلى حقيقته الواضحة، البعيدة عن الضباب والظلام (٣).

ب- ﴿قَالَ طَآبِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾:

حظُّكم ومستقبلُكم عند الله، والله قد سنّ سنناً، وأمر الناس بأمور، وبيّن لهم الطريق المستنير، فمن اتّبع سنة الله، وسار على هداه، فهناك الخير، بدون حاجة إلى زجر الطير، والانحراف عن الفطرة، والحيد عن الهدى، فهناك الشر، بدون حاجة إلى التشاؤم والتطيّر(٤٠).

جـ- ﴿ بَلُ أَنْتُمْ قَوْمٌ ثُفْتَنُونَ ﴾:

تفتنون بنعمة الله، وتختبرون بما يقع لكم من خير ومن شر، فاليقظة وتدبّرُ السنن، وتتبّعُ الحوادث والشعور بما وراءها من فتنة وابتلاء هو الكفيل بتحقيق

⁽١) في ظلال القرآن (٥/ ٢٦٤٥).

⁽٢) النظم القرآني في قصة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ص١٩٦.

٣) في ظلال القرآن (٥/ ٢٦٤٥).

⁽٤) المصدر السابق نفسه.

الخير في النهاية، لا التشاؤم والتطيّر ببعض خلق الله من الطير ومن الناس على حد السواء.

وهكذا ترد العقيدة الصحيحة الناس إلى الوضوح، والاستقامة في تقدير الأمور، وترد قلوبهم إلى اليقظة والتدبر فيما يقع لهم أو حولهم، وتشعرهم أنّ يد الله وراء هذا كله، وأن ليس شيء مما يقع عبثاً أو مصادفة، وبذلك ترتفع قيمة الحياة، وقيمة الناس، وبذلك يقضي الإنسان رحلته على هذا الكوكب غير مقطوع الصلة بالكون كله من حوله، وبخالق الكون ومدبّره، وبالنواميس التي تدير هذا الكون وتحفظه بأمر الخالق المدبّر الحكيم. ولكن هذا المنطق المستقيم إنّما تستجيب له القلوب التي لم تفسد، ولم تنحرف الانحراف الذي لا رجعة منه. وكان من قوم صالح عَلَيُوالسَّلامُ من كبرائهم تسعة نفر لم يبق في قلوبهم موضع للصلاح والإصلاح فراحوا يأتمرون به، ويدبّرون له ولأهله في الظلام(١٠).

٤ - قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۚ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللّهِ لَنُجَيِّتَنَهُ وَأَهْلَهُ وَثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ يُصْلِحُونَ ۚ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللّهِ لَنُجَيِّتَنَهُ وَأَهْلَهُ وَأَهْلَهُ وَثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهُ وَإِنَّا لَصَدِقُونَ ﴾ [النمل: ٤٩،٤٨]:

أخبر الله عَنَّهَ أَن في مدينة قوم صالح -وهي حجر ثمود- تسعة رهط يفسدون في الأرض بالكفر والمعاصي إفساداً عظيماً لا يخالطه إصلاح.

أ- ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾:

⁽١) المصدر السابق نفسه.



- (الرهط): هم العصابة من الناس، عددهم دون العشرة (۱)، وقيل: يقال إلى الأربعين ($^{(1)}$.

هؤلاء التسعة رهط من المفسدين كانوا يرون الناقة تجوب الحجر، وتدهش المدائن، بتمايل سنامها الضخم في الطرقات، وهي تدبّ دون قائد في اليوم المحدد لشربها ثم تتوقف أمام العين، فتخفض رأسها، وتحني رقبتها العملاقة، لتغبّ من الماء حتى ترتوي، ثم يحلبونها بكميات هائلة تزيد يقينَ المؤمنين، وشكر الشاكرين، وتثير حقد الوثنيين، فتشعرهم بالهزيمة فيزدادون ضلالاً.

ولقد مرّت الأيام، والحقد يتوّرم كسرطان في نفوس الوثنيين، وكان من أشرّهم، تسعة رهط يفسدون في الأرض، هم تسعة أشقياء، يعرفون الحق، ويصرّون على محاربته، فالحقد ينغّص عليهم طعامَهم وشرابَهم، ويقضّ مضاجعَهم، لهم وشوشة في الطرقات كلما رأوا صالحاً عَلَيْهِ السَّكَرُ ، وما جاء به.

وقد بدؤوا يعقدون الاجتماعات علّهم يصلون إلى طريقة يتخلّصون بها منه، طفح كيلهم، فعقدوا اجتماعاً أخيراً، تداولوا الأفكار الشرّيرة(١).

ب- ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَهُ وَأَهْلَهُ وَثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ عَمَا شَهِدُنَا مَهْلِكَ أَهُ لِهُ وَأَهْلِهُ وَأَهْلِكَ اللَّهِ لَنَا مَهْلِكَ اللَّهِ لَنَا لَكُولِيِّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّالَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَّ اللَّالَا اللَّهُ اللَّ

بعد التداول والتشاور انتهى الاجتماع، وتفرق الأشرار التسعة بعد أن اتفقوا على القضاء على صالح عَلَيْوالسَّلَامُ وأسرته، ثم القسم على إنكار أن لهم يداً في هذه

⁽١) القصص القرآني (١/ ٢٦٤٥).

⁽٢) التدبر والبيان (٥٦/٩٨).

⁽١) في ظلال الأنبياء، محمد حمد الصوياني، شركة العبيكان للتعليم، ط١، ٢٠٢٢م، ص٣٥.

الجريمة البشعة (١). وقد سجّل الله سبحانه في كتابه هذا المكر الكبير، وبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن التصفية الجسدية طريق الطواغيت للتخلص من الدعاة لأنّها الطريقة التي يلجأ إليها الطواغيت حينما يعجزون عن مقاومة الحجة بالحجة، والفكرة بالفكرة، فيسلكون هذه الوسيلة؛ وسيلة الغدر والغيلة والخيانة (١).

- ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِاللَّهِ ﴾؛ تآمروا على قتل صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأقسموا بالله على ذلك، وحلفوا الأيمان، وأكّدوا ما اتفقوا عليه.

ومعنى ﴿تَقَاسَمُواْ بِاللَّهِ ﴾؛ أي: قسموا بالله على التنفيذ بالليل بياتاً، وهم نائمون وقتلهم دون أن يشعر بهم أحد (٣).

قال السمين الحلبي رَحْمَهُ اللَّهُ في معنى التبييت: والتبييت: تدبير الأمر ليلًا، وأكثر ما يكون ذلك في المكر. قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَمَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ وهُوَمَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء: ١٠٨]. وبيت على ذلك: عزم عليه قاصداً له (٤٠).

- ﴿ ثُمَّ لَنَقُولَنَ لِوَلِيّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ عَلَى وَمِن المبالغة من مكر ولؤم المتآمرين التسعة أنهم اتفقوا على قتل صالح وأهله ليلًا، وإنكار هذا فيما بعد، والتبرؤ من دمه أمام وليّه (٥)؛ أي: وليّ الدم من عصبته ورحمه.

⁽١) المصدر السابق نفسه.

⁽٢) مع الأنبياء في الدعوة إلى الله، د. محمد أبو فارس، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ٢٠١٥م، ص٢٠١٥.

⁽٣) القصص القرآني (١/ ٢٩٠).

⁽٤) عمدة الألفاظ (١/ ٢٧٩).

⁽٥) القصص القرآني (١/ ٢٩٠).



- ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ ﴾؛ ما شهدنا مقتل أهله، فمن باب أولى ما شهدنا مقتله، ولا نعر ف عنه شيئاً(١).

- ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾؛ أي: ما شهدنا مهلك أهله، ولا مقتله، وإنّا لصادقون في ذلك، فقد قتلوهم في الظلام فلم يشهدوا هلاكهم، أي: لم يروه بسبب الظلام، وهو احتيال سطحي، وحيلة ساذجة، ولكنّهم يطمئنون أنفسهم بها، ويبرّرون كذبَهم الذي اعتزموه للتخلّص من أولياء دم صالح، وأهله.

إنّه من العجب أن يحرص مثل هؤلاء على أن يكونوا صادقين، ولكن النفس الإنسانية مليئة بالانحرافات والالتواءات، وبخاصة حين لا تهتدي بنور الإيمان الذي يرسم لها الطريق المستقيم، كذلك دبّروا، وكذلك مكروا، ولكنّ الله كان بالمرصاد يراهم، ولا يرونه، ويعلم تدبيرَهم، يطّلع على مكرهم، وهم لا يشعرون (٢).

إنّ بغضَ أهل الفساد للمصلحين، واستهزاءَهم بالناصحين، موجودٌ في كل زمان، لأنّ الناصح المصلح يدكّ معاقل المفسدين بكلماته الطيبة، ويعدّد مصالحهم وشهواتهم بإنكاره للمنكر ونهيه عنه (٣) ودعوتهم لتوحيد الله وإفراده بالعبادة، ومحاربة الشرك كما فعل نبي الله صالح عَلَيْواً لسَّكَمُ مع قومه.

- قال ابن كثير رَحْمَهُ اللَّهُ: وإنّما غلب هؤلاء على أمر ثمود؛ لأنّهم كانوا كبراء فيهم ورؤساءهم. وقوله: ﴿تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ ﴿ ﴾؛ أي: تحالفوا وتبايعوا على قتل نبي الله صالح عَلَيْهِ اللهَّا عُيلة، فكادهم الله، وجعل الدائرة عليهم. قال

⁽۱) تفسير الشعراوي (۱۷/۱۰۸۰۱).

⁽٢) في ظلال القرآن (٥/٢٦٤٦).

⁽٣) في قصصهم عبرة، على حسن العبيدلي، كلمات للنشر والتوزيع، ٢٠٢١م، ص١٨٨.

فضرب الله لهم مثلًا بتآمر الرهط من قوم صالح عَلَيْهِ السَّلَمُ ومكرهم وكيف كان عاقبة مكرهم، ولذلك ترى بين الآيتين تشابهاً، وترى تكرير ذكرِ مكرهم، ومكر الله بهم، وذكر أنّ في قصتهم آيةً لقوم يعلمون (٢).

٥- قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرَا وَمَكَرُنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ وَمَكَرُنَا مَكْرِهِمُ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النمل: ٥٠، ٥٠]:

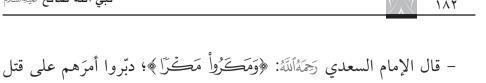
- وأين مكر من مكر؟ وأين تدبير من تدبير؟ وأين قوة من قوة؟

وكم ذا يخطئ الجبارون، وينخدعون بما يملكون من قوة ومن جهلة، ويغفلون عن العين التي ترى ولا تغفل. والقوة التي تملك الأمر كله، وتُباغتهم من حيث لا يشعرون (٣).

⁽۱) تفسیر ابن کثیر (۲۰۸/۱).

⁽٢) التحرير والتنوير (٨/ ٤٨٨).

⁽٣) في ظلال القرآن (٥/٢٨٤٦).



صالح وأهله على وجه الخفية حتى من قومهم خوفاً من أوليائه.

- ﴿ وَمَكَّرْنَا مَكْرًا ﴾؛ بنصر نبيّنا صالح وتيسير أمره وإهلاك قومه المكذبين.
- ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾؛ هل حصل مقصودهم؟ وأدركوا بذلك المكر مطلوبهم أم انتقض عليهم الأمر، ولهذا قال: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَلِقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النمل: ٥١]؛ أهلكناهم واستأصلنا شأفتهم فجاءتهم صيحة عذاب فأهلكوا عن آخرهم(١).
- وقال الإمام ابن عاشور رَحْمَهُ ٱللَّهُ: سمّى الله تآمرهم مكراً بالمفعول المطلق للدلالة على قوته في جنس المكر. وتنوينُه للتعظيم (٢).

وإن المكر هو إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر (٣). وقال السيوطي: المكر: ما يقصد فاعله في باطنه خلاف ما يقتضيه ظاهرُه (١٤).

قال الشاعر:

وكم من حافر لأخيه ليلاً تردی فی حفرته نهاراً

٦- قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓأً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيَّةً لِّقَوْمِ

يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل: ٥٢]:

⁽۱) تفسير السعدي (۲/ ۸۲۳).

⁽۲) التحرير والتنوير (Λ/Λ).

⁽٣) التعريفات للجرجاني، ص٢٢٧.

⁽٤) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط١، ۲۰۰۶م، ص۲۰۷.

تفسير الآيات الكريمة:

أ- ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً ﴾:

- (الفاء) للتعقيب على جملة (بيوتهم) والإشارة (تلك) إلى ديار ثمود المعروفة لجميع قريش، وهي في طريقهم إلى الشام، أصبحت بعد إنزال العذاب خاوية على أهلها.

وقال بعض العلماء: (خاوية)؛ أي: ساقطاً أعلاها على أسفلها(٢).

وقد كانوا من قبل ينخدعون بقوّتهم ويغفلون عن ربهم ويمكرون برسولهم. وانتصب (خاوية) على الحال، وها هي آثارهم المذمومة، بعد التدمير والهلاك شاهدةٌ على سوء فعلهم.

لقد ترك الله عَرَّجَلَّ بيوتَ ثمود المحفورة في الغالب سليمةً خالية بما ظلموا لتكون آيةً وعبرة لمن يعتبر وعظةً لمن يتعظ بها لمن سيأتي بعدهم من الأقوام ولتكون هذه البيوت إنذاراً لمن بعدهم فلا يكفرون مثل كفرهم، وإلا سينالون من العذاب ما نالوا، ولا يزال الناس يرون هذه البيوت المحفورة في الجبال إلى زماننا هذا(٣).

ب- ﴿بِمَا ظَلَمُواْ ﴾:

وهنا الباء سببية؛ أي بسبب ظلمهم. وأصل الظلم: وضع الشيء في غير موضعه (٤). ومعنى الظلم، الشرك، لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوَاْ إِيمَانَهُم

⁽١) أنبياء تركوا آثاراً، ص١٢٩.

⁽٢) محاضرات الأدباء، الراغب الأصفهاني (١/ ٥٥٣).

⁽٣) نهاية الأمم، عدنان الطرشة، العبيكان للنشر، ٢٠٠٦م، ص٤٩.

⁽٤) أنبياء في القرآن تركوا آثاراً، ص١١٩.



يِظُلْمِ أُوْلَنَيِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهَ تَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٦]؛ أي بشرك. وقوله تعالى: ﴿ اللَّهِ تَوْلُ لَا اللهِ تَعَالَى الخالق والرازق المنعم وحده لا شريك له، فإذا أشرك به غيره فذلك أعظم الظلم لأنه جعل النعمة لغير ربّها.

وقد وصف القرآن الكريم أحوالهم وأعمالهم بالظلم؛ لأنّ ظلمهم جامع عدة فظائع: الظلم الذي بينهم وبين ربّهم بما أشركوا معه في العبادة. ثمّ ظلمهم الذي كان بينهم وبين نبيهم والمؤمنين. والظلم الآخر الذي بينهم وبين أنفسهم؛ إذ حرموها من الإيمان بالله وآياته ورسله(۱).

وقد كان العقاب جماعياً، ونزل العذاب على كلّ كفار ومشركي ثمود، وعلى الذي نفّذ قتل الناقة، ومن رضي بالقتل والمعصية، وسكتوا عن المنكر، فاستحقوا العقاب؛ لأنّ الأمة متضامنة متكافلة في الخير والشر، وإنّها متى سكتت عن منكر، وكان في استطاعتها أن تقف في سبيل صاحبه، عاقبها الله على ذلك السكوت بالعقاب الشامل(٢).

وعن سيدنا أبي بكر الصديق رَضَالِتُهُ عَنهُ قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: هُيَّاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمُ جَمِيعَا فَيُننِينُكُم بِمَاكُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإني سمعت رسول الله صَالَّلتَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمّهم الله بعذاب من عنده (٣).

⁽١) المصدر السابق نفسه.

⁽٢) الدروس المستفادة من العقوبات الإلهية، ص ٢٤١.

⁽٣) رواه أبو داود، كتاب الملاحم، رقم (٤٣٣٨).

ج- ﴿ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَأَيَّةً لِّقَوْمِ يَعْلَمُونَ ﴾:

في ذكره: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾؛ تأكيداً على الاهتمام بالآثار التي بقيت من قوم ثمود. تلك البيوت الخاوية من أهلها، وقد مسها العذاب فيها عبرة للمعتبر، وموعظة لقوم يعلمون. واللام في قوله: ﴿لِقَوْمِ ﴾ أي آية حتى يتحقق لهم العلم، والإيمان، وفيه تعريض للمشركين. والقرآن حين يعرض قصّة قوم ثمود، يأخذ من أحداث التاريخ، ووقائعه ما يحقق أهدافه من التهذيب والوعظ والتأثير في القلوب، والتحذير من معصية الله، والبشارة برضوان الله، إلى تثبيت قلب النبي صَلَّاللَّهُ عَلَيْهُ وَمِن اتبعه (۱)، ولذلك قال:

٧- قوله تعالى: ﴿وَأَنْجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [النمل: ٥٠]:

أنجينا المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وكانوا يتقون الشرك بالله والمعاصى، ويعملون بطاعته وطاعة رسله(٢).

- ﴿وَأَنْجَيْنَا ﴾: تدل على سرعة النجاة. ولم يقل: (ونجينا) التي تدل على طول زمن النجاة.

- ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾؛ أي: صالحاً والذين آمنوا معه.
- ﴿وَكَانُواْ يَتَعُونَ ﴾؛ كانوا يطيعون أوامر الله، ويتجنبون نواهيه، ويتقون عذاب الله، وذلك بطاعة الله ورسوله، ويتقون عذاب الله، وذلك بطاعة الله ورسوله، ويتقون عذاب الله، وذلك بطاعة الله ورسوله، و (يتقون) جاءت بصيغة المضارع التي تدل على التجدد والتكرار، لأنّ التقوى تتجذّر وتتكرر، أمّا كلمة آمنوا فجاءت بصيغة الماضي؛ لأنّ الفرد متى آمن لا يرجع

⁽١) أنبياء في القرآن تركوا آثاراً، ص١٢٠.

⁽Y) rism(1/37).



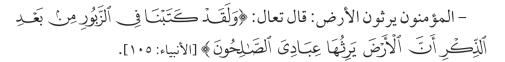
عن إيمانه. وممّا يلفت الانتباه أنّه سبحانه لم يذكر شيئاً عن الناقة في هذه الآيات (١) مما يدل على تكامل لقطات القصة في السور المختلفة (٢).

إنَّ الآية الكريمة ﴿وَأَنجِينَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ تبيّن لنا سنّة الله في أهل الإيمان والتقوى فبالإيمان والتقوى يحصل:

- الرخاء، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَكِن كَنْبُواْ فَأَخَذْنَهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].
- وللمؤمن المتقي أجره في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللّلَّا اللَّهُ اللَّا اللَّالَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللّه
- ونصر الله، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ ﴾ [غافر: ٥١].
- إنجاء المؤمنين، قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قَلْ فَانتظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواً قَبْلِهِمْ قُلْ فَأَنتَظِرِينَ ﴿ ثُمَّ نُنَجِّ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواً صَالِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنج ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٣،١٠٢].
- المؤمنون هم الأعلون: قال تعالى: ﴿وَلَا تَهَنُواْ وَلَا تَحَزَنُواْ وَاَنْتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُرَمُّؤُمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩].
- لا سبيل للكافرين على المؤمنين: قال تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَفِرِينَ عَلَى اللَّهُ لِلْكَفِرِينَ عَلَى المُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤١].

⁽١) تفسير القرآن الثري الجامع (٨/ ٢٤٤).

⁽۲) تفسير الشعراوي (۱۷/ ۱۰۸۰۶).



- لا يُحرم العامل المؤمن من ثمرة عمله: قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلُ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ وَكَتِبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٤].
- بالإيمان والعمل، وهكذا بعد الشهر السابع للعمل الصالح تحصل الحياة الطيبة: قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَلِحًا مِّن ذَكِرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنُ فَلَنُحْيِيَنَّهُ وَ الطيبة: قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنُ فَلَنُحْيِيَنَّهُ وَ الطيبة أَوْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧](١).

- شرط الإيمان مع العمل الصالح:

يشترط مع العمل الصالح لإفادته الحياة الطيبة إيمان العامل، وهو صريح في قوله: ﴿وَهُو مُؤْمِرِ * ﴾ [النحل: ٩٧] والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت، كالرزق الحلال، والقناعة والعبادة المقبولة، والعمل بالطاعة والانشراح بها.

والحياة الطيبة في الدنيا التي يَظفر بها عامل الصالحات، وهو مؤمن، فهذه الحياة لا تنقص من أجره في الآخرة، بل إنّ الله وعد بأن يكون أجره في الآخرة على أحسن عمله في الدنيا، فيما أعظمه من جزاء من رب كريم جواد^(٢).

وأمّا التقوى فلها ثمرات عظيمة، منها:

- الفرقان للمتقين:

قال تعالى: ﴿يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانَا وَيُكَفِّرُ عَنكُمْ سَيَّاتِكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

⁽١) السنن الإلهية، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٧م، ص٢٢٧.

⁽٢) السنن الإلهية، ص٢٢٩-٢٣٠.



ومعنى الآية: إن تتقوا الله في كل ما يجب أن يُتقى بمقتضى دينه، وشرعه، وبمقتضى سنته في نظام خلقه، يجعل لكم بمقتضى هذه التقوى، وبسببها ملكة من العِلم وهداية ونوراً في قلوبكم تفرّقون به بين الحق والباطل، ونصراً يفرق بين المحقّ والمبطل بإعزاز المؤمنين، وإذلال الكافرين ومخرجاً من الشبهات، ونجاة من الشدائد في الدنيا، ومن العذاب في الآخرة (۱).

- المخارج والأرزاق:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ وَمَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ فَهُو حَسِّبُهُ ۚ وَانَ ٱللَّهُ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٢،٣]؛ أي: من يتق الله بعمل ما أمره به و تَركِ ما نهاه عنه يجعل له مخرجاً من كلّ شدّة ويرزقه من حيث لا يرجو ولا يأمل ويبارك له فيما آتاه، ومن يتوكل على الله؛ أي: من فوّض إليه أمره، كفاه ما أهمّه (٢).

- معيّة الله للمتّقين:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

فالله تعالى مع المتقين بتأييده، ونصره، ومعونته، وهَديه، وهذه معية خاصة للمتقين، كقول النبي صَالَّلَهُ عَيْدُوسَلَّمَ لأبي بكر الصديق رَضَالِلَهُ عَنْهُ، وهما في الغار كما حكاه الله عنه: ﴿إِذْ يَـقُولُ لِصَحِبِهِ لَا تَحْزَنُ إِنَّ اللّهَ مَعَـنَا ﴾ [التوبة: ٤٠]، ومعنى: ﴿الَّذِينَ التَّقُولُ وَاللّهِ عَنْهُ مُعَمِنَا ﴾ [النحل: ١٢٨]؛ أي: تركوا المحرَّماتِ، وعملوا الواجباتِ، فهؤلاء يحفظهم الله، ويؤيدهم، وينصرهم على أعدائِهم (٣).

⁽١) المصدر السابق نفسه.

⁽٢) المصدر السابق، ص٢٢١.

⁽٣) المصدر السابق، ص٢٢٣.

وسبحان الله كيف جاءت الآية الكريمة في قصة صالح عَلَيْوالسَّلَامُ في سورة النمل: ﴿وَأَنْجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَقُونَ ﴾، فهي دعوة للتَّأمل والتفكّر والتدبّر واستخراج سنن الله وقوانينه نواميسه من كتاب الله العظيم الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْمَطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ مَ تَنزِيلُ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

سادساً: قصة صالح عَلَيْء السَّلَامُ في سورة القمر:

قال الله تعالى: ﴿ كُذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿ فَقَالُواْ أَبَشَرَا مِّنَا وَلِحِدَا نَتَبَعُهُ وَإِنَّا إِذَا لَغِي ضَلَالِ وَسُعُرٍ ۞ أَهُ لَقِي ٱلذِّكُرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُو كُذَّابُ أَثِيرٌ ۞ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَابُ ٱلْأَثِرُ ۞ الْمُصَارِدُ ۞ وَنَبِيْعُمُ وَالْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمُ وَاصْطِيرُ ۞ وَنَبِيْعُمُ وَأَنَّ ٱلْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمُ مَنْ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطِيرُ ۞ وَنَبِيْعُمُ وَانْ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمُ كُلُ شِرْبِ مُّحْتَضَرٌ ۞ فَنَادَوْ صَاحِبُهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ۞ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُر ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَلِحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ۞ وَلَقَدْ يَسَرَنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلِذَكْرِ فَهَلْ مِن مُتَكِرٍ ﴾ عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَلِحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ۞ وَلَقَدْ يَسَرَنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلِذَكْرِ فَهَلْ مِن مُتَكِرٍ ﴾ [القمر: ٢٣-٣٢].

سورة القمر مَكيّة، وآياتها خمس وخمسون، وقد عالَجتْ أصول العقيدة الإسلاميّة، وهي من بدئها إلى نهايتها عنيفة مُفزّعة على المكذّبين بآيات القرآن. وطابع السورة هو طابع التهديد والوعيد، والإنذار، والإعذار، والإمهال، مع صور شتّى من مشاهد العذاب والدمار والخسران.

ولقد ابتدأت السورة بذكر تلك المعجزة الكونيّة؛ معجزة انشقاق القمر، والتي هي إحدى المعجزات العديدة للإمام ورسول البشر صَّالَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وذلك حين طلب المشركون منه معجزة جليّة تدلّ على صدقه، وخصصوا بالذكر أن يشقّ لهم القمر ليشهدوا له بالرسالة، ومع ذلك عاندوا وكابروا، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَالشَقَ ٱلْقَمَرُ ۞ وَإِن يَرَوُّا عَايَةَ يَعُرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحُرُّ مُّسْتَمِرُ ۞ وَكَذَبُواْ وَالتَّعُواْ أَهُوآع هُمْ وَكُلُ القمر: ١-٣].



ثمّ انتقلت للحديث عن أهوال يوم القيامة، وذلك بأسلوب مخيف يهزّ المشاعر هزّاً، ويحرّك في النفوس الرعب والفزع من هول ذلك اليوم العصيب، وبعد الحديث عن كفّار مكّة، يأتي الحديث عن مصارع المكذّبين وما نالهم في الدنيا من ضروب العذاب والدمار، بدءاً بقوم نوح، ثمّ الحديث عن الطغاة المتجبّرين من الأمم السالفة الذين كذّبوا الرسل فأهلكهم الله تعالى إهلاكاً فظيعاً، ودمّرهم عن بكرة أبيهم، وقد تحدّثت الآيات عن قوم عاد، وثمود، وقوم لوط، وقوم فرعون، مع تصوير أنواع العذاب، وبعد عرض هذه المشاهد الأليمة، مشاهد العذاب الذي حلّ بالمكذّبين لرسل الله عَدَيهِ وَالسَّلَامُ، توجّهت السورة إلى مخاطبة قريش، وحذّرتهم مصرعاً كهذه المصارع، بل ما هو أشدّ وأنكى، ﴿سَيُهْزَمُ الْجُمْعُ وَيُولُونَ اللَّبُرُ ۞ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأُمَنُ ﴾ [القمر: ٢٥، ٤٦].

وقد خُتمت السورة ببيان مآل السعداء المتّقين بعد ذكر مآل الأشقياء المجرمين، على طريقة القرآن في الجمع بين الترغيب والترهيب بأسلوبه العجيب(١).

ويقول الدكتور فضل عبّاس حسن رَحْمُواللَّهُ: "الذي نلحظه هنا أنّ صالحاً عَلَيْهِاللَّلَامُ لم يُذكر اسمه في السورة التي مرّت، بل لا نجد له أيّ حديث هنا، والمتأمّل في الآيات الكريمة يجد أنّ الحديث كلّه عن الله تَبَارَكَوَتَعَالَ، وهو متّسق تماماً مع الحديث عن قوم هود، إذ لم نجد له في السورة أيّ كلمة، وهذا بالطبع متناسب مع السورة التي جاءت تبيّن أنّ المعرضين يكذّبون بآيات الله الواضحات أيّاً كان الرسل الذين جاءوا بها، ولهذا نجد الحديث فيها كلّها عن الله تَبَارَكَوَتَعَالَ، دون أن يأتي على لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام شيء من ذلك.

⁽١) كتاب مقاصد القرآن ومحتوياته، عبد الله التليدي، ص٢٨٣.

وقد بيّنت السورة الكريمة بأنّ ثمود كنّبوا بالنذُر، وأنّهم يربؤون بأنفسهم من أن يهديهم بشر منهم، إنّهم إذن في ضلال وهلاك، ولماذا خُصّ بينهم بالرسالة، بل هو كنّاب أشِر(۱).

وهنا يتولّى الله الدفاع بنفسه: ﴿سَيَعْاَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكُذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾ [القمر: ٢٦]. ثمّ بيّن أنّه سيرسل الناقة فتنة لهم ليختبرهم، فارتقبهم يا صالح واصطبر ولا تعجل، ونبّئهم أنّ الماء قسمة بينهم وبين الناقة، فلا ينبغي أن يطغى بعض على بعض ﴿كُلُّ شِرْبِ مُّحْتَضَرُ ﴾ [القمر: ٢٨]؛ أي: محضور لهم أو للناقة. وقيل: يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها، وتحدّثنا الآيات أنّهم نادوا صاحبهم فكان منه ما كان حينما تعاطى الفعلة الشنيعة وعقر الناقة، فلينظروا فما أهون العذاب وما أشدّ النذر، ويخبر الله بأنّه أرسل عليهم صيحة واحدة فكانوا كالهشيم المحتظر(٢). وكلّ ما في السورة جديد، والناظر المتأمّل يجد ذلك بيّناً لا يحتاج إلى تفصيل"(٣).

تفسير الآيات الكريمة:

١ - قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ تَمُودُ بِٱلنَّذُرِ ﴾ [القمر: ٢٣].

يُخبرنا الله عَرَقِبَلَ أَنَّ قبيلة ثمود كذّبوا بالعقوبات التي أحلّها الله عَرَقِبَلَ بقوم نوح وقوم عاد، وكذّبوا أيضاً رسولَهم الذي أنذرهم وحذّرهم من عذاب الله، وهو نبيّ الله صالح عَيْدِالسَّلَمُ، وكذّبوا بالعذاب الذي أخبرهم به، واستنكروا ما يدعوهم إليه (٤).

⁽١) أشِر: بطِر متكبّر.

⁽٢) المحتظِر: الذي يعمل الحظيرة للدواب ثمّ تصير الحظيرة هشيماً متحطّماً.

⁽٣) قصص القرآن الكريم، ص٢٣٣.

⁽٤) قصص الأنبياء، مصطفى العدوي (١/ ٥١٥).



- ﴿ وَالنَّذُرِ ﴾؛ جمع نذير، أي: الإنذارات التي أنذرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها على لسان صالح عَلَيْ السَّالَمُ (١)، ونلحظ أنّ لفظة ﴿ بِالنَّذُرِ ﴾ مناسبة لسياق السورة وجوِّها المشحون بالتخويف والإهلاك للأمم المكذّبة بالرسُل، وفيها تعريض لكفار قريش الذين كذّبوا بالآيات التي جاء بها الرسول صَلَّاللَهُ عَلَيْهِ وَسَالًة منها انشقاق القمر المذكور في أوّل السورة، بأنّهم إن لم يؤمنوا فسيصيبهم ما أصاب قوم ثمود (١).

وقد قال الشيخ محمّد متولّي الشعراويّ رَحْمَهُ اللّهُ: "﴿ بِاللّهُ نَدِير ، وهو الرسول ، وقد خاطب الله نبيّه المصطفى صَلَّاللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرُ ﴾ الرسول ، وقد خاطب الله نبيّه المصطفى صَلَّاللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِير ، وجاء بصيغة الجمع هذه لأنّ الذي يكذّب برسوله كأنّه وحده كذّب بجميع الرسُل ، لأنّ هدفهم واحد ، ومنهجهم واحد ، ينتهي بعبادة الله وحده لا شريك له .

واقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِن كِتَابِ وَحِكْمَةِ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولُ مُّصَدِّقُ لِيِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ﴿ ﴾ [آل عمران: ٨١].

فالرسول عليه أن يوصي قومه إذا جاءهم رسول جديد بمثل المنهج الذي جاء به يوصى قومه أن يتبعوه، وأن يؤمنوا به وينصروه.

فالعادة، أن القوم يتعصّبون لرسولهم، فيُعلمهم أنّ الهدف واحد، والمنهج واحد، فإن جاءكم مَن هذه صفتُه فاتّبعوه، ولا تصادموه، فكلّنا نأخذ من مشكاة واحدة"(٣).

⁽١) النظم القرآني في قصة صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ص٢٠٩.

⁽٢) المصدر السابق نفسه.

⁽٣) تفسير الشعراوي (٢٤/ ١٤٧٧٧).

٢- قال تعالى: ﴿فَقَالُواْ أَبَشَرَا مِّنَّا وَلِحِدَا نَّتَّبِعُهُ وَإِنَّا إِذَا لَّفِي ضَلَلِ وَسُعُرٍ ﴾ [القمر: ٢٤]:

في هذه الآية بيان لصيغة التكذيب التي نطق بها القوم: ﴿فَقَالُواْ أَبَشَرَا مِّنَا وَحِدَا ﴾، وهذا القول شبيه بقول قريش: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُٰلِ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١].

فثمود تستنكر أن يتبعوا رجُلاً واحداً منهم؛ سيّدنا صالح وهو بشر، فاعترضوا على كونه بشراً، وعلى كونه رجُلاً واحداً(١)؛ أي: كيف نتبعه وهو بشر منّا واحد ونحن جماعة؟

فالاستفهام في الآية استفهامُ إنكاريّ تعجّبيّ، وجاؤوا بصفة البشريّة بعد همزة الإنكار، لأنّها على الإنكار.

قال الزمخشري رَحْمَهُ ٱللَّهُ: "فقالوا أبشراً؟ إنكاراً يتبعوا مثلهم في الجنسيّة، وطلبوا أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر، وهم الملائكة "(٢)، فمحلّ الإنكار ليس الاتباع بل كون الرسول بشراً(٣)، ثمّ بالغوا في نفي الرسالة عن صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، والتقليل من شأنه بقولهم: ﴿مِنَّا ﴾؛ لأنّه إن كان منهم كانت المماثلة أقوى(٤).

ثمّ قالوا: ﴿وَلَحِدَا ﴾؛ أي: ضعيفاً، فهو واحد وحيد، وليس له جنود، ولا أتباع، ولا نصراء (٥)، أو واحداً من الآحاد ليس من أشرافهم، وأكابرهم المشهورين (٢)، ومن ثمّ ذيّلوا إنكارهم لأتباعه بقولهم: ﴿إِنَّا إِذَا لَغِي ضَلَالِ وَسُعُرٍ ﴾.

⁽۱) المصدر السابق (۲٤/ ۱٤٧٧٨).

⁽٢) الكشاف عن حقائق التنزيل (٨/ ٥٣٠).

⁽٣) البرهان في علوم القرآن، ص١٧٥.

⁽٤) الكشاف، (٨/ ٥٣٠).

⁽٥) النظم القرآني، ص٢١٠.

⁽٦) المصدر السابق نفسه.



- و ﴿ ضَلَالِ ﴾؛ العدول عن الصراط المستقيم، ويضادّه الهداية (١).
- -و ﴿وَسُعُرٍ ﴾؛ الجنون، وقيل: جمع سعير، أي: نيران (٢)، أي: نيران تتسعّر في قلوبنا، وهذا يدلّ على شدّة عتوّهم واستكبارهم (٣).

وقد دلّ النظم الكريم في حكاية قولهم ذلك على مدى كُفرهم، وغلوّهم في تكذيب النبي صالح عَلَيْهِ السّارمُ من خلال ما يلي:

- تأكيد مضمون الجملة ﴿إِنَّآ﴾، و ﴿إِذَا ﴾، و ﴿اللام ﴾؛ ليؤكّدوا كفرَهم واعتقادهم أنَّهم باتّباعهم صالح عَلَيْهِ السّكرُ سيكونون في ضلال وسُعُر.
- الاستعارة في حرف الجرّ ﴿ في ﴾ الذي يفيد الظرفيّة، حيث شبّهوا الالتباسَ بالضلال بالظرفيّة، بجامع التمكّن في كلّ، ثمّ استعيرت الظرفيّة للالتباس (٤)، ليعبّروا على حدّ زعمهم، عن المبالغة في غرقهم في هذا الضلال، وتمكّنه منهم، وإحاطته بهم كما يحيط الظرف بالمظروف (٥).
- حذف الجارّ والمجرور في قولهم: ﴿ لَفِي ضَلَالِ ﴾؛ لأنّ التقدير: لفي ضلال عن الصواب (٢)، وذلك لنكتة المبالغة في تمكّن الضلال منهم وعمومه.
- تنكير لفظتَي ﴿ضَلَالِ﴾ و ﴿وَسُعُرٍ ﴾ للتضخيم والتهويل، فهو ضلال مطبق، وجنون عظيم.

⁽١) المفردات في غريب القرآن، ص٠٠٠.

⁽٢) تفسير أبي السعود (٨/ ١٧١).

⁽ π) التفسير الموضوعي (π / π).

⁽٤) النظم القرآني، ص٢١٠.

⁽٥) المصدر السابق نفسه..

⁽٦) المصدر السابق، ص٢١١.

- التعكيس، وذلك على تفسير ﴿وَسُعُرٍ ﴾ أنّها جمع سعير، أي: نيران، فعكسوا على صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ ورتّبوا على اتّباعه إيّاه ما رتّبه على ترك اتّباعه (١)، الأنّه عَلَيْهِ السَّلَامُ كأنّه قال لهم: إن لم تتّبعوني كنتم في ضلال عن الحقّ وسُعُر، فعكسوا عليه بأن قالوا: إن اتّبعناك كنّا إذن كما تقول؛ وذلك لفرط عتوّهم (٢).

وعلى هذا يكون جمع السعير ﴿وَسُعُرِ ﴾ باعتبار الدركات، أو للمبالغة (٣).

وتقديم ﴿ضَلَالِ﴾ على ﴿وَسُعُرٍ ﴾ فيه ترقِّ، على تفسير سُعُرٍ بالجنون؛ لأنَّ الضلال فيه انتقاص للعقل، أمَّا الجنون فهو ذهاب للعقل كلّه(٤).

وعلى القول بأنّ معنى: ﴿وَسُعُرٍ ﴾ نيران، يكون تقديم ﴿ضَلَا ﴾ للأسبقيّة، فالضلال في الدنيا، والسُعُر في الآخرة (٥٠). أو للسببيّة، فالضلال سبب لدخول السعير، وقد تقدّم آنفاً أنّ ذلك من باب التعكيس، وإلّا فهم لا يؤمنون بالآخرة ولا بالنار، وهذا إلى جانب مناسبة ﴿وَسُعُرِ ﴾ للفاصلة القرآنيّة (٢٠).

وقول ثمود لنبيّهم صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ: ﴿ أَبَشَرًا مِّنَا وَحِدَا نَتَبِعُهُ وَإِنَّا إِذَا لَقِي ضَلَالِ وَسُعُرٍ ﴾ ؛ يدلّ على الكبرياء الجوفاء، التي لا تنظر إلى حقيقة الدعوة وإنّما تنظر إلى شخصيّة الداعية، وماذا في أن يختار الله واحداً من عباده، فالله أعلم حيث يجعل رسالته،

⁽١) تفسير البيضاوي (٢/ ٤٤٧).

⁽٢) النظم القرآني، ص٢١١.

⁽٣) روح المعاني (٢٧/١١٦).

⁽٤) النظم القرآني، ص٢١١.

⁽٥) المصدر السابق نفسه.

⁽٦) المصدر السابق نفسه.

فيلقي عليه الذِكْر، أي الوحي، وما يحمله من توجيهات للتذكير والتذكّر والتدبّر، إنّها شبهة واهية لا تقوم إلّا في النفوس المنحرفة، النفوس التي لا تريد أن تنظر إلى الدعوة لترى مقدار ما فيها من الحقّ والصدق، ولكن إلى الداعية فتستكبر عن اتباع فرد من البشر، مخافة أن يكون في اتباعها له إيثار له وتعظيم، وهي تستكبر عن الإذعان والتسليم (۱).

ومن ثمّ يقولون لأنفسهم: ﴿أَبَشَرَا مِّنَا وَلِوِدَا نَتَبَعُهُ وَإِنَّا إِذَا لَقِي ضَلَالِ وَسُعُرٍ ﴾ أي: لو وقع منّا هذا الأمر المستنكر؟ وأعجب شيء أن يصفوا أنفسهم بالضلال لو اتبعوا الهدى، وأن يحسبوا أنفسهم في سُعُر، لا في سعير واحد، إذا هم فاؤوا إلى ظلال الإيمان.

ومن ثمّ يتّهمون رسولهم الذي اختاره الله، ليقودهم في طريق الحقّ والقصد، يتّهمونه بالكذّاب الأشِر (٢).

٣- قال تعالى: ﴿ أَءُ لَقِي ٱلذِّكُرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَكَذَّاكُ أَشِرٌ ﴾ [القمر: ٢٥].

قال الطبريّ: "يعنون بذلك: أُنزل الوحي عليه وخُصّ بالنبوّة من بيننا وهو واحد منّا؟ إنكاراً منهم أن يكون الله عَرَّبَكاً يرسل رسولاً من بني آدم"(٣).

فالاستفهام إنكاريّ تعجّبيّ بمعنى النفي (٤)، وجاؤوا بالنفي عن طريق الاستفهام، لأنّه أبلغ من النفي المباشر لما يدّعون استحالته ويريدون إنكاره (٥)، والتعبير بالإلقاء

⁽١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٤٣٢).

⁽٢) المصدر السابق نفسه.

⁽٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٤٠).

⁽٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١٩/١٩).

⁽٥) النظم القرآني، ص٢١٢.

عن الإنزال من باب الاستعارة، لأنّ الإلقاء حقيقةً رميٌ من اليد إلى الأرض، وهو هنا مستعار لإنزال الذكر من السماء، والجامع بينهما السرعةُ في الإنزال، والعجلةُ في الفعل(١). وقد أفادت هذه الاستعارة المبالغة في الإنكار، لأنّ صالحاً عَلَيْوالسَّلامُ كان يقول: جاءني الوحيُ مع الملك في لحظة يسيرة، فكأنّهم قالوا: الملك جسم، والسماء بعيدة، فكيف ينزل في لحظة؟ فقالوا: أألقي، وما قالوا: أأنزل(١).

وثمّة أمر آخر، وهو التعبير بـ ﴿أَوْلَقِيَ ﴾ بصيغة من لم يُسمَّ فاعله فقالوا: أَأَلقي؟ ولم يقولوا: أَأَلقي اللهُ الذكرَ عليه؟

وذلك كما يقول الرازي: "للإشارة إلى أنّ الإلقاء من السماء غيرُ ممكن، فضلاً عن أن يكون من الله تعالى"(٣).

وتعريف ﴿ الذِّكُنُ في حكاية الله عَنَّهَ عَلَى عنهم إنكارهم، وهو إشارة إلى أنّهم قد أنكروا أمراً ظاهراً بيِّناً لا ينبغي أن يُنكر، فهو كقول القائل: أنكروا المعلوم، وفي ذلك ذمّ عظيم لهم على هذا التكذيب والجحود (١٠).

- وقولهم: ﴿عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾؛ إنكارٌ آخر، فقال الرازيّ: "كأنّهم قالوا: ما أُلقي ذكرٌ أصلاً. قالوا: إن أُلقي فلا يكون عليه من بيننا وفينا من هو فوقه في الشرف والذكاء"(٥)، فجعلوا تخصيصَ صالح عَلَيْهِ السَّكَرُ النبوّة من دونهم دليلاً على نفيها

روح المعاني (۲۷/ ۱۱۷).

⁽٢) النظم القرآني، ص٢١٢.

⁽٣) المصدر السابق نفسه.

⁽٤) المصدر السابق نفسه.

⁽٥) المصدر السابق نفسه، نقلاً عن التفسير الكبير للرازي.

واستخفافهم به، واحتقارهم له.

عنه، وصحةً إنكارهم لها، وذلك يدلُّ على سوء أدبهم مع الله واعتراضهم على اختياره وتفضيله لمن يشاء من عباده، وعلى سوء أدبهم مع رسولهم صالح،

ولمَّا أنكروا نزول الوحي على صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذلك لا يقتضي إلَّا أنه ليس بنبيّ، وأضربوا عن ذلك للترقّي في الإنكار إلى رميه بفرط الكذب والتكبّر، فقالوا: ﴿بَلِّ هُوَكَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ أي: كثير الكذب والشرّ.

- ﴿كُذَّابُ ﴾؛ على صيغة فعّال، وهذه الصيغة تفيد المبالغة، وتقتضي الاستمرار، والتكرار، والإعادة، والتجدّد، والمعاناة، والملازمة، ويقصدون أنّه كثير الكذب، أو شديد الكذب، يقول ما لا يقبله العقل، فانظر كيف يفترون على نبيّ الله صالح عَلَيْءَ السَّلَامُ، ويتَّهمونه بذلك كي يصدُّوا عن سبيل الله عَزَّوْجَلَّ.

- ﴿أَشِرٌ ﴾؛ وهي من صيغ المبالغة، أي: أنّه شديد التكبّر والبطر. وقصدوا من وصفه بذلك أنّه كذّاب لا لضرورة وحاجة كما يكذب الضعيف، إنّما هو استغنى وبطرَ وطلب الرياسة عليكم، وأراد اتّباعكم له، فكان كلّ وصف مانعاً من الاتّباع، لأنَّ الكذب لا يلتفت إليه، ولا سيما إذا كان كذبه لا لضرورة. وافتراؤهم هذا على صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ يدلُّ على مبلغ كفرهم وعتوّهم، وأنّهم كانوا يصدّون عن سبيل الله عَنَّهَ عَلَّى بإلصاق التَّهم برسوله عَلَيْهِ السَّلامُ، ويفيد ذلك أيضاً أنَّ صالحاً عَلَيْهِ السَّلامُ قد لقي من قومه أذي عظيماً في سبيل تبليغ رسالة ربّه(١).

ولقد قال الطبريّ رَحَمُهُ ٱللَّهُ: "يعنون بالأشِر: المَرح ذا التجبّر والكبرياء"(٢). وذكر الخالديّ رَحْمَهُ اللَّهُ أقوال العلماء في ﴿أَشِرٌ ﴾:

⁽١) المصدر السابق، ص٢١٣.

⁽۲) تفسير الطبري (۲۷/ ۱۰۰ – ۱۰۱).

- ﴿أَشِرُ ﴾؛ هو الفرح المتكبّر.
- ﴿أَشِرٌ ﴾؛ اللَّحوح في الكذب(١).
- ﴿بَلَ هُوَكَذَّابُ أَشِرٌ ﴾؛ أي: كذّاب لم يُلقَ عليه الذكر. وأشر: شديد الطمع في اختصاص نفسه بالمكانة، وهو الاتّهام الذي يواجَه به كلّ داعية، اتّهامه بأنّه يتّخذ الدعوة ستاراً لتحقيق مآرب ومصالح، وهي دعوة المطموسين الذين لا يدركون دوافع النفوس، ومحرّكات القلوب. وبينما السياق يجري على أسلوب الحكاية لقصّة عبرت في التاريخ، يلتفت فجأة، وكأنّما الأمر حاضر والأحداث جارية، فيتحدّث عمّا سيكون، ويهدّد بهذا الذي سيكون (٢).

٤ - قال تعالى: ﴿ سَيَعْكُمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾ [القمر: ٢٦]:

هذه إحدى طرق العرض القرآنيّة للقصص، وهي طريقة تنفخ روح الحياة الواقعيّة في القصّة، وتحيلها من حكاية تُحكى، إلى واقعة تُعرَض على الأنظار، يترقب الناظرون أحداثَها الآن، ويرتقبونها في مقبل الزمان، ﴿سَيَعَامُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴾.

وسيكشف لهم الغد عن الحقيقة، ولن يكونوا بمنجاة من وقع هذه الحقيقة (٣). وفي الآية الكريمة؛ مواساة أهل الحقّ وتصبيرهم، والدفاع عنهم (٤).

⁽١) القصص القرآني (١/ ٢٨٣).

⁽٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٤٣٢).

⁽٣) المصدر السابق نفسه.

⁽٤) قصص الأنبياء، مصطفى العدوى (١/ ٥٣٥).



أ- ﴿سَيَعْلَمُونَ ﴾:

لتقريب مضمون الجملة وتأكيده، فهو واقع لا محالة.

ب- ﴿غَدًا ﴾:

أي: في الزمن الآتي القريب، لأنّ كلّ ما حُقّق إتيانه قريب عند نزول العذاب في الدنيا ويوم القيامة (١). فالسين، ولفظة ﴿غَدًا ﴾ دَلّتا على قرب مضمون الجملة، وتأكيده وتحقيق وقوعه. وفي ذلك من الوعيد ما لا يخفى (٢).

ج-والاستفهام في قوله: ﴿مَنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾؛ يُراد به الإلزام؛ لأنّهم هم المعنيّون به ﴿الْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾، ولكن الردّ عليهم عن طريق الاستفهام الملزم باتّصافهم بذلك، وسوق ذلك على وجه الاتّهام المنصف للإيماء إلى أنّه ممّا لا يكاد يخفى، وليكون الوعيد أحفل بالانتقام، والتهديد أشدّ أثراً في النفوس (٣).

- ﴿مَنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾؛ وهذا تهديد لهم ورد التهمة عليهم: بل أنتم الكذّابون وأنتم الأشرون، لأنّكم كرهتم صالحاً وحسدتموه، لأنّ ربّه اختاره للنبوّة من بينكم، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، فكان ينبغي عليكم أن تصدّقوه لا أن تصادموه (٤٠).

٥ - قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴾ [القمر: ٢٧].

⁽١) النظم القرآني، ص٢١٤.

⁽٢) المصدر السابق نفسه.

⁽٣) المصدر السابق نفسه.

⁽٤) تفسير الشعراوي (٢٤/ ٩٧٧٩).

ويَقف القارئ يترقّب ما سيقع، عندما يرسل الله الناقة لهم، وامتحاناً مميّزاً لحقيقتهم، ويقف الرسول، رسولهم عَلَيْهِ السَّكَمُ، مرتقباً ما سيقع، مؤتمراً بأمر ربّه في الاصطبار عليهم حتى تقع الفتنة ويتمّ الامتحان (١١).

أ- ﴿إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً ﴾:

أي: إنّا مخرجو الناقة التي سألوها من الصخرة اختباراً لهم، فانتظِرْ يا صالح ما هم صانعون بها(٢).

وقد أكّد مضمون الجملة بـ ﴿إِنّا ﴾، ومجيء الخبر جملة اسميّة، وذلك لأهمّيته وغرابته، فإنّ إخراج الناقة من الصخرة الصمّاء أمر خارق للعادة، ومعجزة لصالح عَلَيهِ السّكمُ، كما أنّ مجيء الخبر على صيغة اسم الفاعل مع إضافة ﴿ٱلنَّاقَةِ ﴾ إليه؛ فيه تحقيق الأمر وتقديره كأنّه وقع وكان، بخلاف لو قيل: (إنّا نرسل الناقة)، والإسناد إلى ضمير العظمة فيه تعظيم وتفخيم لأمر هذه الآية التي هي الناقة، وأنّها معجزة عظيمة حقيق بمن رآها أن يؤمن بها(٣).

ب- ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ ﴾:

التعبير بالمصدر فيه إنجاز بليغ، مع توسّع في المعنى، لأنّه يحتمل أن يكون مفعولاً له (٤٠)، لبيان العلّة من إرسال الناقة، فيكون المعنى: إنّا مرسلو الناقة اختباراً وابتلاء لهم، ويحتمل أن يكون حالاً (٥)، أي: فتنةً لهم، فالتعبير بالمصدر أدّى معنيين

⁽١) النظم القرآني، ص٢١٥.

⁽٢) المصدر السابق نفسه.

⁽٣) المصدر السابق نفسه.

⁽٤) اللباب في علوم القرآن، أبو حفص الدمشقى (١٨/ ٢٦٤).

⁽٥) النظم القرآني، ص٢١٥.



في آن واحد (١٠). وهذا التوسّع في المعنى لم يكن ليظهر لو قيل: (لنفتنهم) بحرف الجر، لأنّ ذلك لا يفيد إلّا العلّة فقط (٢).

جـ- ﴿فَأَرْتَقِبَهُمْ ﴾:

انتظر ما يحصل لهم من الفتنة بالناقة وما يصنعون بها^(٣)، أو انتظِرْ نزولَ العذاب بهم. قال الرازيِّ: "قال فارتقبهم بالعذاب، ولم يقل: فارتقبِ العذاب، إشارة إلى حسن الأدب، والاجتناب عن طلب الشر"(٤).

- ﴿فَارْتَقِبْهُمْ ﴾؛ انظر ماذا يكون ردّ فعلهم (٥٠).

وارتقب: على وزن (افتعل)، وهو من صيغ المبالغة، وأبلغ من (ارقب) لزيادة المبنى فيه (١٠)، ويدل على نزول العذاب بهم، لأنّ الانتظار يكون عند قرب حصول الشيء المنتظر (٧٠).

ومع أنّ صيغة المبالغة تتناسب مع تعدّد الأمور المرتقبة، فهو يحتمل ارتقاب فتنتهم بالناقة، وارتقاب ما يصنعون بها، وارتقاب العذاب الذي سيحلّ بهم (^).

د- ﴿وَأَصْطَبِرُ ﴾:

⁽١) معاني النحو (٢/ ٢٠١).

⁽٢) النظم القرآني، ص٢١٥.

⁽٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٤٢).

⁽٤) النظم القرآني، ص٢١٦.

⁽٥) تفسير الشعراوي (٢٤/ ١٤٧٨٠).

⁽٦) النظم القرآني، ص٢١٦.

⁽٧) المصدر السابق نفسه.

⁽٨) المصدر السابق نفسه.

فيه معنى المبالغة أيضاً، وهو أقوى من (اصبر)، قال البقاعيّ: "ودلّ بصيغة الافتعال على أنّه يكون له منهم أذى بالغ قبل انفصال النزاع"(١).

- ﴿وَٱصْطَبِرُ ﴾؛ اصبر على عنادهم، واصبر على أذاهم وتكذيبهم، واستمرّ في دعوتهم مع مكابدة الصبر.

7 - قوله تعال: ﴿وَنَبِّنَّهُمُ أَنَّ ٱلْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَاهُمْ كُلُّ شِرْبٍ قُحْنَضَرُ ﴾ [القمر: ٢٨].

ومعنى الآية: أخبرهم يا صالح أنّ الماء مقسوم بينهم وبين الناقة، لها شرب يوم ولهم شرب يوم شربهم، ولأهميّة هذا ولهم شرب يوم، تحضر في يوم شربها ويحضرون في يوم شربهم، ولأهميّة هذا الخبر وعظيم شأنه، ولِمَا سيترتّب عليه من الأمور العِظام إذا اعتدوا على الناقة من نزول العذاب بهم عُبِّر عنه بـ (النبأ)، فقال سبحانه: ﴿وَنَبِيَّاهُمُ ﴿ أَي: أخبرهم إخباراً عظيماً بأمر عظيم (٢).

أ- ﴿ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ﴿

ما دام أنّها معجزة، فلها وضع خاصّ في طعامها، وشرابها، وقد أوضح لهم أنّ الماء الذي يشربون منه قسمة بينها وبينهم (٣).

قال الشنقيطيّ رَحْمَهُ اللّهُ: وما تضمّنته هذه الآيةُ الكريمة جاء موضّحاً في آية أخرى، وهي قوله تعالى في الشعراء: ﴿قَالَ هَذِهِ عَنَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمِ مَعْلُومِ ﴾ [الشعراء: ٥٥٥]، وشرب الناقة هو الذي حذّرهم منه صالح لئلّا يتعرّضوا له في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ نَاقَةَ اللّهِ وَسُقْيَهَا ﴾ [الشمس: ١٣](٤).

⁽١) المصدر السابق نفسه.

⁽٢) المصدر السابق، ص٢١٧.

⁽٣) تفسير الشعراوي (٢٤/ ١٤٧٨٠).

⁽٤) أضواء البيان (٧/ ٧٢٢-٧٢٣).



قال الجصّاص رَحْمَهُ اللّهُ: "قوله تعالى: ﴿ وَنَبِّعْهُمُ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ﴾ الآية، يدلّ على جواز المهايأة (١) على الماء، لأنّهم جعلوا شرب الماء يوماً للناقة ويوماً لهم، ويدلّ أيضاً على أنّ المهايأة قسمة المنافع؛ لأنّ الله تعالى قد سمّى ذلك قسمة. واحتجّ محمّد بن الحسن بذلك على جواز المهايأة على الماء على هذا الوجه، وهذا يدلّ من قوله على أنّه كان يرى شرائع من كان قبلنا من الأنبياء ثابتة ما لم يثبت نسخها (١).

ب- ﴿ كُلُّ شِرْبِ قُحْتَضَرُ ﴾:

فيوم لها، ويوم لهم، تحضر يومها، ويحضرون يومهم، وتنال شربها، وينالون شربهم (٣).

فكل منهما يحضر مشربه، ويلتزم بدوره، فهم يشربون في يومهم، ولا يَقربون الماء في يوم شُربها، ثمّ يوم لا يشربون من الماء تُعطيهم الناقة من لبنها ما يكفيهم، ويغنيهم عن الماء في هذا اليوم (٤٠).

٧- قوله تعالى: ﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴾ [القمر: ٢٩].

ثمّ يعود السياق إلى أسلوب الحكاية، فيقصّ ما كان بعد ذلك منهم.

أ- ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ ﴾:

⁽١) المهايأة: الأمر المهايأ عليه، أي: أمر يتهايأ عليه القوم فيتراضون به، وهي في اصطلاح الفقهاء: قسمة المنافع على التعاقب والتناوب.

⁽٢) أحكام القرآن، الجصاص، مطبعة الأوقاف الإسلامية، ٢٠١٦م (٣/ ٤١٤).

⁽٣) في ظلال القرآن (٦/ ٣٤٣٣).

⁽٤) تفسير الشعراوي (٢٤/ ٣٤٣٢)

فنادت ثمود صاحبهم عاقر الناقة (قُدار بن سالف) ليعقر الناقة حضّاً منهم له على ذلك (١). وصاحبهم هو أحد الرهط المفسدين في المدينة الذين قال عنهم في سورة النمل: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَةُ رَهُطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ النمل: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَةُ رَهُطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [النمل: ٤٨]، وهو الذي قال عنه في سورة الشمس: ﴿إِذِ ٱنْبُعَنَ أَشَفَنَهَا ﴾ [الشمس: ١٢]. و فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴾:

وقيل: إنّه تعاطى الخمر فسكر ليصير جريئاً على الفعلة التي هو مقدِم عليها،

وهي عقر الناقة التي أرسلها الله آيةً لهم، وحذَّرهم رسولُهم أن يمسّوها فيأخذهم عذاب أليم (٢).

قال الشنقيطيّ رَحِمَهُ اللهُ: "قوله: ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾: قال أبو حيّان في البحر: ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ هو مطاوع (عاطى)، وكأنّ هذه الفعلة تدافعها الناس وعاطاها بعضهم بعضاً، فتعاطاها (قدار) وتناول العقر بيده"(٣).

والعرب تقول: تعاطى كذا: إذا فعله أو تناوله، وعاطاه: إذا تناوله، ومنه قول حسّان رَخِاللَّهُ عَنهُ:

كلتاهما حَلَبُ العصير فعاطِني بزجاجة أرخاهُما للمفصل

- وقوله ﴿فَتَعَاطَى ﴾؛ أي: تعاطى عقر الناقة فعقرها، وعبّر عن عاقر الناقة هنا بأنّه صاحبهم، وعبّر عنه في الشمس بأنّه أشقاهم، وذلك في قوله: ﴿إِذِ ٱنْبُعَتَ أَشْقَلْهَا ﴾ [الشمس: ١٢].

⁽۱) تفسير الطبرى (۲۷/ ۱۰۲).

⁽٢) التدبر والبيان (٣٣/ ٢٩٨).

⁽٣) أضواء البيان (٧/ ٧٢٣).



وهذه الآية الكريمة تشير إلى إزالة إشكال معروفٍ في الآية، وإيضاح ذلك أنَّ الله تعالى فيها نسَب العقر لواحد لا لجماعة، لأنّه قال: ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴾: بالإفراد مع أنّه أسند عقر الناقة في آيات أُخر إلى ثمود كلّهم، كقوله في سورة الأعراف: ﴿فَحَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَواْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ [الأعراف: ٧٧].

- وقوله تعالى في هود: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامِرً ﴾ [هود: ٦٥].

- وقوله في الشعراء: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَكِمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٧].

- وقوله في الشمس: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ [الشمس: ١٤].

ووجه إشارة الآية إلى إزالة هذا الإشكال هو أنّ قوله تعالى: ﴿فَنَادَوُا صَاحِبَهُمُ فَتَعَاظَىٰ فَعَقَرَ ﴾، يدلّ على أنّ ثمود اتّفقوا كلّهم على عقر الناقة، فنادوا واحدا منهم لينفّذ ما اتّفقوا عليه، أصالةً عن نفسه، ونيابةً عن غيره. ومعلوم أنّ المتمالئين على العقر كلُّهم عاقرون، وصحّت نسبتُه العقر إلى المنفّذ المباشر للعقر، وصحّت نسبتُه أيضاً إلى الجميع؛ لأنّهم متمالئون، كما دلّ عليه ترتيبُ تعاطى العقر بـ (الفاء) في قوله: ﴿فَتَعَاظَىٰ فَعَقَرَ ﴾ على ندائهم صاحبَهم، لينوب عنهم في مباشرة العقر في قوله تعالى: ﴿فَتَعَاظَىٰ فَعَقَرَ ﴾ أي: نادَوْه ليعقرها.

وجمَع بعضُ العلماء بين هذه الآيات بوجه آخر، وهو: أنّ إطلاق المجموع مراداً به بعضه أسلوبٌ عربيّ مشهور، وهو كثير في القرآن في كلام العرب(١).

٨- قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر: ٣٠].

⁽١) أضواء البيان (٧/ ٧٢٣-٧٢٤).

وهو سؤال التعجّب والتهويل قبل ذكر ما حلّ بهم من العذاب بعد النذير (۱). والاستفهام يدلّ على التعظيم والتعجّب؛ لبيان هول ما حلّ بهم من العذاب بسبب عقر الناقة، فقد كان على وجه عظيم يُتساءل عنه (۲)، وعلى كيفيّة هائلة لا يحيط بها وصف (۳).

وفي الاستفهام عن العذاب قبل ذكره تشويق النفس إلى معرفته، وحث على التدبّر والتفكّر في كيفيّته، ليقع فيها أبلغ موقع، وينتج من ذلك الخوف من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والإيمان بقدرته، وعظَمته، وقوّته. ومجيء ﴿ٱلْعَذَابِ ﴾ مفرداً، و ﴿وَنُذُرِ ﴾ بصيغة الجمع يدلّ على قيام الحجّة عليهم بكثرة الإنذارات التي بلغتهم قبل نزول العذاب، وفي ذلك أيضاً إشارة إلى غلبة رحمة الله عَرَقِعَلَ لغضبه (٤٠).

قال الرازيّ رَحْمَهُ اللهُ: "لأنّ الإنذار إشفاقٌ ورحمة، فقال: الإنذارات التي هي نعم ورحمة تواترت، فلمّا لم تنفع وقع العذاب دفعة واحدة، فكانت النعم كثيرة والنقمة واحدة"(٥).

٩ - قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَخِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيرِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴾ [القمر: ٣١].

ولمّا أجمل العذاب في الآية السابقة، وأشار الله عَزَّوَجَلَّ إلى عظَمته وهوله بما يستفاد من الاستفهام المذكور، فتهيّأت النفوس إلى معرفته، وأقبلت الأذهان

⁽۱) في ظلال القرآن (٦/ ٣٤٣٣).

⁽٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٩/ ١٢٢).

⁽٣) تفسير أبي السعود (٨/ ١٧٠)؛ روح المعاني (٢٧/ ١١٠).

⁽٤) النظم القرآني، ص٢١٩.

⁽٥) تفسير الرازي (٢٩/ ٢٨).



متدبّرة ومتفكّرة فيه؛ بيَّن الله ذلك العذاب، وقد دلّ النظم الكريم في هذه الآية أيضاً على هول العذاب الذي أصابهم نتيجة كفرهم واعتدائهم على ناقة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فنلحظ في نظم الآية ما يلي:

أ- تصدير الآية بحرف التوكيد مع ضمير العظمة في قوله: ﴿إِنَّا ﴾، وذلك لعظمة وأهميّة ما سيُقال بعدها.

ب- التعبير بالإرسال وإسناده إلى ضمير لعظَمة، وتقديم الجارّ والمجرور في قوله عَنَّكَ فَأَرْسَلْنَا فَ، وذلك يدلّ على أنّ الصيحة كانت عظيمة ومرسلة من السماء إليهم خاصّة لإهلاكهم، وأنّهم مقصودون بها، كما أنّ في تقديم الجارّ والمجرور تشويقاً لِما سيُذكر بعده.

جـ- تنكير ﴿صَيْحَةً ﴾، وذلك يفيد التعظيم، وأنَّها صيحة هائلة قويّة.

د- تقييد الصيحة ﴿وَلَودَةَ﴾، وفي ذلك تحقير لشأن قوم ثمود، فهي صيحة واحدة فقط، أهلكتهم عن بكرة أبيهم، ولم يكن لهم بها طاقة، كما يدلّ التقييد على عظم الصيحة وهولها، فقد أهلكتهم جميعهم مباشرة مرّة واحدة، وأنّ هذا الأمر المهوّل العظيم سهل يسير على الله عَنْ عَلَى ويمضي الأمر فيه بصيحة واحدة، ولا يحتاج فيه إلى طول مدّة، ولا كلفة أو مشقّة، فجيء بذكر: ﴿وَلُودَةً ﴾، لتأكيد الإعلام بأنّ ذلك هيّن وسهل على عِظمه (۱).

و لا يفَصِّل القرآن هذه الصيحة، وإن كانت في موضع آخر في سورة (فصِّلت) توصف بأنَّها صاعقة: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنَذَرْتُكُمُ صَعِقَةَ مِّثُلَ صَاعِقَةِ عَادِ وَتَمُودَ ﴾ [فصلت: ١٣]، وقد تكون كلمة صاعقة وصفاً للصيحة، فهي صيحة صاعقة،

⁽١) النظم القرآني، ص٢٢٠.

وقد تكون تعبيراً عن حقيقتها، فتكون الصيحة والصاعقة شيئاً واحداً، وقد تكون الصيحة هي صوت الصاعقة، أو تكون الصاعقة أثراً من آثار الصيحة، وعلى أيّة حال فقد أرسل الله على القوم صيحة واحدة ففعلت بهم ما فعلت، ممّا جعلهم:

- ﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴾؛ والمحتظر: صانع الحظيرة، وهو يصنعها من أعواد جافة، فهم صاروا كالأعواد الجافة حين تيبس وتتحطّم وتصبح هشيماً، أو أنّ المحتظِر يجمع لماشيته هشماً تأكله من الأعواد الجافة والعشب الناشف، وقد صار القوم كهذا الهشيم بعد الصيحة الواحدة، وهو مشهد مفجع مفزع، يعرض ردّاً على التعالي والتكبّر، فإذا المتعالون المتكبّرون هشيم، وهشيم مهين كهشيم المحتظر(١).

فقد بيّنت هذه الصورة مدى هوان هؤلاء الكفّار وذلّهم وخزيهم، يقول الدكتور محمّد محمّد أبو موسى: "وكان يمكن أن تؤدّي العبارة معنى فنائهم وتحطيمهم لو قال: فكانوا كالهشيم، ولكنّه أراد أن يؤدّي معنى آخر بهذا القيد، وهو الازدراء، وأنّهم لا كرامة ولا آدميّة لهم، وإنّما هم كهذا الهشيم الموطوء بالدوابّ تبول وتروث عليه، وفيه من الإهانة وضياع الحرّمات ما ترى"(٢).

وأمام هذا المشهد العنيف المخيف: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةَ وَلَوِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾، يرد قلوبهم إلى القرآن ليتذكّروا ويتدبّروا، وهو ميسّر للتذكّر والتدبّر (٣).

⁽۱) في ظلال القرآن (٦/ ٣٤٣٣).

⁽٢) النظم القرآني، ص ٢٢١؛ التصوير البياني، محمّد أبو موسى، ص ٥٠.

⁽٣) في ظلال القرآن (٦/ ٣٤٣٣).



• ١ - قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَرَنَا ٱلْقُرْءَانَ لِللَّكِمْ فَهَلَ مِن مُّدَّكِر ﴾ [القمر: ٣٦]:

ويُسدَل الستار على الهشيم المهين وفي العين منه مشهد، وفي القلب منه أثر، والقرآن يدعو من يذكر ويتفكّر (١).

أ- قال الطبريّ رَحْمَهُ اللَّهُ: "يقول تعالى ذكره: ولقد هوّيّا القرآنَ بيّنّاه ﴿لِلزِّكْرِ﴾؛ يقول لمن أراد أن يتذكّر به فيتّعظ، ﴿فَهَلْ مِن مُّتَكِرِ ﴾؛ يقول: فهل من متّعظ به ومعتبر فيعتبر به، فير تدع عمّا يكر هه الله منه"(٢).

ب- قال صديق خان رَحمَهُ أللَّهُ: "فائدة تكرّر هذه الآية أن يجدوا عند استماع كلّ نبأ من أنباء الأوّلين ادّكاراً واتّعاظاً، وأن يستأنفوا تيقّظاً وانتباهاً إذا سمعوا، والحثّ على ذلك والبعث إليه، وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها، لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب، مصوّرة للأذهان، مذكورة غير منسية في كلّ أوان"(٣).

سابعاً: قصّة صالح عَلَيْهُ السَّلامُ في سورة الشمس:

قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ تَمُودُ بِطَغْوَنِهَا ﴿ إِذِ ٱنْبُعَتَ أَشْقَلَهَا ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَهَا ۞ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّلِهَا ۞ وَلَا يَخَافُ عُقْبَلُهَا ﴾ [الشمس: ١١-١٥].

تتحدّث سورة الشمس عن وضوح الحقّ، وظهور طريق الخير، والإيمان، وأنّه لا لبس فيه، ولا خفاء، فإنَّ الله عَرَّفِجَلَّ قد خلق النفوس، وبيَّن لها طريق الفجور، وطريق التقوى، وترك لها حرّية الاختيار، وجعل الفلاح والفوز لمن زكّي نفسه،

⁽١) المصدر السابق نفسه.

⁽۲) جامع البيان (۲۷/ ۱۰٤).

⁽٣) فتح البيان (٣٠٢/١٣).

والخيبة والخسار لمن دسّاها؛ فمن ضلّ فإنّما يضلّ بإرادته واختياره، وتنكبه طريق الهدى بعد أن عرفه، ثمّ ضرب الله سبحانه مثلاً لهذا القسم بقوم ثمود الذين كذّبوا رسول الله صالح عَلَيْهِ السَّكمُ، وعقروا الناقة فأهلكهم الله بسبب طغيانهم، بعد أن عرفوا الحقّ والهدى، فلم يؤمنوا به.

وقد افتتحت سورة الشمس بأحد عشر قسماً إلهيّاً من أعظم الأقسام الدالّة على عظمة المقسم به والمقسم عليه، وهو حكم تقرير مصير الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة، فقد أقسم الله سبحانه بالشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها، والنهار إذا جلّاها، والليل إذا يغشاها، والسماء وما بناها، والأرض وما طحاها، والنفس وما سوّاها، والراجحُ أنّ ﴿وَمَا ﴾ [الشمس: ٧] هنا موصولة، أي: والذي بناها وطحاها وسوّاها، هو الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى (۱).

ولمّا أقسم الله بالنفس، ذكر الله أنّه قد ألهم النفوس، فبيّن لهما ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير أو شرّ، وطاعة أو معصية، فقال تعالى: ﴿وَنَفْسِ وَمَا سَوَنَهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقُونَهَا ﴾ [الشمس: ٧، ٨]، ثمّ بيّن عاقبة مَن زكّى نفسه وأصلحها، فألّهُ مَها فأولى إلى الفلاح، والثانية إلى الخيبة والخسار (٢)، قال تعالى: ﴿قَدُ أَفْلَحَ مَن زَكَّنهَا ۞ وَقَدُ خَابَ مَن دَسَّنهَا ﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، وخُصَّ قوم ثمود بالذكر لأنّ قريشاً وسائر العرب يعرفونهم لما يرون من آثارهم، ويتناقلون من أخبارهم (٣).

⁽١) النظم القرآني، ص٢٢٢.

⁽٢) المصدر السابق، ص٢٢٣.

⁽٣) المصدر السابق نفسه.



يقول الدكتور فضل حسن عبّاس رَحْمَهُ أللَّهُ: "فقد خُصَّت سورة الشمس، بالحديث عن ثمود دون عاد، ولعلّ ذلك يتناسب تماماً مع موضوع السورة الكريمة، فهي تتحدّث عن وضوح الحقّ كالشمس وضحاها، أي حينما تكون شباباً في رابعة النهار، والقمر إذا تلاها، والنهار إذا جلّاها، وفي أثناء ذلك كلّه يأتي الليل، ثمّ يأتي الحديث عن النفس وتسويتها خلقاً وإبداعاً، وعن فلاح مَن يزكّيها"(۱).

وبعد ذلك يعرض القرآن الكريم نموذجاً من نماذج الخيبة التي تنتهي إليها من يدسي نفسه، فيحجبها عن الهدى ويدنسها، ممثلاً هذا النموذج فيما أصاب ثمود من غضب ونكال وهلاك(٢).

تفسير الآيات الكريمة:

١ - قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ تَمُودُ بِطَغْوَلِهَآ ﴾ [الشمس: ١١]:

أي: بطغيانها، فالحامل لهم على تكذيب نبيّهم صالح طغيان الشرّ على نفوسهم، حتّى دسّاها وغمرها وغلب عليها(٣).

فكذّبت ثمود نبيّها صالحاً عَينوالسّلام بسبب طغيانها. وحُذف مفعول ﴿كَذَبَتُ ﴾ للعلم به (٤)، وقد يدلّ الحذف أيضاً على التعميم، وذلك بوصف ثمود بالتكذيب المطلق، وأنّهم كذّبوا صالحاً عَينوالسّلام، وكذّبوا بالآية التي جاء بها، وكلّ ما يجب عليهم الإيمان به، فالحذف أبلغ في ذمّهم وبيانِ عظيم تكذيبهم. ونجد في الحذف

⁽١) قصص القرآن، ص ٢٣١.

⁽۲) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩١٨).

⁽٣) التفسير الموضوعي (٨/٨٥).

⁽٤) النظم القرآني، ص٢٢٤.

أيضاً صرفاً للذهن إلى سبب التكذيب الذي هو طغيان ثمود بعدما تبيّن لهم الهدى والحقّ، فقد كانوا على بيّنة من أمرهم (١) في تجاوزهم لحدود الله بسبب طغيانهم.

٢ - قال تعالى: ﴿إِذِ ٱنبُّعَتَ أَشُّقَلْهَا ﴾ [الشمس: ١٢]:

قال الراغب: "أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه، يقال بعثته فانبعث (٢)، فيكون المعنى: إذ بعثوا أشقاهم فانبعث وانتدب لذلك "(٣).

فلفظة ﴿أَنْبَعَنَ ﴾ دلّت على أمرين:

الأوّل: أنّ قوم ثمود هم الذين أغرَوْه وهيّجوه وأثاروه لفعل هذه الجريمة الشنيعة، فهم مشاركون له فيها بسبب تشجيعهم عليها، وبذلك استحقّوا العذابَ جميعُهم.

الثاني: أنَّ أشقاهم قد خرج لعقر الناقة بنشاط وحِرص ورغبة في هذه الفِعلة().

ووصف العاقر بأنّه ﴿أَشَٰقَلَهَا ﴾ بصيغة أفعَل التفضيل؛ لأنّ مَن تولّى العقر وباشره كانت شقاوتُه أظهرَ وأبلغ (٥٠).

- ﴿إِذِ ٱنْبَعَتَ أَشَٰقَاهَا ﴾؛ أي: حين قتَل الناقة المعجزة أشقى رجل في ثمود، وأكثرُ ها طغياناً وإجراماً وشرّاً (١٠).

⁽١) المصدر السابق نفسه.

⁽٢) المفردات في غريب القرآن، ص٦٣.

⁽٣) النظم القرآني، ص٢٢٤.

⁽٤) البحر المحيط (١٠/ ٤٩٠).

⁽٥) تفسير البيضاوي (٢/ ٢٠٠).

⁽٦) التفسير الموضوعي (٨/٨٥).



وفي الحديث الشريف: أنَّ عبد الله بن زمعة سمع النبيَّ صَالَلَهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ يخطبُ، وذكر الناقة والذي عقرها، فقال: «إذ انبعث أشقاها، انبعث لها رجل عزيز^(۱)، عارم^(۲)، منيع في رهطه، مثل أبي زمعة»^(۳)، وفي الحديث بيان وكشف لصفة عاقر الناقة، وأنّه رجل شريف في قومه، عزيز فيهم، رئيس مطاع^(۱).

ولقد ذكر ابن حجر في (الفتح): "أنّ عاقر الناقة يقال: اسمه قُدار بن سالف"(٥). وقدار هذا عاقر الناقة، هو أحيمر ثمود، كما جاء وصفه بذاك الحديث، فعن عمّار بن ياسر قال: قال رسول الله صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمٌ لعليّ بن أبي طالب: «ألا أحدّثكم بأشقى الناس؟ رجلين: أحيمر(٢) ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا عليّ على هذه -يعني قرنه-، حتى يبلّ منها هذه -يعني الدم على لحيته-»(٧).

وهذا ما حصل سنة أربعين للهجرة، حيث أقدم أشقى المسلمين (عبد الله بن عمرو) المعروف بعبد الرحمن بن مُلجم المراديّ على قتل عليّ بن أبي طالب وصَوَّلِكُ عَنْهُ أمير المؤمنين، في الكوفة، وكان ذلك قبل صلاة فجريوم الجمعة، السابع عشر من شهر رمضان، سنة أربعين للهجرة، وتوفّي أمير المؤمنين عليّ رَضَّالِلَهُ عَنْهُ بعد الضربة بيو مين (٨).

⁽١) عزيز: قليل المثل.

⁽٢) عارم: صعب على من يرومه، كثير الشهامة والشرّ.

⁽٣) البخاري، رقم (٤٩٤).

⁽٤) التدبر والبيان (٣٧/ ٢٤٤).

⁽٥) فتح الباري (٦/ ٤٦٨).

⁽٦) أحيمر: تصغير أحمر.

⁽V) مسند أحمد (٤/ ٢٦٣).

⁽٨) القصص القرآني (١/ ٢٨٨).

٣- قال تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَهَا ﴾ [الشمس: ١٣]:

قال ابن كثير رَحْمَهُ أَللَهُ: "يعني صالحاً عَلَيْهِ السَّلَمُ، ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: احذروا ناقة الله أن تمسّوها بسوء، ﴿وَسُقْيَهَا ﴾ أي: لا تعتدوا عليها في سقياها، فإنّ لها شِربُ يومٍ، ولكم شرب يوم معلوم".

وقد عبر عن صالح عَلَيْهِ السَّلَمُ ﴿ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ لبيان عظيم مكانته ومنزلته، والإيذان بوجوب طاعته؛ لأن ما قاله كان من عند الله وبأمره، فتعظيمه من تعظيم مرسله سُبْحَانُهُ وَتَعَالَى، وفي تكذيبه ومخالفة أمره بيان لغاية عتو قوم ثمود، وتماديهم في الطغيان، كما أن وظيفة الرسول الإبلاغ والتحذير، وذلك مناسب للمقام (۱۱).

وقد دلّ النظم الكريم في هذه الآية أنّ صالحاً عَلَيْهِ السَّكَمُ قد بالغ في نصحهم وتحذيرهم وتخويفهم من عذاب الله عَرَقِجَلّ، نلتمس ذلك ممّا يلى:

أَوّلاً: تقديم الجارّ والمجرور: ﴿لَهُمْ ﴾، للاهتمام بشأنهم وتخصيصهم بالتحذير، وأنّه توجّه لهم بالنصح إشفاقاً عليهم.

ثانياً: حذف فعل التحذير والتقدير: ذروا أو احذروا ناقة الله (٢)، وذلك أبلغ هنا، لأنّ الحذف فيه إشارة إلى ضيق الحال عن ذكر المحذوف لعظيم الهول، وسرعة التعذيب عند مسّها بالأذى (٣).

⁽١) النظم القرآني، ص٢٢٥.

⁽٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٤٩).

⁽٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ٨٢).



وفيه أيضاً: دلالة على أنّ صالحاً عَلَيْهِ السَّلَمُ؛ كان يحذّرهم حالاً بعد حال من عذاب ينزل بهم إنْ أقدموا على ذلك، وكانت متصوّرة في نفوسهم فاقتصر على أن قال لهم: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقِيْهَا ﴾؛ لأنّ هذه الإشارة كافيةٌ مع الأمور المتقدّمة (١).

ثالثاً: إضافة الناقة إلى لفظ الجلالة، لإثارة المهابة في نفوسهم بزيادة تعظيمها لعلّهم يخافون، ويرتدعون عن التعرّض لها(٢).

٤- قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّنها ﴾
 [الشمس: ١٤]:

كذّبوا صالحاً فيما حذّرهم، وتوعّدهم به، إن هم تعرّضوا للناقة بسوء (٣)، ولكنّهم تجرّأوا على الناقة نفسها، فعقروها بصيغة الجمع، فهل اشتركت كلُّ القبيلة في عقرها؟

لا بل عقرها واحد منهم هو قدار بن سالف، لكن وافقه الجميع على ذلك وساعدوه وارتضوا هذا الفعل، فكأنّهم فعلوا جميعاً، لأنّهم استشاروا فوافقوا، واجتمع رأيهم على هذا، فعن رضا جميعهم قتلها قاتلُها، وعقرها عاقرُها، ونحرها ناحرُها.

والعقر هو ضرب قوائم الناقة؛ بحيث تقع على الأرض ثمّ ينحرها، ولا يفعله إلّا متمرّس على هذا، لذلك قال: ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴾ [القمر: ٢٩](٤).

⁽١) تفسير الرازي نقلاً عن النظم القرآني، ص٢٢٥.

⁽٢) النظم القرآني، ص٢٢٥.

⁽٣) المصدر السابق، ص٢٢٦.

⁽٤) تفسير الشعراوي (۲۷/ ۱۷۰۵۷).

أ- ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ ﴾:

أهلكهم، وأطبَق عليهم العذاب، وحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب، وترديده، والدمدمة؛ إهلاك باستئصال. ودمدم أي: غضب. ودمدم: إذا عذّب عذاباً تامّاً.

و ﴿ فَدَمْدَمَ ﴾ لها عدّة معان، هي: غضب أطبق عليهم، وعذاب أهلكه وطحطحه، وحكاية صوت الهزّة؛ وهذه الكلمة تشمل على كلّ هذه المعاني السابقة. ولا منافاة بين تلك المعاني، فثمود قد غضب الله عليهم غضباً شديداً، وثمود قد أطبق الله عليهم العذاب، وثمود قد أزعجهم الله وأهلكهم بالصيحة، وثمود قد ألزقهم الله بالأرض، وطحطحهم، لأنّ هذا نتيجة طبيعيّة لهلاكهم، وثمود أهلكهم الله بصاعقة لها هزّة شديدة، وصوت قويّ مدوّي، فلا مناقضة إذن بين تلك الدلالات. وكلّها تنسجم مع السياق العام للقصّة في أي موضع حكى الله فيه عذابهم، فبان بأنّ في هذه الفريدة ﴿ فَدَمَدَمُ ﴾ إيجازاً وإعجازاً، حيث حملت معاني كثيرة، ودلالاتٍ غزيرةً لا يمكن لغيرها أن تقوم مقامها. وتلك سمة جليلة من الفرائد القرآنيّة، حيث تُعبِّ لفظةٌ واحدة عن معان كثيرة، فيا لدقّة هذا القرآن، وروعة لفظه، وجمال نظمه، وإحكام تراكيبه.

وفي تركيب هذه اللفظة الفريدة من أربعة أحرف لطيفةٌ قرآنيّة دقيقة لا تصدر إلّا من الخبير العليم سبحانه، لأنّها تومئ إلى أنّ ثمود قد عذّبها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بخلاف من سبقها من الأمم، بأربعة أشياء مجمّعة: (الرجفة، والصيحة، والصاعقة، والطاغية)، كما هو مذكور في أكثر من آية، وهي مسمّيات شتّى لشيء واحد، اختصّهم الله بذلك دون غيرهم من الأمم، وهذا ينسجم مع حروف ﴿فَدَمْدَمَ ﴾ الأربعة، وكأنّ كلّ حرف يشير إلى نوع من العذاب، أو صفة من صفاته، أي:



دمدم الله عليهم بالصيحة، والرجفة، والصاعقة، والطاغية، ففي دمدم اختصار لهذه الأربعة(١).

- ﴿رَبُّهُم ﴾؛ وفي التعبير بالربوبيّة التي تدلّ على التربية والرعاية والإحسان في مقام الإهلاك والعذاب، دلالة على شدّة غضب الله عَرَّفِكً عليهم الذي أحسن إليهم، فعرهم إحسانه فقطعه عنهم، فعادوا كأمس الدابر(٢)، وفي ذلك غاية الذلّ لهم(٣).

- ﴿بِذَنَبِهِم ﴾؛ لبيان أنّ ما أصابهم كان بسبب ذنوبهم، وفيه إنذار عظيم بعاقبة الذنب، فعلى كلّ مذنب أن يعتبر ويحذّر(٤٠).

ب- ﴿فَسَوَّلْهَا ﴾:

أي: فسوّى الدمدمة عليهم وعمّهم بها صغيرهم وكبيرهم، فسوَّى بهم العذاب (٥)، فلم يفلت بهم أحد، لا قويّ ولا ضعيف، ولا كبير ولا صغير، لأنّهم استووا في الظلم والكفر بسبب عقر الناقة، بعضهم بالفعل وبعضهم بالرضا والحثّ، فاستحقّوا أن يُستأصلوا جميعهم (١)، فقد كان عذاب مدمدم مزلزل صاعق، جعل كلّ إنسان منهم يموت على حاله التي هو فيها، إنّه عذاب طاغ أوقف قلوبهم على الفور وشلّ يموت على حاله التي هو فيها، إنّه عذاب طاغ أوقف قلوبهم على الفور وشلّ أركانهم، لذلك قال: ﴿جَنِيْمِينَ ﴾ (٧).

⁽١) الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية، ص٦٦.

⁽٢) النظم القرآني، ص٢٢٦.

⁽٣) المصدر السابق نفسه.

⁽٤) المصدر السابق نفسه.

⁽٥) الكشاف، الزمخشري، ص١٢٠٦.

⁽٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ٨٣).

⁽۷) تفسير الشعراوي (۲۷/ ۱۷۰۵).

جـ- ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا ﴾:

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَ.. ومن ذا يخاف؟ وماذا يخاف؟ وأنّى يخاف؟ وإنّما يراد من هذا التعبير لازمه المفهوم منه، فالذي لا يخاف عاقبة ما يفعل، يبلغ غاية البطش حين يبطش، وكذلك بطش الله كان: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج: ١٢]؛ فهو إيقاع يراد إيحاؤه وظلّه في النفوس ومضت سنة الله في أخذ المكذّبين والطغاة، في حدود التقدير الحكيم الذي يجعل لكلّ شيء أجلاً، ولكلّ حادث موعداً، ولكلّ أمر غاية، ولكلّ قدر حكمة وهو ربّ العالمين (١٠).

ثامناً: السُّور التي فيها إشارات سريعة لقصّة صالح عَلَيهِ السَّارُ مع ثمود:

تفسير الآية الكريمة:

أ- ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَاتِ ﴾:

- ﴿ وَمَا مَنَعَنَا ﴾: يقول الله تعالى عن ذاته العليّة سبحانه أنّه ما منعه عن الإرسال الآيات، ولا يمنع الله مانع، ولا يحول دون نفاذ أمره حائل، لكّنه رحمة بهم منع نزول الآيات المادّية عنهم ليبقيهم ولا يستأصلهم (٢).
- ﴿ أَن نُّرُسِلَ بِٱلْآیکَتِ ﴾؛ الآیات جمع آیة، وهي الأمر العجیب الذي یلفت النظر، ویسترعي الانتباه، وهذه الآیات إمّا أن تکون آیاتٍ کونیّةً تستدلّ بها علی

⁽١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٢٣٧).

⁽٢) تفسير سورة الإسراء، د. أحمد نوفل، ص٥٤ ٣٠.



قدرة المدبّر الأعلى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مثل المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَتِهِ ٱلَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ [فصلت: ٣٧].

وقد تكون الآيات بمعنى المعجزة التي تُثبت صدق الرسول أو النبي عَلَيْهِمُّالسَّلَامُ في البلاغ عن ربَّه تعالى، وقد تكون الآيات بمعنى آيات القرآن الكريم، والتي يسمّونها حاملة الأحكام (١٠).

فالآيات ثلاثة: كونيّةٌ، ومعجزاتٌ، وآياتُ قرآنٍ، فالمقصود في الآيات: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن تُرْسِلَ بِٱلْآيَنِ ﴾؛ المعجزات والخوارق التي يسوقها الله على يد الأنبياء عَلَيْهِمَالسَّلَامُ لتكون دليلهم لأقوامهم على حِجيّة دعواهم، وحِقيّة رسالتهم(٢).

وقد جاءت معجزة كل نبي على حسب نبوغ قومه، فجاءت معجزة موسى عَلَيْهِ السَّكَمُ من نوع السَّحر الذي نبغ فيه بنو إسرائيل، وكذلك معجزة عيسى عَلَيْهِ السَّكَمُ ممّا نبغ فيه قومه من الطلب، وجاءت معجزة محمّد صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفصاحة والبلاغة والبيان؛ لأنّ العرب لم يُظهروا نبوغاً في غير هذا المجال، فتحدّاهم بما يعرفونه، ويجيدونه، ليكون أبلغ في الحجّة عليهم (٣).

فالمقصود بالآيات التي منعها الله عنهم، هو ما طلبوه من معجزات أخرى جاءت في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۞ أَوْتَكُونَ لَكَ جَنَّةُ مِّن خَيلِ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَرَ خِلَاهَا تَفْجِيرًا ۞ أُو تُسُقِط ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْت كَلَ جَنَّةُ مِّن خَيلِ وَعِنَبٍ فَتُفَجِرَ ٱلْأَنْهَرَ خِلَاهَا تَفْجِيرًا ۞ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتُ مِن زُخْرُفٍ أَوْ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِي بِٱللّهِ وَٱلْمَلْنَهِكَةِ قَبِيلًا ۞ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتُ مِن زُخْرُفٍ أَوْ تَرُقَى فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُوْمِنَ لِرُقِيتِكَ حَتَى تُنزِّلَ عَلَيْنَا كِتَبًا نَقْرَؤُهُ ﴿ [الإسراء: ٥٠-٩٣].

تفسير الشعراوي (١٤/ ٥٦٣٨).

⁽٢) تفسير سورة الإسراء، ص ٣٤٥.

⁽٣) تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٦٣٦).

والمتأمّل في كلّ هذه الاقتراحات من كُفّار مكّة يجدها بعيدةً كلَّ البعد عن مجال المعجزة التي يُراد بها في هذا المقام الأوّل تثبيتُ الرسول، وبيانُ صدق رسالته، وتبليغُه عن الله عَرَّفِكَ، وهذه لا تكون إلّا في أمرٍ نبغ فيه قومه، ولهم به إلمام ومعرفة، وهم أمّة فصاحة وبلاغة، وهل لهم إلمام بتفجير الينابيع في الأرض؟ وهل إسقاط السماء عليهم كسفاً يقوم دليلاً على صدق الرسول؟ أم إنّه الجدل العقيم والاستكبار عن قبول الحقّ؟

وهكذا، جلس كفّار مكّة يقترحون الآيات، ويطلبون المعجزات، والحقّ سُبْحَانُهُ وَتَعَالَى يُنزّل من المعجزات ما يشاء، وليس لأحد أن يقترح على الله أو يُجبره على شيء، فالحقّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قادرٌ على أن يُنزّل عليهم ما اقترحوه من الآيات، فهو سبحانه لا يُعجزه شيء، ولا يتعاظمه شيء، ولكن للبشر قبل ذلك سابقة مع المعجزات(۱).

ب- ﴿إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾:

هذا الذي منعنا، أنّ الأوّلين مع أننا سُقنا لهم الآيات المادّية، فلم تغيّر شيئاً في موقفهم من أنبيائهم، ورسالة هؤلاء الأنبياء عَلَيْهِماًلسَّلامُ (٢٠).

خص من بين الآيات الماديّة آية صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي الناقة، ومعنى مُبصرة: أيّ آية واضحة؛ يبصر ما وراءها من رآها(٣).

⁽۱) المصدر السابق (۱۶/ ۸۲۳۷).

⁽٢) تفسير سورة الإسراء، ص ٣٤٥.

⁽٣) المصدر السابق نفسه.



قال الشنقيطي رَحْمَهُ اللَّهُ: في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾؛ أي: بيّنة تجعلهم يُبصرون الحقّ واضحاً لا لَبس فيه(١).

د- ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا ﴾:

لم يبيّن ظُلمهم بها هاهنا، ولكنّه أوضحه بمواضع أخرى.

- كقوله: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَواْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ [الأعراف: ٧٧].

- وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ [الشمس: ١٤].

- وقوله: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُم فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴾ [القمر: ٢٩]. وإلى غير ذلك من الآيات(٢).

هـ- ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيْتِ إِلَّا تَخُويفًا ﴾:

قال القرطبي رَحْمَهُ أَللَّهُ: فيه خمسة أقوال:

الأوّل: العِبر والمعجزات التي جعلها الله على أيدي الرسل عَلَيْهِمَّالسَّلامُ، من دلائل الإنذار تخويفاً للمكذّبين.

الثاني: أنَّها آيات الانتقام تخويفاً من المعاصي.

الثالث: أنّها تقلُّب الأحوال من صغر إلى شباب ثمّ تكهّل، ثمّ إلى مشيب، لتعتبر بتقلّب أحوالك فتخاف تقلّب أمرك، وهذا قول أحمد بن حنبل.

الرابع: القرآن.

الخامس: الموت الذريع، قاله الحسن (٣).

أضواء البيان (٣/ ١٦٤ – ١٦٥).

⁽٢) المصدر السابق (٣/ ١٦٥).

⁽٣) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١٨٣).

وقال السعدي رَحَمُ اللهُ: يذكر الله تعالى رحمتَه بعدم إنزاله الآياتِ التي اقترحها المكذّبون، وأنّه ما منَعه أن يرسلها إلّا خوفاً من تكذيبهم لها، فإن كذّبوا بها عاجَلهم العقابَ، وحلّ بهم من غير تأخير، كما فعل بالأوّلين الذين كذّبوا بها (۱).

ولقد طلب قومُ ثمود معجزة بعينها، فأجابهم الله، وأنزلها لهم، فما كان منهم إلّا أن استكبروا عن الإيمان، وكفروا بالآية التي طلبوها، بل وأكثر من ذلك ظلموا بها، أي: جاروا على الناقة نفسها، وتجرأوا فعقروها، وهذه السابقة مع ثمود هي منعتنا عن إجابة أهل مكّة فيما اقترحوه من الآيات، وليس عجزاً منّا عن الإتيان بها(٢).

وقد خصّ بالذكر ثمود، وآيتها لشهرة أمرهم بين العرب، ولأنّ آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من أهل مكّة يُبصرها صادرهم وواردهم في رحلاتهم بين مكّة والشام (٣).

- ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَتِ إِلَّا تَخُويفاً ﴾؛ هذا بيان لحكمة أخرى في ترك إرسال الآيات إلى قريش، تشير إلى أنّ الله تعالى أراد الإبقاء عليهم، ليدخل منهم في الإسلام، ويكون نشر الإسلام على يد كثير منهم، وأعطاهم تلك الآيات كما سألوا مع أنّ جبلّتهم العناد، فأصرّوا على الكفر، فحقّت عليهم سنة الله التي قد خلت في عباده. وكان الاستئصال عقب إظهار الآيات، لأنّ إظهار الآيات تخويف من العذاب، والله أراد الإبقاء على هذه الأمّة، قال: ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]، وبالتالي، عوّضنا تخويفهم بدلاً عن إرسال الآيات التي اقتر حوها(٤).

⁽١) تفسير السعدى تقلاً عن التدبر والبيان (١٩/ ٢٩٧).

⁽۲) تفسير الشعراوي (۱٤/ ۸٦٣٨).

⁽٣) التحرير والتنوير (٦/ ٥٢٧).

⁽٤) المصدر السابق (٦/ ٥٢٨).



٢ - سورة فصّلت: قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَى عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿ وَنَجَيّنَنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَقُونَ ﴾ قَاضَدَتُهُمْ صَعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿ وَنَجَيّنَنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَقُونَ ﴾ [فصلت: ١٨، ١٧]:

أ- ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ ﴾:

هم القبيلة المعروفة الذين سكنوا الحِجْر وحواليه، الذين أرسل الله إليهم صالحاً عَيَّالًا الله الله إلى توحيد ربّهم، وينهاهم عن الشرك، وآتاهم الله الناقة آية عظيمة، لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، يشربون لبنها يوماً، ويشربون من الماء يوماً، وليسوا ينفقون عليها بل تأكل من أرض الله(۱).

ب- ﴿فَهَادَيْنَاهُمْ ﴿:

هدى الدلالة والبيان والإرشاد، لا هدى التوفيق والاصطفاء (٢)، وإنّما نصّ عليهم: ﴿فَهَدَيْنَهُمْ ﴾، وإن كان جميع الأمم المهلكة قد قامت عليهم الحجّة، وحصل لهم البيان، لأنّ آية ثمود آية باهرة، قد رآها صغيرُهم وكبيرُهم، وذكرهم وأنثاهم، وكانت آية مبصرة، فلهذا خصّهم بزيادة البيان والهدى ولكنّهم من ظلمهم وشرّهم، استحبوا العمى على الهدى، كما ذكر تعالى:

ج- ﴿ فَأَسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾:

اختاروا الكفر والضلال والجهل على الإيمان والهدى والعلم (٣).

⁽۱) تفسير السعدي، ص١٠٠٤.

⁽٢) أضواء البيان (٧/ ١٢٥).

⁽٣) تفسير السعدي، ص١٠٠٤.

د- ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾:

الفاء في قوله ﴿فَأَخَذَتُهُمْ ﴾؛ سببيّة.

أي: فاستحبّو االعمى على الهدى، وبسبب ذلك أخذتهم صاعقة العذاب الهون(١٠). والصاعقة: هي كلّ ما يدمّر، سواء كان بالريح أو النار، أو الصيحة المدمّرة.

والعذاب الهون: أي: المصحوب بالخزي، والإهانة.

- ﴿ مِمَا كَانُواْ يَكُمِبُونَ ﴾؛ وقع لهم بسبب ما كسبوا وما اقترفته أيديهم، يعني: جزاء وفاقاً، لا ظلماً ولا عدواناً (٢٠).

هـ - ﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾:

أي: آمنوا بالله ووحدوه، وأفردوه بالعبادة من العذاب الذي نزل على قوم صالح عَلَيْ السَّكَمُ. والإيمان يحتاج إلى تَفكّر في خالق السماوات والأرض، ويحتاج إلى الطاعة، ويحتاج إلى معرفة أمر الله تعالى، ويحتاج إلى حضور مجالس العلم، ويحتاج إلى ملازمة الذّكر، ويحتاج إلى الأعمال الصالحة (٣).

و- ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾:

كانوا يَخافون الله تعالى أن يحلّ بهم من العقوبة على كُفرهم لو كفروا، ما حلّ بالذين هلكوا منهم، فآمنوا إتّقاء الله، وخوف وعيدِه، وصدّقوا رسولَه، وخلعوا الآلهة، والأنداد(٤٠).

⁽١) أضواء البيان (٧/ ١٢٥).

⁽۲) تفسير الشعراوي (۲۲/ ۱۳۵۳۱).

⁽٣) تفسير النابلسي (١١/ ٣١٦).

⁽٤) تفسير الطبرى (۲٤/ ١٠٥ – ١٠٦).



أي: كانت سنتهم اتقاء الله، والنظر فيما يُنجّي من غضبه، وعقابه، وهو أبلغ في الوصف من أن يُقال المتّقين (١). فطريق النجاة والفوز في الدنيا والآخرة هو طريق الإيمان والتقوى في كل مكان وزمان.

٣- سورة الفجر: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿ ٱلَّتِينَ لَمُ يُغْلَقُ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَادِ ﴿ وَفَرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿ ٱلْذِينَ طَغُواْ فِي الْبِلَادِ ﴿ وَفَرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴾ ٱلْذِينَ طَغُواْ فِي ٱلْبِلَادِ ﴿ وَفَرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴾ ٱللهَ طَغَواْ فِي ٱلْبِلَادِ ﴿ فَصَبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَلْمُ صَادِ ﴾ [الفجر: ٢- ١٤]:

صيغة الاستفهام في مثل هذا السياق أشدُّ إثارةً لليقظة والالتفات، والخطاب للنبيّ صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَلَكُلُ من تتأتّى منه الرؤية أو التبصّر في مصارع أولئك الأقوام، وكلّها ممّا كان المخاطبون بالقرآن أوّل مرّة يعرفونه، وممّا تشهد به الآثار والقصص الباقية في الأجيال المتعاقبة (٢).

أ- ﴿أَلَمْ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾:

ألم ترَ يا محمّد ما حدث لهؤلاء، وهم أعلام لهم تاريخ معروف في ركب الحضارات، وكانت لهم صولة وامتداد عمرانيّ وحضاريّ ملأ الدنيا، ولكن لم تعصمهم هذه الحضارةُ من عذاب الله، فأخذهم الله فأصبحوا أثراً بعد عين.

ومعنى ﴿ أَنْ تَرَ ﴾؛ يعني هذا أمر معروف للنبيّ وللمعاصرين لنزول هذه الآيات، وتاريخهم متداول تسير به الركبان؛ لذلك خاطبهم الله هذا الخطاب: ﴿ أَلَوْ تَرَ ﴾، ولو كان خبراً مطموراً لا يعرفه أحد لقالوا لم نعرف ما فعل بهم ولا علم لنا به. فما

التحرير والتنوير (٩/ ٥٢٨).

⁽٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٠٣).

حدث لهم من الإهلاك أمر معروف، لأنّه وقع بالفعل، ويمكن الاستدلال عليه بما بقى من آثارهم.

- ﴿ أَلَوْ تَرَ ﴾: أنّ العلماء فسّروها بمعنى: ألم تعلم، ويعلّق الشعراويّ رَحْمَهُ اللّهُ فيقول: لكن إذا كانت بمعنى ألم تعلم فلماذا عدل عنها السياق إلى ﴿ أَلَوْ تَرَ ﴾؟

والحقّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يريد أن يؤكّد لرسوله صَالَّلَهُ عَلَيْهِ وَسَالَمَ الأخبار، ويلفت نظره وأنظارنا أنّ الحقّ إذا أخبرك بشيء فاعلم أنّ يقينك به يجب أن يكون يقين المستقبل لما رأى لا يقين المستقبل لما سمع، وأن يكون أخبار الله لك أوثق ممّا تراه عينك، لأن رؤية العين قد تخدعك، إنّما ربّك لا يخدعك، لذلك كلّ أمر من الأمور يريد الحقّ سبحانه أن يؤكّده يقول: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴿ ، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يَسُجُدُ لَكُومَ مَن فِي السَّمَوَتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ﴾ [الحج: ١٨].

يا ربّ لم نر هذا السجود، لكن إخبارك به أو ثق لنا من رؤيتنا بأعيننا، إذن إخبار الله عن أمر غيبيّ يجب أن يرتقي لمستوى ما تراه عينك (١).

ب- هنا يقول الحقّ سبحانه: ﴿أَلَوْ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۞ ٱلَّتِي لَوْ يُخْلَقُ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَدِ ﴾:

أعطانا صورة حضاريّة لما وصلت إليه عادٌ من تمكين وحضارة، وعمارة، لا مثيل لها في عالم ذلك الزمان، يعني كانت الدولة الأولى في العالم كلّه(٢).

- قال ابن كثير رَحْمَهُ أَللَهُ عن عاد: "وهؤلاء كانوا متمرّدين عتاةً جبّارين، خارجين عن طاعته، ومكذّبين لرسله، وجاحدين لكتبه، فذكر سُبْحَانهُ وَتَعَالَى كيف أهلكهم،

⁽۱) تفسير الشعراوي (۲۷/ ۱۷۰۱۹).

⁽٢) المصدر السابق نفسه.



ودمّرهم، وجعلهم أحاديثَ وعِبَرًا، وهؤلاء هم عاد الأولى، وهم أولاد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، قال ابن إسحاق: وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هود عَلَيْوالسَّكَمْ، فكذّبوه وخالفوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم، ومن آمن معه منهم، وأهلكهم بريح صرصر عاتية، وقد ذكر الله قصّتهم في القرآن في غير موضع، ليعتبر بمصرعهم المؤمنون"(۱).

- ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾: فماهي إرم؟ وما معنى ذات العماد؟ وكيف لم يُخلَق مثلها في البلاد؟ هناك كثير في الإسرائيليّات والخرافات والأساطير عن مدينة أسطوريّة خياليّة، سمّوها مدينة (إرم).

ومدينة (إرم ذات العماد) قالوا عنها: إنّها مبنيّة من قصور وأعمدة، من ذهب ورخام، وإنّها متنقّلة في البلدان. وهذا كلّه أساطير وخرافات، فليست هناك مدينة اسمها (إرم ذات العماد).

قال ابن كثير رَحْمُ أُللَّهُ: "ومن زعم أنّ (إرم) مدينة تدور في الأرض، فتارةً في الشام، وتارةً في اليمن، وتارةً في الحجاز، وتارةً في غيرها، فقد أبعد النّجعة، وقال ما لا دليل عليه، ولا برهان يعوّل عليه، ولا مستند يُركن إليه"(٢).

وإن كلمة (إرم) في سورة الفجر ليست اسم مدينة كانت تسكنها عاد، وإنّما هي بدل من عاد، أو عطف بيان لعاد، وعاد هي عاد إرم. و(إرم) اسم أحد أجداد (عاد)، وسمّيت قبيلة عاد باسمه، وكان يُقال لها: عاد إرم. و (إرم) في اللغة هي الحجارة

⁽۱) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٧٤).

⁽٢) قصص الأنبياء، ابن كثير، ص٨٨.

المرفوعة، إذ قال ابن فارس في (مقاييس اللغة): "والإرم: العَلَم. وهي حجارة مجتمعة، كأنّها رجل قائم"(١).

ومعنى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾:

- (إرم) في الآية بدل من عاد: (بعاد) ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾؛ مجرورة بالفتحة بدل الكسرة لأنّها ممنوعة من الصرف، للعَلَميّة والتّأنيث(٢).
- ﴿ ذَاتِ ﴾: صفة لعاد أو إرم مجرورة. وهي مضاف، و ﴿ ٱلْعِمَادِ ﴾، هو مضاف إليه (٣).
 - ﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقُ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَادِ ﴾.
- ﴿ٱلَّتِي ﴾: اسم موصول مبني، في محل جر صفة لعاد، والتّقدير: غير مخلوق مثلها في البلاد.

إنّ الآيات الكريمة، تتحدّث عن عاد، والتي هي عاد إرم، وعاد إرم هذه ذات العماد، فكانت تسكن في بيوت من الشعر، وأعمدتها مرتفعة، وتَبني قصوراً ضخمة على قِمم الجبال، وبداخلها أعمدة مرفوعة، فهي بهذا الاعتبار: عاد ذات العماد.

وعاد هذه أعطاها الله قوّة، فلم يَخلق مثلها في البلاد قبيلةً في قوّتها وسلطانها. فالآيات لا تتكلم عن مدينة (إرم) ذات العماد، التي لم يُخلَق ولم يُبنَ مثلها

⁽۱) مقاییس اللغة، أحمد بن فارس بن زكریا الرازی، دار الفكر، ۱۹۷۹م (۱/ ۸۵).

⁽٢) القصص القرآني (١/ ٢٣١).

⁽٣) المصدر السابق نفسه.



في البلاد، ولم تماثلها أيّة مدينة في البلاد. وإنّما تتحدّث عن عاد إرم، وهي عاد ذات العماد، وهي عاد التي لم يَخلق الله في البلاد مثلها في القوّة والسلطان(١).

جـ- ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴾:

وادي القرى؛ نحتوا بقوّتهم الصخورَ، فاتّخذوها مساكنَ. وقد قال الخازن رَحْمَهُ اللّهُ: قوله عَزَيْجَلّ: ﴿وَتَمُودَ ﴾؛ أي: وفعَل بثمود مثل ما فعل بعاد.

- ﴿ٱلَّذِينَ جَابُواْ ﴾؛ أي: قطعوا.
 - ﴿ٱلصَّخْرَ ﴾؛ أي: الحجر.
- ﴿بِٱلْوَادِ ﴾؛ بوادي القرى، وكانت ثمودُ أوّلَ من قطع الصخر، ونحَته، واتّخذوا مساكن في الجبال وبيوتًا(٢).

د- ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ﴾:

وهم الجنود الذين ثبّتوا ملكه، كما تثبّت الأوتاد ما يراد إمساكه بها(٣).

وهناك من قال أنّ الأرجح الأهرامات التي تشبه الأوتاد الثابتة في الأرض المتينة البنيان، وفرعون المُشار إليه هنا هو فرعون موسى الطاغية الجبّار(٤).

ه- ﴿ ٱلَّذِينَ طَعَواْ فِي ٱلْبِلَدِ ۞ فَأَكْتَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴾:

فلم يعب عليهم التشييد، والحضارة التي لا مثيل لها، وإنّما عاب عليهم طغيانَهم، وغرورَهم بالتفوّق الماديّ في الحياة، ولم يعب عليهم الرقيّ الماديّ، ولم يعب الحركة في ذاتها، وإنّما عاب عليهم طغيانَ الحركة.

⁽١) المصدر السابق (١/ ٢٣٢).

⁽٢) تفسير السعدي، ص٤٥٢١؛ لباب التأويل، الخازن (٤/ ٣٧٦).

⁽٣) تفسير السعدي، ص١٢٥٤.

⁽٤) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٠٤).

وها هو الكون أمامك خذ بأسباب الرقيّ والتقدّم ما تشاء، واستنبط من أسرار الوجود ما يجعلك في رخاء، ونعمة، ورفاهية في حدود ما أحلّ الله لك، ولكن احذر أن تُطغيك النعمة، أو الجاه، أو المال أو غيره؛ لأن الطغيان لا بدّ أن يَنشأ عنه الفساد، والله لا يرضى بالفساد، ولا بدّ أن يضع له حدّاً حتى لا يستشري في الكون، فيأخذه الله أخذ عزيز مقتدر(۱).

فهؤلاء هم ﴿ٱلَّذِينَ طَغَواْ فِي ٱلْبِلَادِ ﴿ فَأَكْتَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴾.

وليس وراء الطغيان إلّا الفساد، فالطغيان يفسد الطاغية، ويفسد الذي يقع عليهم الطغيان سواء، كما يفسد العلاقات والارتباطات في كلّ جوانب الحياة، ويحوّل عن خطّها السليم المعمّر الباني، إلى خطّ آخر لا تستقيم معه خلافة الإنسان في الأرض بحال.

وإنّه يجعل الطاغية أسيرَ هواه، لأنّه لا يفيء إلى ميزان ثابت، ولا يقف عند حدّ ظاهر، فيفسد هو أوّل من يفسد؛ ويتّخذ له مكاناً في الأرض غير مكان العبد المُستخلف.

والطغيان يعطّل ملكاتِ الابتكار المتحرّرة، والتي لا تنمو في غير جوّ الحرّيّة، والنفس التي تستذلّ تأسن، وتتعفّن، وتصبح مرتعاً لديدان الشهوات الهابطة، والغرائز المريضة، وميداناً للإنحرافات مع انطماس البصيرة، والإدراك، وفُقدان الأريحيّة والهمّة والتطلّع والارتفاع، وهو فساد أيّ فساد.

ومن ثمّ هو يحطّم الموازين والقيم والتصوّرات المستقيمة، لأنّها خطر على الطغاة والطغيان، فلا بدّمن تزييف للقيم وتزوير في الموازين، وتحريف للتصوّرات،

⁽۱) تفسير الشعراوي (۲۷/ ۱۷۰۲۰).



كما تقبل صورة البغي البشعة وتراها مقبولة مستساغة، وهو فساد أيّ فساد، فلمّا أكثروا في الأرض الفساد، كان العلاج هو تطهير وجه الأرض من الفساد.

و - ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾:

أنزَل بهم الله تعالى عذابَه، وأحلّ بهم نقمتَه، بما أفسدوا بالبلاد وطغوا على الله فيها، فكانت نقماً تنزل بهم، إمّا ريحاً تُدمّرهم، وإمّا رجفاً يدمدم عليهم، وإمّا غرقاً يهلكهم من غير ضرب ولا عصا، لأنّه كان من أليم عذاب القوم الذين خوطبوا بهذا القرآن، الجلد بالسياط، فكثر استعمال القوم الخبر عن شدّة العذاب الذي يُعذّب الرجل منهم أن يقولوا: ضُرب فلان حتى بالسياط، إلى أن صار ذلك مَثلاً فاستعملوه في كلّ معذّب بنوع من العذاب شديد، وقالوا: صبّ عليه سَوط عذاب(۱).

وقد قال الطاهر بن عاشور رَحْمَهُ اللَّهُ: "والصبّ حقيقته: إفراغ ما في الظرف، وهو هنا مستعار لحلول العذاب دفعة، وإحاطته بهم، كما يُصبّ الماء على المغتسل، أو يُصبّ المطر على الأرض، فوجه الشبه مركّب من السرعة والكثرة، ونظيره استعارة الإفراغ في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغُ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

ونظير الصبّ قولهم: شنّ عليهم الغارة: وكان العذاب الذي أصاب هؤ لاء عذاباً مفاجئاً قاضياً، فأمّا عاد فرأوا عارض الريح، فحسبوه عارض مطر، فما لبثوا حتّى أطارتهم الريح كلّ مطير، وأمّا ثمود فقد أخذتهم الصيحة، وأمّا فرعون فحسبوا الريح منحسراً، فما راعهم إلّا وقد أحاط بهم.

- (والسوط): آلة ضرب تُتّخذ من جلود مضفورة، تُضرب بها الخيل للتّأديب وليحملها على مزيد من الجري، وعن الفرّاء: أنّ كلمة ﴿سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ يقولها العرب

⁽۱) جامع البيان (۳۰/ ۱۸۰).

لكلَّ عذاب يدخل فيه السوط، أي: يقع بالسوط، يريد أنَّ حقيقتها كذلك و لا يريد أنَّها في هذه الآية كذلك"(١).

- ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾: هو تعبير يُوحي بلذع العذاب، حين يذكر السوط، وبفيضِه، وغمره حين يذكر الصبّ، حيث يجتمع الألم اللاذع، والغمرة الطاغية على الطُغاة الذين طغَوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد (٢).

ز- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾:

- (المرصاد): الطريق، وقيل: موضع الرصد، وأصل الرصد: مراقبة الشيء (٣).
- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾؛ تعني: أنّه تعالى يعلم تحرّكاتكم، ويرصدها، ومادام يرصد تحرّكاتكم فلن يترككم تخالفون منهجه، وكل حركة منكم مقدّرة ومحسوبة، إن شاء عجّل العقوبة في الدنيا كما فعل بمصارع أقوى الجبّارين الذين عرفهم التاريخ القديم وتحدّثت عنهم هذه الآيات(٤)، وإن شاء أخّرها إلى الآخرة(٥).
- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾: بالمرصاد للطُغيان والشرّ والفساد، يرى ويحسب ويحاسب ويُجازي، وفق ميزان دقيق لا يخطئ ولا يظلم ولا يأخذ بظواهر الأمور لكن بحقائق الأشياء (٢).

التحرير والتنوير (۱۲/ ۱۶۶).

⁽٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٠٤).

⁽٣) التدبر والبيان (٣٧/ ٣١٩).

⁽٤) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٠٤)؛ تفسير الشعراوي (٢٧/ ١٧٠٢٢).

⁽٥) تفسير الشعراوي (٢٧/ ١٧٠٢٢).

⁽٦) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٠٥).



٤ - سورة الذاريات: قال تعالى: ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَى حِينِ ﴿ فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿ فَمَا ٱسْتَطَعُواْ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُواْ مُسْتَصِرِينَ ﴾ [الذاريات: ٤٣ - ٤٥].

أ- ﴿ وَفِي تُمُودَ ﴾؛

أيضاً لهم عبرة ومتعظ.

ب- ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّى حِينٍ ﴾؛ أي: عيشوا متمتّعين بالدنيا.

- ﴿حَتَّىٰ حِينِ ﴾؛ أي: إلى وقت الهلاك وهو ثلاثة أيام، كما قال تعالى: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَثَةَ أَيَّامِ ﴾ [هود: ٦٥]. وقيل: معنى ﴿تَمَتَّعُواْ ﴾؛ أي: أسلموا وتمتّعوا إلى وقت فراغ آجالكم.

ج- ﴿فَعَتَوَاْعَنَ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾؛ أي: خالفوا أمر الله، وكذَّبوا رسله وعاندوه، وبعث الله لهم الناقة آيةً مبصرة، فلم يزدهم ذلك إلّا عتوّاً ونفوراً، وعقروا الناقة (١).

د- ﴿ فَأَخَذَتُهُمُ ٱلصَّعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾؛

- الصاعقة الموت، وقيل: هي كلّ عذاب مهلك، وقد قال الحسين بن واقد: كلّ صاعقة في القرآن فهو العذاب(٢).

- ﴿ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾؛ إلى عقوبتهم بأعينهم نهاراً.

هـ- ﴿ فَمَا استَطَعُواْ مِن قِيامٍ ﴾؛ أي: من هرب و لا نهوض (٣).

⁽١) التدبر والبيان (٣٢/ ٥٦٤).

⁽٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٧/ ٣٥).

⁽٣) تفسير ابن کثير (٧/ ٤٠٠).

و- ﴿ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴾؛ أي: ممتنعين من العذاب حين أُهلكوا، أي: ما كان لهم ناصر (١).

قال ابن عباس: ذهبت أجسامُهم، وبقيت أرواحُهم في العذاب(٢).

تاسعاً: ذِكر ثمود مع الأمم الهالكة في القرآن الكريم:

جاء ذِكر قوم ثمود مع الأمم الهالكة في القرآن الكريم من باب الاعتبار، والوقوف على الدروس والعِبر، واستخلاصها، والاتعاظ بها، ومن هذه الآيات:

١ - قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ
 وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَاتِ ۚ أَتَتُهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّئَتِ ۚ فَكَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [التوبة: ٧٠].

يقول الله تعالى محذّراً للذين يسيرون في طريق الهلكي، ويتخطّون هؤلاء: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبَلِهِمْ ﴾ ممّن ساروا في نفس الطريق؟

قوم نوح، وقد غمرهم الطوفان، وطواهم اليم في تيّار الفناء المرهوب وأصبحوا في عالم البرزخ حيث العذابُ إلى يوم القيامة، وعاد وقد أُهلكوا بريح صرصر عاتية، وثمود وقد أخذتهم الصيحةُ، وقوم إبراهيم وقد أهلك طاغيتهم المتجبّر وأنجى إبراهيم، وأصحاب مدين وقد أصابتهم الرجفةُ وخنقتهم الظلّةُ.

و ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَتِ ﴾ قرى قوم لوط، وقد قطع الله دابرهم (٣).

⁽١) الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٣٥).

⁽٢) المصدر السابق نفسه.

⁽٣) في ظلال القرآن مع التصرّف (٣/ ١٦٧٤).



وقلّب الله بيوم قوم لوط لمّا دمّرها قلباً، فجعل عاليها سافلها فصارت (مؤتفكات) أي: مصروفات مقلوبات.

جاء عذاب قوم لوط، بما يتناسب مع جرائمهم، وشذوذهم، والعذاب والعقاب والجزاء من جنس العمل، لقد ترك أولئك الشاذون النساء إلى الرجال، وقضوا شهواتهم عند أمثالهم من نفس الجنس، وبذلك قلبوا الحقائق والقيم، وقلبوا الفطرة والمنطق، وحوّلوا الرجل الذكر الذي خلقه الله ليطلب النساء ويكون فاعلاً في امرأته وفق شرع الله عَرَّجَلَ، وجعلوه مطلوباً من قِبَل الرجال الشاذين، مفعولاً فيه مركوباً لهم، وهذا هو الإفك بعينه، وهذا هو قلب الحقائق، وهذا هو الصرف عن الفطرة إلى الشذوذ، ولذلك ناسب أن يَقلب الله بيوتهم بعد أن قَلبوا فطرتهم، ورجولتهم، فجعل عاليها سافلها، لأنهم كانوا يركبون الرجال من العالمين، والأصل أن يكون هؤلاء الرجال راكبين طالبين (۱) للنساء وفق سنة الله في الزواج بين الذكر والأنثى وعقود النكاح الشرعية.

ولقد تحدّث الله تعالى في الآية الكريمة على أمم ظلمت نفسها، ومضت فيها سنّة الله: ﴿فَمَا كَانَ ٱللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾؛ إذ وقع بهم من عقوبته ما أوضح، ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ حيث تجرّؤوا على معاصيه، وعصوا رسله، واتّبعوا أمر كلّ جبّار عنيد(١).

٢- في قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُو نَبَوُّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ
 نُوح وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتُهُمْ رُسُلُهُم

⁽١) القصص القرآني (١/ ٥٢١).

⁽۲) تفسير السعدي، ص٤٢٩.

بِٱلْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفُوَهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أَرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِّمَا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [إبراهيم: ٩].

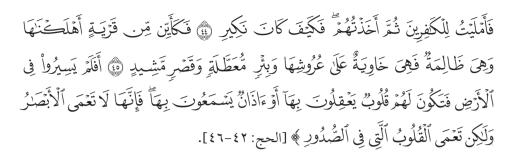
والمعنى: ألم يأتكم يا معشر قريش، يا أهل الشرك ويا أيها الناس عموماً خبر الأمم المكذّبة من قبلكم التي حلّ بها من أمر الله ما حلّ، ونزل بهم من بلائه ما نزل، وهم قوم نوح إذ أتاهم الطوفان فأغرقهم إلّا من آمن، وقوم عاد إذ أُخذوا بريح صرصر عاتية، وقوم ثمود إذ أخذتهم الصيحة الطاغية الشديدة التي أهلكتهم، وكذا أمم من بعدهم لا يعلمهم إلّا الله، أفناهم الله وأهلكهم وأبادهم، فهؤلاء جميعاً أرسل الله إليهم رسّلاً منهم، وأيّد هؤلاء الرسل بالحجج الواضحات، والدلالات الظاهرات على وحدانيّته عَنْ مَا قبِلوا من الرسل ذلك؛ بل كذّبوهم وعاندوهم وردّوا أيديهم في أفواههم عندما أخبرتهم الرسل بوحدانيّة الله وبأوامره ونواهيه.

ولأهل العلم أقوال في قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوۤاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيۤ أَفَوَهِهِمۡ ﴾ [إبراهيم: ٩] منها: أنّ أهل الكفر وضعوا أيديهم في أفواههم تغيُّظاً على الرسل، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [آل عمران: ١١٩].

ومنها: أنّهم وضعوا أيديهم على أفواههم ساخرين مستهزئين، كالذي يضحك ساخراً ويضع يده على فمه. ومنها: أنّ المراد أنّهم ردّوا على الرسل قولهم، ورفضوا ما جاءتهم به رسلهم. ومنها: أنّهم وضعوا أيديهم على أفواه الرسل يمنعونهم من الكلام(١).

٣- في قوله تعالى في سورة الحجّ: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
 نُوحٍ وَعَادٌ وَتَمُودُ ۞ وَقَوْمُ إِبْرَهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۞ وَأَصْحَبُ مَدْيَنَ ۗ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۗ

⁽١) قصص الأنبياء (١/ ٤٣٠).



يقول الله تعالى لنبيّه محمّد صَّاللَّهُ عَيْهِ وَسَلَمَ: وإن يكذّبك هؤلاء المشركون فلستَ بأوّل رسول كُذّب وليسوا أوّل أمّة كذّبت رسولها ﴿فَقَدْ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوجٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۞ وَقَوْمُ إِبْرَهِمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۞ وَأَصْحَبُ مَدْيَنَ ﴾، أي: قوم شعيب، ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَفِرِينَ ﴾ المكذّبين، فلم أعاجلهم بالعقوبة بل أمهلتهم.

- ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾؛ أي: إنكاري عليهم كفرهم وتكذيبهم كيف حاله؟!

كان أشد العقوبات، وأفظع المثلات، فمنهم من أغرقهم، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أهلك بالريح العقيم، ومنهم من خُسفت به الأرض، ومنهم من أرسل عليه عذاب يوم الظلّة، فليعتبر بهم هؤلاء المكذّبون أن يصيبهم ما أصابهم، فإنّهم ليسوا خيراً منهم، ولا من كُتِب لهم براءة في الكتب المنزّلة من الله، وكم من المعذّبين المهلكين من أمثال هؤلاء.

- ولهذا قال: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ ﴾؛ أي: وكم من قرية.
 - ﴿ أَهۡلَكَٰنَهَا ﴾؛ بالعذاب الشديد والخزي الدنيويّ.
- ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾؛ بكفرها بالله وتكذيبها لرسله، لم تكن عقوبتنا لهم ظلماً.

- ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾؛ أي: فديارهم متهدّمة قصورها، وجدرانها قد سقطت على عروشها، فأصبحت خراباً بعد أن كانت عامرة، وموحشة بعد أن كانت آهلة بأهلها آنسة.

- ﴿وَبِثْرِ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ ﴾؛ أي: وكم من بئر قد كان يزدحم عليه الخلق لشربهم وشرب مواشيهم، ففقد أهله وعُدم منه الوارد والصادر، وكم من قصر تعب عليه أهله فشدوه ورفعوه وحصّنوه وزخرفوه، فحين جاءهم أمر الله لم يغنِ عنهم شيئاً، وأصبح خالياً من أهله، قد صاروا عبرة لمن اعتبر، ومثالاً لمن تفكّر ونظر (۱).

- ولهذا دعا الله عباده إلى السير في الأرض؛ لينظروا ويعتبروا، فقال: ﴿أَفَامَرُ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ بأبدانهم وقلوبهم.

- ﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ آيات الله، ويتأمّلون بها مواقع عِبَره.
- ﴿ أَوْ ءَاذَانُ يَسَمَعُونَ بِهَا ﴾ أخبار الأمم الماضية، وأبناء القرون المعذَّبين، وإلّا فمجرّد نظر العين وسماع الأذن الخالي من التفكير والاعتبار غير مفيد ولا موصل إلى المطلوب.

ولهذا قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصَّدُودِ ﴾؛ أي: هذا العمى الضارّ في الدين عمى القلب عن الحقّ حتى لا يشاهده كما لا يشاهد الأعمى المرئيّات، وأمّّا عمى البصر فغايته بَلغة ومنفعة دنيويّة (٢).

⁽۱) تفسير السعدي، ص٧١١.

⁽٢) المصدر السابق نفسه.



تحدّثت هذه الآيات الكريمة إلى هذه القصص، وقد بسطها في آيات أخر، يحذّر المخاطبين من استمرارهم على تكذيب رسولهم فيصيبهم ما أصاب هؤلاء الأمم الذين كانوا قريباً منهم، ويعرفون قصصهم بما استفاض واشتهر عنهم، ومنهم من يسرون آثارهم عياناً، وأخبرهم عن الأقوام التي مضت فيهم سنة الله، ومن بينهم عاد وثمود.

٥- قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَإِلَىٰ مَذَيْنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَعْقَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَارْجُواْ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْاْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿ وَكَادَا وَتَمُودَاْ وَقَد فَاَخَذَتُهُمُ الرَّجْفَةُ فَاَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَشِمِينَ ﴿ وَعَادًا وَتَمُودَاْ وَقَد فَاَخَذَتُهُمُ الرَّجْفَةُ فَاَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَشِمِينَ ﴿ وَعَادَا وَتَمُودَاْ وَقَد فَصَدَهُمْ قَلَيْنَ لَكُم الشَّيْطِنُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿ وَقَرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَنَ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَهُمُ مَن السَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿ وَقَرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَنَ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَهُمُ مُوسَى بِالْبَيِّينِ وَاللّهُ مُعْمَلِينَ وَمَا كَانُواْ سَنِيقِينَ ﴿ وَلَقَدُ جَآءَهُم مُوسَى بِالْبَيِينَ وَالْمَنَ أَوْلَانَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَن أَخْرَقُنَا وَمِنْهُم مَن أَخْرَقَنَا وَمِنْهُم مَن أَخْرَقُنَا وَمَا كَانُواْ سَنِيقِينَ وَهُ وَلَكِن كَانُواْ خَدَنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَن أَغْرَقَنَا وَمَا كَانَ اللّهُ لِيظُلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ مُمْ مَن أَغْرَقَنَا وَمَا كَانَ اللّهُ لِيظُلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ فَصَالَعُونَ وَلَاكِن كَانُوا اللّهُ لِيظُلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ فَعُلُوا مُولِي وَلَكِن كَانُواْ اللّهُ لِيظُلِمُهُمْ وَلَكِن كَانُواْ الْعَيْمِ وَلَكِن كَانُواْ الْعَلَامَهُمْ وَلَكِن كَانُوا الْعَلَمْمُ مُ يَظُلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٣٦-٤٤].

أ- ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ ﴾:

وأرسلنا إلى مدين القبيلة المعروفة المشهورة.

- ﴿ شُعَيْبًا ﴾: فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بالبعث ورجائه والعمل له، ونهاهم عن الإفساد في الأرض ببخس المكاييل والموازين والسعي بقطع الطرق.
 - ﴿فَكَذَّبُوهُ ﴾: فأخذهم عذاب الله.
- ﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ أي: في محلّهم ومسكنهم أمواتاً خامدين موتى قد هلكوا(١).

ب- ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَلَكِنِهِمْ ﴾:

كذلك ما فعلنا بعاد وثمود وقد علمت قصصهم، وتبيّن لكم بشيء تشاهدونه بأبصاركم من مساكنهم وآثارهم التي باتوا عنها، وقد جاءتهم رسلهم بالبيّنات المفيدة للبصيرة، فكذّبوهم وجادلوهم (٢).

وزيّن لهم الشيطان عملهم حتى ظنّوا أنّه أفضل ممّا جاءتهم به الرسل(٣).

- ﴿فَصَدَّهُمْ ﴾: الشيطان.
- ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾: عن طريق الهدى(٤).
 - د- ﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾:

⁽١) موسوعة التفسير المأثور (١٧/ ٣٢٣).

⁽۲) تفسير السعدي، ص۸٤٢.

⁽٣) المصدر السابق نفسه.

⁽٤) موسوعة التفسير بالمأثور (١٧/ ٣٢٣).



في ضلالتهم، معجبين بها، يحسبون أنَّهم على دين حقَّ في عبادتهم للأوثان.

هـ- ﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَلَمَنَ ۗ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيّنَتِ فَٱسْتَكُبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَيْقِينَ ﴾:

كذلك قارون وفرعون وهامان، حين بعث الله إليهم موسى بن عمران بالآيات البيّنات والبراهين الساطعات، فلم ينقادوا، واستكبروا في الأرض على عباد الله فأذلُّوهم، وعلى الحقّ فردّوه، فلم يقدروا على النجاة حين نزلت بهم العقوبة.

- ﴿ وَمَا كَانُواْ سَابِقِينَ ﴾: الله، ولا فائتين، سلَّموا واستسلموا (١٠).
- ﴿ وَمَا كَانُواْ سَلِمِقِينَ ﴾: ما كانوا سابقي الله بأعمالهم الخبيثة؛ فيفوتوه هرباً. أي: ما كانوا يسبقوننا حتّى لا نقدر عليهم فنعذّبهم (٢).

و- ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ } فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتُهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾:

- ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْهِ ٥٠٤ من هؤلاء الأمم المكذّبة على قدره وبعقوبة مناسبة له.
- ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ﴾: عذاباً يحصبهم، كقوم عاد حين أرسل الله ﴿ عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴾ [الذاريات: ٤١] و ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمُ سَبْعَ لَيَالِ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۖ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ

⁽۱) تفسير السعدي، ص ٨٤٢.

⁽٢) موسوعة التفسير المأثور (٣٢٦/١٧).

فِهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمُ أَعِجَازُ نَخُلٍ خَاوِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٧](١)، وكذلك قوم لوط رموا بالحجارة(٢) من كان خارجاً من مدينتهم، وأهل السفر منهم، وخسف بمدينتهم (٣).

- ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾: كثمود قوم صالح، وقوم شعيب (١٠).
 - ﴿ وَمِنْهُ مِ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ كقارون (٥٠).
 - ﴿ وَمِنْهُ م مَّنْ أَغُرَقُنَا ﴾: كفرعون وهامان وجنودهما، وقوم نوح (٦).

ز- ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾:

أي: ما ينبغي ولا يليق به تعالى أن يظلمهم لكمال عدله، وغناه التام عن جميع الخلق.

-- ﴿ وَلَكِن كَانُوٓ أَنفُسَهُمۡ يَظُلِمُونَ ﴾:

منعوها حقّها التي هي بصدده، فإنّها مخلوقة لعبادة الله وحده؛ فهؤ لاء وضعوها في غير موضعها، وشغلوها بالشهوات والمعاصي، فضرُّ وها غاية الضرر من حيث ظنّوا أنّهم ينفعونها(٧).

⁽۱) تفسير السعدي، ص٨٤٢.

⁽٢) موسوعة التفسير المأثور (٢٧/ ٣٢٦).

⁽٣) المصدر السابق (١٧/ ٣٢٧).

⁽٤) المصدر السابق نفسه.

⁽٥) تفسير السعدي، ص٨٤٢.

⁽٦) موسوعة التفسير المأثور (١٧/ ٣٢٩).

⁽۷) تفسير السعدي، ص٨٤٢.



٦ - قوله تعالى في سورة ص: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿ وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَبُ لَيَكَةٍ ۚ أَوْلَتِكَ ٱلْأَحْزَابُ ۞ إِن كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَقَ عِقَابِ ﴾ [سورة ص: ١٢-١٤].

حذّر الله أهل مكّة والناس أن يفعل بهم ما فعل بالأمم من قبلهم، الذين كانوا أعظمَ قوّة منهم وتحزُّباً على الباطل.

أ- ﴿قَوْمُرنُوحٍ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴾:

ذو الأوتاد أي: الجنود العظيمة، والقوّة الهائلة.

ب- ﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَبُ لَكَيْكُةِ ﴾:

- ﴿وَثَمُّودُ ﴾: قوم صالح.
- ﴿ وَثَمُّودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ ﴾ والأيكة أي: الأشجار والبساتين الملتفّة، وهم قوم شعيب.
- ﴿ أُوْلَيْكِ ٱلْأَخْرَابُ ﴾: الذين اجتمعوا بقوّتهم، وعَددهم، وعُددهم على ردّ الحقّ، فلم تغن عنهم شيئاً.
 - ﴿إِن كُلُّ ﴾ من هؤ لاء.
 - ﴿إِلَّا كُذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَقَّ عِقَابِ ﴾ [سورة ص: ١٤] أي: فحقّ عليهم.
 - ﴿عِقَابِ ﴾ الله(١).

٧- قوله تعالى في سورة غافر: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيَّ ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَخْزَابِ ﴿ مِثْلَ دَأَبِ قَوْمِ نُوْجٍ وَعَادِ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمَا لِّلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣٠، ٣١].

⁽۱) المصدر السابق، ص ۷۱۱.

كان في دعوة مؤمن آل فرعون تذكيره لقومه بالأمم السابقة، وما حلّ بهم من عذاب وعقاب وهلاك عندما ابتعدوا عن التوحيد ومنهج الله، وإفراده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالعبادة، وقد استخدم حقائق التاريخ في دعوة فرعون وقومه.

أ- ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَخْزَابِ ﴾ [غافر: ٣٠]: أي: إنّي أخاف أن ينزل بكم مثلما نزل بالأمم المكذّبة.

ب- ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوجٍ وَعَادِ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمَا
 لِلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣١]:

وهم الذين كذّبوا رسل الله في قديم الدهر، كقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم من الأمم المكذّبة، كيف حلّ بهم بأس الله وما ردّه عنهم رادّ، ولا صدّه عنهم صادّ(۱).

لقد لمس الرجل المؤمن قلوب قومه لمسة تاريخية، حيث ذكّرهم بمن كان قبلهم من الأحزاب والأقوام الكافرة، ودعاهم إلى التفكير بما جرى لهم، فلعلّ ذلك يدعوهم إلى تغيير موقفهم، إنّه يصارحهم بخوفه عليهم من أن يعذّبهم الله، كما عذّب قوم نوح وعاد والذين من بعدهم، وما عليهم إلاّ أن يؤمنوا بالله لئلا يصيبهم ما أصابهم (٢).

وقد استخدم مؤمن آل فرعون علم التاريخ، ومعرفته بتاريخ النبوّات في تحذيره ونصحه لقومه، وبيّن لهم ما حلّ بالأمم التي رفضت البيّنات، وأنّ الله أغرق قوم نوح، وأهلك عاداً بريح صرصر، وأهلك ثمود بالطاغية، وأنّ قوم فرعون لهم ثقافة

⁽١) موسى كليم الله، على محمد الصلابي، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢م، ص٦٨٨.

⁽٢) القصص القرآني، الخالدي (٢/ ٤٩٦).



دينيّة فذكّرهم بها، ثمّ إنّ العلم بدأب قوم نوح وعاد ثمود والذين من بعدهم هو الذي يفتح باب قلوبهم للآية الجليلة(١).

- ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣١] وأنَّهم كانوا ظالمين لمّا رفضوا الآيات، وظلموا أنفسهم (٢٠).

لقد بيّن الله عَرَّقِكِ على لسان مؤمن آل فرعون أنّما أهلكهم الله بذنوبهم وتكذيبهم رسله، وخالفتهم أمره، فأنفذ فيهم قدره (٣).

والآية فيها إشارة إلى سنة من سنن الله الثابتة، وإلى عدله المطلق: ﴿وَمَا اللّهُ يُرِيدُ طُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣١] أي: لا يعذّبهم بغير ذنب أذنبوه، ولا جُرم أسلفوه (٤٠)، وهذا يعني أنّ تدميرهم كان عدلاً، لأنّهم استحقّوه بأعمالهم، وسنة الله مطّردة في هلاك الأمم الظالمة عدلاً منه (٥٠).

٨- قوله تعالى في سورة ق: ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَبُ ٱلرَّسِ وَتَمُودُ ﴿ وَعَادُ وَوَرْعُونُ وَإِخْوَنُ وَإِخْوَنُ لُوطٍ ﴿ وَأَصْحَابُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَيّع ۚ كُلُّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَ وَعِيدِ ﴾
 [سورة ق: ١٢-١٤].

أي: كذّب الذين من قبلهم من الأمم رسُلَهم الكرام وأنبياءهم العظام، كنوح كذّبه قومه، وأصحاب الرسّ كذّبوا نبيهم، وعاداً كذّبوا هوداً، وإخوان لوط كذّبوا لوطاً، وأصحاب الأيكة كذّبوا شعيباً، وقوم تُبّع،

⁽۱) موسى كليم الله، ص٦٨٩.

⁽٢) من حديث يوسف وموسى، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ٢٠١٠م، ص٤٨٣.

⁽٣) تفسير ابن کثير (٧/ ١٣٢).

⁽٤) مؤمن آل فرعون، بشير الخياط، رسالة دكتوراة، جامعة درمان، السودان، ٢٠١١م، ص ٢١١٠.

⁽٥) مؤمن آل فرعون، بشير الخيّاط، ص٢١٢.

- و ﴿ تُبّع ﴾: كلّ ملك مَلك اليمن في الزمان السابق قبل الإسلام، فقوم تُبّع كذّبوا الرسول الذي أرسله الله إليهم، ولم يخبرنا الله من هو ذلك الرسول، وأيّ تبّع التّبابعة؛ لأنه كان، والله أعلم، كان مشهوراً عند العرب العرباء الذين لا تخفى ما جرياتهم على العرب، خصوصاً مثل هذه الحادثة، فهؤلاء كلّهم كذّبوا الرسل الذين أرسلهم الله إليهم، فحقّ عليهم وعيد الله وعقوبته، ولستم أيّها المكذّبون لمحمّد صَلَّاللهُ عَلَيْ وَسَلَمٌ خيراً منهم، ولا رسلهم أكرم على الله من رسولكم؛ فاحذروا جرمهم؛ لئلا يصيبكم ما أصابهم (۱).

- ﴿ الرَّسِ ﴾: يطلق لفظ الرسّ على الشقّ في الأرض، والبئر القديمة، والبئر كثيرة الماء، والبئر المطويّة وغير المطويّة، والقبر والواد، كما يطلق على نهر الرسّ بين أذربيجان وأرمينيا، ولعلّهم يقصدون نهر (أراس) أو (الرّان)، ويطلق على واد بنجد (۱).

وذكر القرطبيّ رَحْمَهُ اللَّهُ: "أنّ من معاني الرسّ: الثلج المتراكم في الجبال"(٣). وأصحاب الرسّ هم من بقيّة ثمود في قول ابن عبّاس(٤).

وهناك من العلماء من يرى: أنّ الرسّ ديار واسعة سكنها هؤلاء القوم تماماً كديار الأقوام التي ورد تركيب (أصحاب الرسّ) مصاحباً لذكرهم في القرآن، وهم قوم عاد وثمود وقوم نوح وقوم تبّع، ولعلّ مكانهم كان واسعاً ممتدّاً بين اليمامة وحضرموت، فذكر من رأى من المفسّرين أنّهم باليمن الجزء الجنوبي من ديارهم،

⁽۱) تفسير السعدي، ص ۸۰٥.

⁽٢) معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر ودار بيروت، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م (١/ ١٦٤).

⁽٣) تفسير القرطبي (١٣/ ٢٤).

⁽٤) أعلام المكان في القرآن الكريم، ص٥٨.



وذكر من رأى أنّهم باليمامة والقصيم الجزء الشمالي من هذه الديار، ويؤيّد ذلك وجود (وادي سر) في حضرموت، ووجود مدينة الرسّ الواقعة في القصيم من أرض نجد، كما يؤيّده ذكر الرسّ والرسيس في الشعر، وذهاب الشارحين والجغرافيّين إلى أنّ هذين الاسمين علمان لأودية في هذه المنطقة، ويؤيّده ما رُوي عن ابن عبّاس: أنّ أصحاب الرسّ قوم من بقيّة ثمود التي سكنت الأحقاف ثمّ انتقلت إلى وادي القرى شمالاً، كما تبيّن من دراسة لفظ الحجر، فلفظ (الرسّ) في الأصل يدلّ على حفرة، أو أخدود، أو بئر، أو واد، ولا يستبعد أن تسمّى القرية باسم بئر فيها، ولا أن تسمّى الديار باسم الوادي أو الرسّ فيها (الرسّ).

وقد ذكر علماء التفسير أقولاً كثيرة في تفسير (أصحاب الرسّ) منها: "أنّ الرسّ: بئر قُتل فيها صاحب ياسين، ومنهم من قال: أنّهم قوم رسُّوا نبيّهم في بئر، ومن قال: كانوا بحجر، بناحية اليمامة، على آبار "(٢).

9 - قوله تعالى في سورة النجم: ﴿وَأَنَّهُ وَأَنَّهُ وَأَلْكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۞ وَتَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴾ [النجم: ٥١،٥٠].

تفسير الآيات الكريمة:

أ- ﴿وَأَنَّهُ مُ أَهُ لَكَ عَادًا ٱلْأُولَى ﴾:

يُذكّر الله عَنْهَجَلَّ بأنّه وحده لا شريك له هو الذي أهلك قبيلة عاد الأولى، ويعنى تعالى ذكره بعاد الأولى: عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، وهم الذين

⁽١) المصدر السابق، ص٦١.

⁽٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإمام السيوطي، الناشر محمد أمين دمج، بيروت، لبنان (٢٠).

أهلكهم الله بريح صرصر عاتية، وإيّاهم عنى بقوله: ﴿أَلَوْ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ [الفجر: ٢، ٧].

ثمّ قال: وإنّما قيل لعاد بن إرم: عاد الأولى؛ لأنّ بني لُقيم بن هزّال بن هُزيل بن عبيد بن ضدّ بن عاد الأكبر؛ عاشوا أيّام أرسل الله على عاد الأكبر عذابه سكّاناً بمكّة مع إخوانهم من العمالقة، وَلَد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، ولم يكونوا مع قومهم من عاد بأرضهم، فلم يصبهم من العذاب ما أصاب قومهم، وهم عاد الثانية، ثمّ هلكوا بعد ذلك هذا، ولقد ذهب بعض العلماء إلى أنّه أطلق على عاد (عاد الأولى) لكونها من أوائل الأمم، والله أعلم(۱).

يقول الدكتور صلاح الخالدي رَحْمَهُ اللَّهُ: ذهب بعض المؤرّخين والمفسّرين إلى وجود قبيلتين، كلّ واحدة حملت اسم عاد، فهناك عاد الأولى، وهناك عاد الثانية.

وقالوا: عاد الأولى: هي التي وُجدت بعد قوم نوح مباشرة، وبعث الله لها هوداً عَلَيْوالسَّلامُ نبيًا، وقص علينا قصّته في القرآن، وهؤلاء أهلكهم الله بالصيحة.

وعاد الثانية: وهي قبيلة ناشئة من عاد الأولى، وبينهما عشرات السنين، وكانت هذه القبيلة بعد إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَمُ، ونبيّهم رجل آخر غير (هود)، لم يذكر القرآن اسمه، فلمّا كذّبوه أهلكهم الله بالرّيح الصّرصر العاتية، التي سخّرها عليهم سبع ليال وثمانية أيّام حسوماً (٢).

واستدلّ هؤلاء على قولهم بدليلين من القرآن:

الأوّل: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ ٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۞ وَثَمُودًاْ فَمَآ أَبْقَى ﴾.

⁽١) قصص الأنبياء، مصطفى العدوى (١/ ٤٣١).

⁽٢) قصص الأنبياء، الإمام ابن كثير مع هذا الرأي، ص٩٩-١٠٢.



وهي عاد التي كانت تسكن في (الأحقاف) والتي نبيُّها هود عَلَيْهِ السَّكَرُمُ.

الثاني: إخبار القرآن عن عذابين وقعا لعاد: عذاب الصّيحة، وعذاب بالرّيح الصّرصر العاتية.

فعاد الأولى: أهلكها الله بالصّيحة، ولهذا قال عن هذا الإهلاك في سورة المؤمنون: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلِ لَيُصْبِحُنَّ نَدِمِينَ ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَهُمُ عُثَاءً ۚ فَبُعْدَا لِلْقَوْمِ ٱلطَّلِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٤١،٤٠].

وعاد الثانية: أهلكها الله بالرّيح، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأُهِلِكُواْ بِرِيجٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ شَخَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالِ وَتُمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومَا ۖ فَتَرَى ٱلْقُوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمُ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٢،٧].

ولكنّنا نرى أنّها (عاد) واحدة، وهي التي خلقها الله بعد نوح، وكانت تسكن (الأحقاف)، وجعلها أقوى قبيلة في البلاد، وبعث لها هوداً نبيّاً، فلمّا كفرت به أهلكها الله بالصّيحة التي كانت مقدّمتها الصّيحة.

إِنَّ قوله: ﴿أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَى ﴾ لا يلزم منه وجود عاد الثانية وكلمة ﴿ٱلْأُولَى ﴾ في الآية لا يراد بها الأوّليّة العدديّة التاريخيّة الزمانيّة، حيث جاء بعدها في التاريخ الثانية والثالثة.

إِنَّ ﴿ ٱلْأُولَى ﴾ في الآية تعني: الأوليّة في الدرجة والمنزلة والمستوى والمرتبة، أوليّة بجانبها ما هو أقلّ منها في المستوى والمرتبة.

أي: أنّها الأولى في القوّة والسلطان، في الزمن الذي وجدت فيه، فلم توجد قبيلة أخرى تماثلها أو تساويها في القوّة.

ثمّ هي عاد الأولى في الوجود في المرحلة الثانية من تاريخ البشرية، هذه المرحلة التي بدأت بعد الطوفان، فهي أوّل قبيلة كافرة بعد الطوفان أخبر عنها القرآن.

وأيضاً هي الأولى في الإهلاك، فهي أوّل قبيلة أهلكها بعد الطوفان.

هذه الأوّليّة لعاد بهذا الاعتبار، لا يستلزم منها وجود عاد أخرى ثانية بعدها، والله أعلم.

أمّا الهلاك، فنرى أنّ كلّ الآيات في قصّة هود أهلكهم الله بالصيحة، وبالريح الصرصر العاتية.

وكان هلاك عاد على مرحلتين:

المرحلة الأولى: الصيحة التي فوجئوا بها.

والمرحلة الثانية: الريح الصرصر التي سخّرها الله عليهم فأبادهم(١٠).

ب-﴿وَتَمُودَاْ فَمَا أَبْقَىٰ ۞ وَقَوْمَ نُوحِ مِّن قَبْلُ ۗ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ۞ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهُوىٰ ۞ فَعَشَّمَهَا مَا غَشَّمَ ۞ فَيَأْيِ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾ [النجم: ٥١-٥٥].

- ﴿وَتَكُودا ﴾: قوم صالح عَلَيْهِ السَّامُ أرسله الله إلى ثمود، فكذَّبوه، فبعث الله إليهم الناقة آية، فعقروها، وكذَّبوه، فأهلكهم الله تعالى.
 - ﴿ وَتَمُودَا فَمَا آ أَبْقَى ﴾: منهم أحداً، بل أبادهم عن آخرهم.
- ﴿ وَقَوْمَ نُوجٍ مِّن قَبَلُ ۗ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ﴾: من هؤلاء الأمم، فأهلكهم الله وأغرقهم.

⁽١) القصص القرآني (١/ ٢٣٥).



- ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ ﴾: هم قوم لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (١٠).
- ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ ﴾: ويبدو أنّ مادّة (أفك) تعني: السقوط، والقلب، والتغيير، في كثير من اللّغات السامية كالعبريّة، والأكاديّة، والآراميّة، وغيرها.

وهي في اللّغة العربيّة ذات أصل دلاليّ واحد هو: قلب الشيء وصرفه عن وجهه الذي ينبغي أن يكون عليه (٢).

وقد وردت مادّة (أفك) في القرآن في صيغ اسميّة وفعليّة مختلفة، وكلّها توحي بالشرّ، والقلب، والكذب، وأمّا لفظ ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ ﴾ فقد ورد في موضع واحد في سورة مكيّة في هذه الآية: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهُوَىٰ ﴾، وعمّم بعض المفسّرين الدلالة، لتشمل كلّ ما انقلبت مساكنه، ودثرت أماكنه، وخصّصها جمهورهم بديار قوم لوط عَيْهِالسَّلَمُ التي كانت عدّة قرى.

وحكى ابن عطيّة اتّفاق المفسرين على أنّ المؤتفكة: قرية قوم لوط^(۳)، ورأى بعضهم أن المؤتفكة: هي سدوم التي كانت أمّ قراهم^(٤).

والسياق يوحي بصحة ما ذهب إليه الجمهور، إذ عرض القرآن قصص أقوام عاد وثمود وقوم نوح، قبل ذكر المؤتفكة؛ ممّا يدلّ على أنّها مكان غير أماكن هؤلاء الأقوام، وهذا المكان خسفه الله عَنْ عَلَى أَنْها وزلزل بأهله الأرض (٥٠).

⁽۱) تفسر السعدي، ص ۸۲۲.

⁽٢) أعلام المكان في القرآن الكريم، يوسف أحمد أبو ريدة، رسالة ماجستير/ جامعة الخليل، ٢٠٠٧م، ص٣٢.

 ⁽٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإمام السيوطي، الناشر محمد أمين دمج، بيروت، لبنان
 (٦/ ١٧٢).

⁽٤) أعلام المكان في القرآن الكريم، ص٣٣.

⁽٥) المصدر السابق نفسه.

هذه الجولة في مصارع الغابرين بعدما جاءتهم النّذر، فكذّبوا بها منا يكذّب المشركون، وهي جولة للتأمّل والتفكّر والتدبّر في قدرة الله ومشيئته وآثارها في الأمم الغابرة.

إنّها جولة سريعة تتألّف من وقفة صغيرة على مصرع كلّ أمّة ولمسة عنيفة تخزّ الشعور وخزاً، وعاد وثمود وقوم نوح، يعرفهم قارئ القرآن في مواضع شتّى.

والمؤتفكة هي أمّة لوط من الإفك والبهتان والضلال، وقد أهواها في الغاشية وخسف بها ﴿فَغَشَّهَا مَا غَشَّىٰ ﴾ بهذا التجهيل والتضخيم والتهويل، الذي تتراءى من خلاله سور الدمار والخسف والتنكيل، الذي يشمل كلّ شيء، ويغشاه فلا يُبين.

- ﴿فِيَأَيّ ءَالَآء رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾؟ فلقد كانت إذن تلك المصارع آلاء الله وأفضالاً: ألم يُهلك الشر؟ ألم يقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق؟

ألم يترك فيها آيات لمن يتدبّر ويعي؟

أليست هذه كلّها آلاء؟

فبأيّ آلاء ربّك تتمارى؟

الخطاب لكل أحد، ولكل قلب، ولكل من يتدبّر صنع الله فيرى النعمة في البلوى(١).

١٠ ثمود في سورة الحاقة: قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادُ اللَّهَارِعَةِ ۞ فَأَمَّا ثَمُودُ
 فَأُهْلِكُواْ بِٱلطّاغِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٤، ٥].

⁽١) المصدر السابق نفسه.



جاءت قصّة هود في سورة الحاقّة، والحاقّة من أسماء يوم القيامة، لأنّها تحِقُّ وتنزل بالخلق، وتظهر فيها حقائق الأمور ومخبآت الصدور، فعظّم تعالى شأنها وفخّمه بما كرّر من قوله: ﴿ الْمُأَقّةُ ١٠ مَا الْمُآقَةُ ١٠ وَمَا أَلْمَآقَةُ ١٠ وَمَا أَلْمَآقَةُ ١٠ اللهُ أَهلك الأمم المكذّبة بها فإنّ لها شأناً عظيماً، وهو لا جسيماً، ومن عظمتها أنّ الله أهلك الأمم المكذّبة بها بالعذاب الآجل.

ثمّ ذكر نموذجاً من أحوالها الموجودة في الدنيا المشاهدة فيها، وهو ما أحلّها من العقوبات البليغة بالأمم العاتية، وذكر قوم ثمود وعاد، فقال:

أ- ﴿ كَذَّبَتْ تَمُودُ وَعَادًا بِٱلْقَارِعَةِ ﴾:

- ﴿ أَهُودُ ﴾؛ وهم القبيلة المشهورة، سكّان الحجر، الذين أرسل الله إليهم رسوله صالحاً عَلَيهِ السَّلَامُ؛ ينهاهم عمّا هم عليه من الشرك، ويأمرهم بالتوحيد، فردّوا دعوته، وكذّبوه، وكذّبوا ما أخبر به من يوم القيامة، وهي القارعة التي تقرع الخُلْق بأهوالها، وكذلك عاد الأولى سكّان حضرموت، حين بعث الله إليهم رسوله هوداً عَليهِ السَّكمُ، يدعوهم إلى عبادة الله وحده، فكذّبوه، وأنكروا ما أخبر به من البعث، فأهلك الله الطائفتين بالهلاك العاجل.

ب- ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾:

هي الصيحة العظيمة الفظيعة، التي قطّعت قلوبهم، وزهقت لها أرواحهم؛ فأصبحوا موتى لا يُرى إلّا مساكنهم وجُثثهم(١).

وفي هذه الآية ذكر وصف الصيحة دون لفظها: ﴿بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾، لأنَّ هذا الوصف يفيض بالهول المناسب لجوِّ هذه السورة، ولأنَّ إيقاع اللفظ يقف مع إيقاف

⁽۱) تفسير السعدي، ص۱۱۹۷.

الفاصلة، ويكتفي بهذه الآية الواحدة تطوي ثمود طيّاً، وتغمرهم غمراً، وتعصف بهم عصفاً، وتطغى عليهم فلا تُبقي لهم ظلًّا(١).

١١ - ثمود في سورة البروج: قال تعالى: ﴿ هَ لَ أَتَكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۞ فِرْعَوْنَ وَثَهُودَ
 ۞ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبٍ ۞ وَٱللَّهُ مِن وَرَآبِهِم تُحْجِيظً ﴾ [البروج: ١٧-٢٠]:

قال القرطبي رَحْمَهُ اللَّهُ: إنّما خصّ فرعون وثمود، لأنّ ثمود في بلاد العرب، وقصّتهم عندهم مشهورة، وإن كانوا من المتقدّمين، وأمر فرعون كان مشهوراً عند أهل الكتاب وغيرهم، وكان من المتأخّرين من الهلاك، فدلّ بهما على أمثالهما من الهلاك، والله أعلم (٢).

وقد جمع الله تعالى ثمود مع فرعون لما كان منهم من مظاهر القوّة والطغيان، فقد جاء في سورة الفجر قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْوَادِ ﴾ [الفجر: ٩، ١٠]؛ هكذا جمعهما هنا فرعون وثمود (٣).

- ﴿هَلَ أَتَكَ حَدِيثُ الجُنُودِ ﴿ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿ هِي إِشَارَةَ إِلَى قَصَّتِينَ طُويلتينَ ، ارتكانا إلى المعلوم في أمرهما للمخاطبين، بعدما ورد ذكرهما كثيراً في القرآن الكريم، ويسمّيهم الجنود، إشارة إلى قوّتهم واستعدادهم.
 - هل أتاك حديثهم؟
 - كيف فعل ربّك بهم ما يريد؟

⁽١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٦٧٨).

⁽٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩٦/١٩).

⁽۳) التدبر والبيان (۳۷/ ۱۹۸).



وهما حديثان مختلفان في طبيعتهما، وفي نتائجهما، فأمّا حديث فرعون: فقد أهلكه الله وجنده ونجّى بني إسرائيل، ومكّن لهم في الأرض فترة، ليحقّق بهم قدرا من قدره، وإرادة من إرادته، وأمّا حديث ثمود: فقد أهلكه الله بكرة أبيهم، وأنجى صالحاً والقلّة معه، حيث لم يكن لهم بعد ذلك ملك، ولا تمكين، إنّما هي مجرّد النجاة من القوم الفاسقين.

وهما نموذجان لفعل الإرادة، وتوجّه المشيئة، وصورتان من صور الدعوة إلى الله واحتمالاتها المتوقّعة إلى جانب الاحتمال الثالث الذي وقع في حادث الأخدود، وكلّها يعرضها القرآن للقلّة المؤمنة في مكّة، ولكلّ جيل من أجيال المؤمنين، وفي الختام يجيء إيقاعان قويّان جازمان، وفي كلّ منهما تقرير، وكلمة فصل حكم أخير.

- ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكَذِيبٍ ﴾؛ فشأن الكفّار وحقيقة حالهم أنّهم في تكذيب يُمْسون به ويصبحون (١١).

وفي تنكير لفظ (تكذيب) يقول الألوسي رَحْمَا الله على تعظيمه وتهويله، فكأنّه قيل ليسوا مثلَهم، بل هم أشد منهم، فإنّهم غرقى مغمورون في تكذيب عظيم للقرآن الكريم، فهم أولى منهم في استحقاق العذاب. أو كأنّه قيل: ليست جنايتهم مجرّد عدم التذّكر والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم، بل هم في تكذيب عظيم للقرآن الناطق بذلك، وكونه قرآناً من عند الله تعالى، مع وضوح أمره وظهور حاله بالبيانات الباهرة (۲).

⁽١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٨٧٦).

⁽۲) روح المعاني (۳۰/۹۳).

- ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَآبِهِم فَحِيطٌ ﴾؛ يقول ابن القيّم رَحْمَهُ اللَّهُ: ثمّ أخبر عن أعدائه بأنّهم مُكذّبون بتوحيده، ورسالاته، مع كونهم في قبضته وهو محيط بهم، ولا أسوأ حالاً ممّن عادى من هو في قبضته، ومن هو قادر عليه من كلّ وجه، وبكلّ اعتبار فقال: ﴿بَلِ الّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبِ ﴿ وَاللَّهُ مِن وَرَآبِهِم فَحِيطٌ ﴾؛ فهذا أعجب عجب ممّن كفر، بل هو محيط به وآخذ بناصيته (۱).



⁽١) التدبّر والبيان (٣٧/ ١٩٩).



المبحث الثالث: أسباب هلاك قوم ثمود

TO CONTRACTOR OF THE PARTY OF T

الحادي عشر: الطغيان

الثاني عشر: بطر النعمة

الثالث عشر: الخطايا والذنوب

الرابع عشر: انتهاك حُرمات الله

الخامس عشر: سُنّة الإملاء والاستدراج

السادس عشر: الاشتغال بالدنيا عن الآخرة

السابع عشر: الاستبدال

الثامن عشر: سُنّة الأجل الجماعيّ

التاسع عشر: سُنّة الهلاك

العشرون: سُنّة الخسران

الحادي والعشرون: الغفلة عن أسباب الهلاك

أولاً: الكفر بالله عَزَّهَجَلَّ

ثانياً: الشرك بالله

ثالثاً: التكذيب

رابعاً: الظلم

خامساً: استعجال العذاب

سادساً: الإسراف والتَرف

سابعاً: الاستكبار

ثامناً: الإجرام

تاسعاً: المكر

عاشراً: الفساد

إنّ صالح عَلَيْهِ السّالَة عَنْ جاء بعد هود عَلَيْهِ السّالَة ، وبعد أن انحرفت الإنسانيّة عن توحيد الله عَنْ عَبَق وإفراده بالعبادة، وبعد أن تطوّر البشر في حياتهم الماديّة وضعفوا وأخطأوا السبيل في قيمهم الروحيّة، ومعرفتهم بخالقهم العظيم، فأرسل الله صالح عَلَيْهِ السّاكمُ فأقام على الكافرين والمشركين والظالمين حجّة الله عليهم ومضت سنّت الله في زوالهم واستئصالهم، ومن أسباب عقاب الله تعالى لقوم ثمود أسباب عديدة منها:

أولاً: الكفر بالله عَزَّفَ جَلَّ:

إنّ من أهم أسباب العقاب الإلهيّ، وهلاك الحضارة التي أنشأتها قبيلة ثمود، الكفر بالله وأصل الكفر في اللغة: الستر والتغطية، وقد يسمّى الكافر كافراً لأنّه غطّى بالكفر ما يجب أن يكون عليه من الإيمان، والكفر ضدّ الإيمان، الذي هو التصديق والاعتقاد والإقرار بوحدانيّة الله، وبربوبيّته وألوهيّته، والإيمان بالملائكة وشريعة الله ورسالة صالح عَيْهِ السَّلام، واليوم الآخر وبالقضاء خيره وشرّه من الله تعالى.

وقد رفض قوم ثمود دعوة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ للتوحيد ورسالات الله، وكفروا بها وحاربوها، ووصفهم الله بالكفر كما مرّ معنا في قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّرْ يَغْنَوْاْ فِيهَا لَا يَعْدَا لِنَامُودَ ﴾ [هود: ٦٨].

إنّ وصف قوم ثمود عاد بالكفر يعني أنّهم في تلك الحقبة التاريخيّة كانوا منفصلين عن الدين وبعيدين عن تكاليف الشريعة، ومنهج الله عَرَّبَكَلَ وهذا يُفضى إلى الاستكبار والظلم والانحلال الأخلاقي، فقوم ثمود مضت فيهم سنّة الله، بأسباب عديدة منها: الكفر بالله عَرَّبَكَلَ فوقع عليهم عذابه بالصيحة، والرجفة والصاعقة والطاغبة.



ثانياً: الشرك بالله:

أسباب هلاك الأمم السابقة متعدّدة ومتنوعة، إلّا أنّ أخطرها وأعظمها على الإطلاق هو الشرك بالله حَلَّوَعَلاً، وبسببه ورد كثير من الأمم موارد الهلاك، واستحقّوا العقوبة في العاجلة قبل الآخرة، وصاروا عبرة وعظة لمن بعدهم.

وهناك آيات كثيرة تتحدّث بالتفصيل عن هذه الآفة الخطيرة لدى الأمم الهالكة، وكيف أشربت في قلوبهم، وعاندوا وكابروا من أجلها، وكذّبوا الرسل والأنبياء في سبيل التمسُّك بها، والبقاء عليها من الألفاظ العامّة التي يندرج تحتها الشرك وغيره من الذنوب؛ كالظلم والكفر والإجرام ونحوها. وهناك آيات أخرى تتحدّث عن أمّة بعينها، أو عن أمم تفضل شركهم وإصرارهم عليه، ودعوة رسلهم إلى نبذه واجتنابه، وتذكر هذه الآيات ضمن الأسباب التي من أجلها أُهلكت تلك الأمم المعيّنة، أو الأمم المحدّدة، وكلّ ذلك بالتصريح بلفظ الشرك أو بما يدلّ عليه(١)، ومن بين تلك الأمم: ثمود، فقد كانت أمّة مشركة تعبد الأصنام، وتجحد تفرّد الله سُبْحَانَهُ وَتِعَالَى بالعبادة، شأنها في ذلك شأن من كان قبلها من الأمم كقوم نوح، وقوم هود، فكان خلاصة دعوة صالح عَلَيْهِ السَّلامُ دعوتهم إلى عبادة الله وحده، وقد ورد ذلك في عدّة مواضع في القرآن الكريم، وقد ورد عن شركهم وعبادتهم للأصنام قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَصَلِكُ قَدْكُنُتَ فِينَا مَرْجُوَّا قَبْلَ هَلَأَ ۖ أَتَنْهَلِنَا أَن نَعْبُدُ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكِّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [هود: ٦٢]؛ فقد قالوا لصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ مظهرين التحسّر وخيبة الرجاء ﴿قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَآ ﴾؛ أي كنّا نرجو أن تكون فينا

⁽۱) أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن، سعيد محمد بابا سيلا، دار ابن الجوزي، ٢٠٠٠م، ص١٠٨.

سيّداً، لما كنّا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشاد (۱)، قيل هذا القول العجيب الذي جئت به، أفأنت تدعونا إلى ترك عبادة هذه الأصنام التي توارثنا عبادتها أباً عن جد، ثمّ بيّنوا موقفهم من الدعوة إلى التوحيد بأسلوب المتهكّم في صورة المنصف للحق، المشفق على صالح، فقالوا: ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكِّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾؛ قال الفخر الرازي: والشكّ: هو أن يبقى الإنسان متوقفاً بين النفي والإثبات، و(المريب) هو الذي يظنّ به السوء، فقال: ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكِّ ﴾؛ يعني أنّه لم يترجّح في اعتقادهم صحّة قوله. ﴿مُربِبٍ ﴾؛ يعني أنّه ترجّح في اعتقادهم فساد قوله، وهذا مبالغة في تزييف كلامه (۱).

وفي النهاية قضى الله تعالى بهلاك أولئك المشركين، وهي سنة فيمن أشرك به، وحاد عن منهج رُسله، وانهد من أركان شرك قوم ثمود بالرجفة والصيحة والصاعقة (كما بيّنا).

ثالثاً: التكذيب:

أَخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن هلاك المكذّبين من الأمم السابقة في آيات كثيرة، وقد دلّ بعض تلك الآيات على مطلق التكذيب الذي كان سبب هلاكهم، كقوله تعالى: ﴿وَلَدَ خَلَتْ مِن قَبُلِكُمْ سُنَنُ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَلِقِبَةُ الْمُكَذّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]. وكقوله تعالى: ﴿وَلَقَدُ كُذَّبَ ٱلّذِينَ مِن قَبُلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ عَالَى: ﴿وَلَقَدُ كُذَّبَ ٱلّذِينَ مِن قَبُلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ عَالَى: ﴿وَلَقَدُ كُذَّبَ ٱلّذِينَ مِن قَبُلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ عَالَى: ﴿وَلَقَدُ كُذَّبَ ٱلّذِينَ مِن قَبُلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ عَالَى: ﴿وَلَقَدُ كُذَّبَ ٱلّذِينَ مِن قَبُلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ

تفسير أبي مسعود (٣/ ٢٦٣).

⁽٢) أسباب هلاك الأمم السالفة، ص١٣٦.



ففي هذه الآيات ونظائرها أُبهم التكذيب، فلم يُذكر ما تعلّق به تكذيبهم، غير أنّ آيات أخرى كثيرة وضّحت ما أُبهم في هذه الآيات وفصّلت ما أجمل^(۱) فيها وتتبع تلك الآيات تبيّن أنّ تكذيب الهالكين ذُكر مقروناً إمّا بالرسل أو بالآيات، أو بالبعث والنشور^(۱).

أ- (تكذيب الرسل):

ركّز القرآن الكريم في حديثه عن قصص الأمم الهالكة على هذا الجانب من الصراع بين أهل الحقّ وأهل الباطل، وقد وردت آيات كثيرة تدلّ على أنّ تكذيب الرسل كان سبباً في هلاك الأمم السالفة، وهذه الآيات واضحة الدلالة، وصريحة في العلاقة بين تكذيب الرسل وبين ما حاق بهم من الهلاك والدمار (٣).

وهناك آيات ورد فيها تسمية أمم بأعينها، كقوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدُ كَا اللَّهِ عَالَى اللَّهِ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿ وَأَصْحَبُ مَذَيَنَ ۚ وَكَذَّبَتُ مُوسَى ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُم ۗ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ ﴾ [الحج: ٤٢-٤٤].

وهذه الآيات ونظائرها واردة في سياق تسلية النبي صَالَّللَهُ عَلَيْهُ وَسَلَمَ عَمَّا يلاقيه من قومه من التكذيب والإعراض، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقصّ على نبيّه قصص المكذّبين من الأمم السالفة وما واجهوا به رسلهم من التكذيب وما صار إليه أمرهم من الهلاك، وفي ذلك تخفيف عليه صَالَللَهُ عَلَيْهُ وَسَلَمَ عمّا يجد في نفسه من الألم والأسى بسبب تكذيب هؤلاء الكفرة، فهو ليس بدعاً من الرسل في التكذيب، بل كُذّب

⁽١) المصدر السابق، ص١٨٩.

⁽٢) المصدر السابق، ص١٩٠.

⁽٣) المصدر السابق، ص١٩٢.

قبله رسل، وفيه إنذار وتحذير للمكذّبين من قومه، من أن يكون مصيرهم كمصير أسلافهم الذين كذّبوا رسله فأخذهم الله بعاجل العذاب(١)، فقد جعل الله تعالى علّة هلاكهم هو تكذبيهم بالرسل(٢).

وقد استهل القرآن الكريم قصّة ثمود ببيان تكذيبهم نبيَّهم صالح عَلَيْهِ السَّلامُ في عدّة مواضع:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدَ كَذَّبَ أَصْحَبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الحجر: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿كُذَّبِتُ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤١].

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴾ [القمر: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ تَمُودُ بِطَغْوَلِهَآ ﴾ [الشمس: ١١].

وختمت قِصَّتهم بسورة الشمس: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّلِهَا ﴾ [الشمس: ١٤].

ومضت سُنّة الله في المكذّبين لصالح عَلَيْوَالسَّلامُ.

ب- (التكذيب بالآيات):

التكذيب بالآيات من أبرز أسباب هلاك الأمم، وأكثرها ذِكراً في ثنايا قصص السالفين، فقلّما ترد قصّة فيها ذكر أمّة إلّا ويُذكر التكذيب بالآيات ضمن الشنائع التي ارتكبوها، واستحقّوا؛ بسببها الهلاك والدمار، والآيات التي ورد فيها ذكر التكذيب بالآيات واضحة وصريحة في السببيّة، ولا تحتاج إلى استنباط عميق

⁽١) المصدر السابق نفسه.

⁽٢) المصدر السابق نفسه.



أو استنتاج دقيق لمعرفة تعلَّق الهلاك بها، وإن كان بعض هذه الآيات أوضح من بعض من حيث الدلالة على السببية(١).

يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قوم ثمود، في بيان موقفهم من الآيات التي جاءهم بها صالح ﴿ وَلَقَدُ كَذَبَ أَصْحَبُ الْمِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿ وَءَاتَيْنَكُمْ ءَايَتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ [الحجر: ٨٠، ٨١]؛ أي: وأريناهم أدلّتنا وحججنا على حقيقة ما بعثنا به إليهم رسولنا صالحاً (١).

جـ- (التكذيب بالبعث والنشور):

والبعث بعد الموت، وما يعقبه من الحساب بعد من مسائل الأصول التي نازع فيها المكذّبون رسلهم، فقد استبعدوا، وأحالوا أن يحيي الله الأموات بعد تحلّلها، ومصيرها تراباً وعظاماً، وترتّب على استبعادهم للبعث والنشور إنكارهم لما بعده من الحساب والجزاء، والنعيم والعذاب، والإيمان بهذه الأمور من أعظم البواعث على امتثال أوامر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، واجتناب نواهيه (٣).

وقد ذَكر الله عَنَجَلَّ تكذيب ثمود (بالقارعة)، أي: يوم القيامة: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادُ اللهِ عَنَجَدَلُ اللهُ عَنَامًا تَمُودُ فَأُهَا تَمُودُ فَأُهَا تَمُودُ فَأُهَا تَمُودُ فَأُهَا تَمَودُ فَأُهَا تَمُودُ فَأُهَا تَمُودُ اللهِ اللهِ اللهِ العاقة: ٤، ٥].

وسمّى يوم القيامة (بالقارعة)، لأنّها تقرع الخلق يوم القيامة بأهوالها.

رابعاً: الظلم:

يُعدّ الظلم من أكبر أسباب سقوط الحضارات، وله مفهوم شامل عريض يؤدّي إلى فقدان التوازن في كافّة مجالات الحياة، وعلاقة الإنسان مع نفسه ومع الله

⁽١) المصدر السابق، ص٢٦٤.

⁽٢) تفسير الطبري نقلاً عن أسباب هلاك الأمم السالفة، ص٢٧٥.

⁽٣) أسباب هلاك الأمم السالفة، ص ٣٠١.

ومع غيره، وعن هذا تَنبثق ظواهر نفسيّة واجتماعيّة واقتصاديّة مرضيّة، وتصوّرات فاسدة عن الوجود كلّه، فيعمّ الفسادُ الحياةَ الإنسانيّة بأسرها(١).

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمِ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود: ١١٧]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِى ظَلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخَذَهُۥ َ أَلِيمُ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢].

إِنَّ قُومَ ثمود استفحل فيهم الظلم، وأصبح ظاهراً على مستوى المجتمع، وارتكبوه بكل أنواعه، واستمرّوا على ذلك، وقد وصفهم الله تعالى بالظلم في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوجٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَهِيمَ وَأَصْحَكِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَتِ ۚ أَتَتَهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيّنَةِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [التوبة: ٧٠].

و قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَتِ إِلَّا تَخُويفَا ﴾ [الإسراء: ٥٥].

لقد نزل العِقاب الربّانيّ بقومِ ثمود بسبب الظلم، وتَحقّق فيهم قوله تعالى: ﴿وَكُرُ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنًا بَعَدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الأنبياء: ١١].

إنّ الإهلاك بسبب الظلم من سنن الله في القرى، والمجتمعات، والشعوب، والأمم، والدول، والحضارات.

⁽۱) سنن الله في قيام الحضارات، محمد هيثور، دار الوفاء، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ص٢٣.



لقد وقع قوم ثمود في الظلم، فأشركوا بالله، إذ يقتضي العدلُ معرفة توحيده، وأحكامه وإفراده بالعبادة، والإشراكُ بالله والكفر به من أعلى أنواع الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكِ لَظُلُمُ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣](١).

خامساً: استعجال العذاب:

ومن أسباب العقاب الإلهي للأمم -ومنهم قوم ثمود- استعجالهم العذاب، قال تعالى: ﴿قَالُواْ الْجِئْتَنَا لِنَعَبُدُ اللّهَ وَحُدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعَبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا قال تعالى: ﴿قَالُواْ الْجِئْتَنَا لِنَعَبُدُ اللّهَ وَحُدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعَبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَبِّكُمْ رِجْسُ وَعَضَبُ اللّهُ لَوْنَنِي فِي السَّمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانِ فَانتظِرُقِ فَانتظِرُقِ ﴿ وَالأعراف: ٧١، ٢١].

وقال تعالى: ﴿مَا أَنَتَ إِلَّا بَشَرُ مِتَّلُنَا فَأْتِ كِايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّدِقِينَ ﴿ قَالَ هَذِهِ عَاقَةٌ لَهَا شِرْبُ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمِ مَعْلُومِ ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوّءِ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمِ عَظِيمِ ﴿ وَ اللَّهَ مُنَاقَةٌ لَهَا شِرْبُ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمِ مَعْلُومِ ﴿ وَ لَا تَمَسُّوهَا بِسُوّءِ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمِ عَظِيمِ وَ اللَّهُ مُعَلَّمُ مُعَلَّمُ الْعَذَابُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَاَيَةً ۗ وَمَا كَانَ أَكُثَرُهُم مُنَا اللَّهِ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ

سادساً: الإسراف والترف:

ومن أسباب العقاب الإلهيّ: الإسراف، فقد نهى صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ قومه عن طاعة المسرفين الذين اشتهروا بالفساد في الأرض، والابتعاد عن الإصلاح، ولكنّهم لم يستجيبوا له، وخالفوا أمره، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُواْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۞ قَالُواْ إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥١-١٥٣].

⁽١) أسباب هلاك الأمم، عادل الشوربجي، ص٢٧.

وإن السرف في اللغة ضدّ الاعتدال، والإسراف في النفقة هو التبذير. فتجاوز الاعتدال في النفقة أو في الشهوة، أو في المتاع، يوقع الإنسان في الفساد، ويبتعد عن الإصلاح، ويكون ذلك سبباً في العقاب، وكانت حياتهم في ترف من العيش فبنوا البيوت في الجبال، والقصور في السهول، وأكثروا من النبات والزروع، ولم يلتزموا بشرع الله، وكذّبوا رسوله، قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ ٱلّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أَتُرِفُواْ فِيكِ يَلتزموا بشرع الله، وكذّبوا رسوله، قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ ٱلّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أَتُرِفُواْ فِيكِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ وكذّبوا رسوله، قال المسرفين والمترفين والمجرمين والظالمين. [هود: ١١٧،١١٦]. ووقعت سنة الله في المسرفين والمترفين والمجرمين والظالمين.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهُ لِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُثَرِفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَقَ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْزَهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦](١).

سابعاً: الإستكبار:

من أسباب هلاك قوم ثمود الاستكبارُ، فقد بَطروا الحقّ، واحتقروا الذين آمنوا، وطلبوا الكبر من غير استحقاق، واستكبروا على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالترفّع عن عبادته، وعن الإذعان لأوامره ونواهيه، وتكبّروا على صالح عَلَيْوالسَّلَامُ، فكان الاستكبار بأنواعه سبباً في هلاكهم، وقد ورد وصفهم بالاستكبار في عدّة آيات منها، آية بلفظ الاستكبار في وصف الملأ منهم، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلسَّعَالِ الله وعذابه، ومضت فيهم لللَّذِينَ ٱسۡتَكُبرُواْ مِن قَوْمِهِ لللَّهِ عَقابِ الله وعذابه، ومضت فيهم سنته في المستكبرين.

⁽۱) السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، شريف الخطيب، مكتبة الرشد، الدار العثمانية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م (٢/ ٣٣٢).



إنّ الاستكبار والتعالي من أبرز أسباب سقوط الحضارات التي ذُكرت في القرآن، حين وصل أهلها إلى درجة عالية من اليقين بتفوّقهم، وتميّزهم على من عداهم من البشر، وبأنّ ما يفعلونه من أشياء تجافي الدّين والمنطق أو الفطرة أو العقل، أو محاولة فهم ما يطرح عليهم من أشياء جديدة تدعو إلى عبادة الله عَنْهَجَلّ.

وهذا الأمر يُعرّض الحضاراتِ للضعف والتحلّل أو الهلاك والتدمير، إذ إنّها حينذاك لا تسمح لنفسها بإعادة تصويب المسار والرجوع إلى الحق⁽¹⁾.

فالاستكبار منع قوم ثمود من الانقياد لدعوة صالح عَلَيْوَالسَّلَامُ وهدايات الله التي جاء بها، فكانت العقوبات ماحقة وعظيمة وجسيمة، وإنَّ الاستكبار من الجرائم التي عاقب الله عليها قوم ثمود.

ثامناً: الإجرام:

هو شبيه بالظلم، وهو يعمّ الشرك، وغيره من المعاصي، والشركُ أبشع أنواع الإجرام وأشنعه، فالمشرك أجرم بحقّ ربّه لأنّه جعل من لا يستحقّ العبادة معبوداً مع من لا يستحقّ العبادة أحد سواه، وأجرم في حقّ نفسه فأذلّها لغير الله، وأوردها موارد الرّدى في الدنيا، وأحلّها دار البوار في الأُخرى، وقد ذكر الفيروز آبادي ستّة معان في الجرم فجعل الشرك أوّلها ما نصّه في كلامه على معان الجرم: الأوّل: الجرم بمعنى الشرك، والمجرم: المشرك(٢).

⁽۱) التداول الحضاري في القرآن الكريم، فرج علام، دار روابط للنشر وتقنية المعلومات ودار الشقري للنشر، ۲۰۱۸م، ص١٤٢.

⁽٢) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦م (٢/ ٢٥٥).

وقال تعالى في هلاك من هلك من الأمم الغابرة: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [النمل: ٦٩].

فتلك العاقبة السيّئة لم يصيروا إليها إلّا بسبب اتّصافهم بصفة الإجرام ومن أشنع أنواعه الشرك بالله عَرَّهَ عَلَا ١٠٠٠.

ومن جرائم قوم ثمود -بعد الشرك بالله - إنكارهم نبوّة صالح عَلَيْوالسَّلامُ. ومن جرائمهم تطيّرهم بنبيّ الله، وبمن آمن معه. ومن جرائمهم استحبابهم الضلالَ على الهداية، ومن جرائمهم محاولتُهم صدَّ المؤمنين عن إيمانهم، وتهديدهم. ومن جرائمهم أنهم لا يحبّون الناصحين. ومن جرائمهم قتلُهم الناقة التي أرسلها كآية على رسالة صالح عَلَيْوالسَّلامُ. وغير ذلك من الجرائم التي استحقوا عليها عقوبة الله بالمجرمين.

تاسعاً: المكر:

إنّ ما تعرّض له صالح عَلَيْ السّلامُ أمر عظيم من مكر الكافرين به، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَكُرُوا مَكُرًا وَمَكُرُنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشَعُرُونَ ﴾ [النمل: ٥٠]. وقد كان المكر صفة بارزة في قوم ثمود، واستخدموا كافّة وسائل المكر وأساليبه لصدّ الناس عن دعوة التوحيد والاستجابة لعبادة الله، وآثروا الشبُهاتِ والاتهامات الباطلة، ووضعوا العوائق والعراقيل أمام دعوته، وقد بينًا ذلك في الصفحات السابقة.

⁽١) أسباب هلاك الأمم السالفة، ص١١٤.



لقد دَبِّروا الحيل، ونَصبوا الحَبائلَ، ليمكروا بصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأبطلها الله، وجعلها سبيلاً لهلاكهم، وأخْذُ الماكرين بعقاب الله سنّة إلهيّة ثابتة مطّردة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها(١).

إذ قال تعالى: ﴿وَكَذَالِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

ولقد بين في آية أخرى مصيرَ هؤلاء الكافرين الماكرين، حيث قال تعالى: هُمَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَنَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النحل: ٢٦].

وإن سنة الله ماضية في الماكرين، لا تتغير وتتبدّل. ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّ وَلَا يَحِيقُ الْمَكُرُ ٱلسَّيِّ وَلَا يَحِيقُ الْمَكُرُ ٱلسَّيِّ إِلَّا بِأَهْلِهِ وَ الطر: ٤٣]، وهو حصيلة لاجتماع تدبير العقل البشري المخادع والخفي مع حقيقة الصراع الإنسانيّ المتأصّل، وهدفه إيقاع الضرر بالأخرين، بمختلف الوسائل المتاحة، دون رادع أخلاقيّ أو قانونيّ. وقد تحدّثت الآيات القرآنيّة على المكر السيّء، وحذّرت منه، مؤكّدة على أنّ الأمم والمجتمعات والدول لا يمكن أن تزدهر وتُبنى معتمدةً على المكر السيّء (٢).

- قال تعالى: ﴿ٱسۡتِكۡبَارًا فِي ٱلۡأَرْضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكُرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بأَهۡلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣].

- وقال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوٓأٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل: ٥٢].

⁽١) السنن الإلهية في الحياة الإنسانية (٢/ ٣٣٢).

⁽٢) علم القرآن التنموي، جمال حسن الحمصي، جمعية لحفظ القرآن الكريم، ١٩٠٠م، ص٨٣.

- ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤].
- ﴿ أَفَا مِنُواْ مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَلِيرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩].
 - ﴿ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكُرُ أُوْلَيْكِ هُوَ يَبُورُ ﴾ [فاطر: ١٠].

عاشراً: الفساد:

إِنَّ قوم ثمود وصفهم الله بالفساد في سياق ذكر قوم عاد وفرعون، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْحِمَادِ ۞ ٱلَّتِي لَمْرَيُخُلَقَ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَادِ ۞ وَثَمُودَ ٱللَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۞ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَادِ ۞ فَأَحُتُرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابِ ۞ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ٦-١٤].

ولقد ذكر الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوّا فِي ٱلْبِلَادِ ﴿ فَأَكُ تَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴾ [الفجر: ١٢،١١]؛ فذكر الله الأقوام الذين اشتهروا بالفساد العقديّ والأخلاقيّ والاجتماعيّ والسياسيّ والدينيّ، وتمثّل ذلك الفساد في (الملأ) وفي عموم الشعب، وإن كانت القيادة للملأ التي قادت تلك الأقوام للفساد، فمضت فيهم سنّة الله في نزول العذاب والعقاب الإلهيّ.

وإن الفساد في الأرض لا يتحقّق إلّا بسبب أفعال البشر، وسلوكيّاتهم على ظهرها، ولا يقع البلاء والشدّة إلّا بسبب تلك المفاسد، ومهما اختلفت الأمم في الزمان أو المكان أو البيئة إلّا أنّها تشترك في عدد من السمات العامّة(١).

إنّ الأمم الفاسدة تلتقي في أحوالها نعوت واحدة؛ قسوة لا ترق لضعف، وجحود لا يكترث بوعظ، وعكوف على الدنيا لا يهتمّ لما بعدها، ونسيان لله

⁽١) التداول الحضاري في القرآن، ص١٣٤.



لا يبالى بحقه، وبقاء الأمم بهذه المثابة بلاء على العالم، وعلى العمران، وعلى المثل العليا، وضربات القدر القاصمة عندما تنزل بها تكون كحكم الإعدام عندما ينفّذ في مجرم أثيم (١).

إنّ قصّة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن الكريم بيّنت لنا مظاهرَ الفساد التي وقع فيها قومه، ومنها:

- عدم تقوى الله، وعدم طاعة نبيّ الله صالح عَلَيْوَالسَّلَامُ في تعاليمه.
- الخضوع لممارسات الأغنياء المسرفين، وتقليدهم في أساليب حياتهم.
- عدم التفات قوم ثمود لمن سبقهم من الأمم، والإستفادة من الدروس والعبر.
- تجاوزهم الحدّ المقبول في ممارسة الفساد: ﴿ وَلَا تَعَثَوُاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ؛ (تَعثوا): من عاث، وهو أشد الفساد، فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد حال فسادكم، لأنّهم كانوا متمادين فيه (٢٠).

ولقد ارتكبت ثمود صورا عديدة من الفساد العقائديّ والأخلاقيّ والاجتماعيّ، والتعبّديّ...إلخ، فمضت سنّة الله فيهم. فالفساد تغلغل في الملأ المترفين، وتابعتهم العامّة، فنزل عليهم العذاب الربّاني^(۳)، وزالت تلك الحضارة المادّية المحصّنة البعيدة عن توحيد الله وإفراده بالعبادة، والقيم الأخلاقيّة والروحيّة.

⁽١) نظرات في القرآن، محمد الغزالي، نهضة مصر، ٢٠٠٥م، ص٨٩.

⁽٢) الفساد في الأرض وموقف الإسلام منه، أسامة كبارة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٩م، ص٨٣.

⁽٣) قصص القرآن قراءة قرآنية، عمرو الشاعر، ص١٤٤.



إنّ سنّة الله تعالى في الطغاة إنزال العقاب فيهم في الدنيا، فهي سنّة ماضية لا تتخلّف، جرت على الطغاة السابقين، وستجري على الحاضرين والقادمين، فلن يفلت أحد منهم من عقاب الله في الدنيا، كما لا يفلت أحد منهم من عقاب الآخرة (١٠).

إِنَّ الآيات الكريمة التي ذكرناها في سورة الفجر وضّحت أنَّ ثمود من ضمن مَن ذكرهم الله مع عاد وفرعون، فقد جاء فيها: ﴿ اللَّذِينَ طَغَوْاْ فِي اللَّهِ ﴿ اللَّهِ مَن فَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ [الفجر: ١١-١٣]، وفي تفسير الطبريّ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِ الْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ١٤]؛ أي يرصد عمل كلّ إنسان حتى يُجازيه به (٢).

لقد كان طغيان ثمود ناجماً عن سبب جوهريّ؛ وهو وقوعهم في الكفر والشرك والظلم والإجرام، قال تعالى: ﴿كَنَّبَتْ تَمُودُ بِطَغُولِهَآ ﴾ [الشمس: ١١]؛ أي: بطغيانها، فالحامل لهم على تكذيب نبيّهم صالح طغيان الكفر والشرك والإجرام على نفوسهم فأوقعهم ذلك في ظلمات الشرور المتنوّعة التي كانت من أسباب زوالهم، وعقاب الله لهم.

الثاني عشر: بكطر النعمة:

وهو الطغيان عند النعمة، وعدم القيام بشكرها، ويُطلق أيضاً على بطر النعمة: كفران النعمة، أي جحود النعمة (٣). ومن سنته تعالى في البَطِرين تخريبُ ديارهم

⁽١) السنن الإلهية، عبد الكريم زيدان، ص١٩٤.

⁽٢) المصدر السابق، ص١٩٣.

⁽٣) المصدر السابق، ص٢٠٠.



وإهلاكهم، وعندما لا يستجيبون لدعوة الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿وَكُمْ الْهَلَكُهُمْ اللَّهُ اللّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ للّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

إنّ إنعام الله عَرَقِجَلَّ على الأمم الكافرة يجري وفق سنة إلهيّة تتكرّر في كلّ أمّة بعث الله تعالى إليها رسولاً فكذّبته، وتتراوح مقتضياتها بين النعمة والشدّة لعلّهم يرجعون. وقد جرت عادة الأنبياء عَلَيْهِ وَلسّلَامُ بعد دعوة أقوامهم إلى التوحيد أن يُذكّر وهم بنعم الله تعالى عليهم، ودعوتهم إلى شكر المنعم سُبْحَانهُ وَتَعَالَى، وقد خصّ الله تعالى بعض الأمم ببعض النعم، فكلّ نبيّ يُذكّر بما خصّ الله عَرَقِجَلَّ قومَه، دون إغفال النعم العامّة الظاهرة (۱).

وكانت ثمود على شاكلة عاد في الحال والمال؛ أغدق الله تعالى عليهم النعم، فكانوا في رغد من العيش مع التمكين في الأرض، وكان نبيهم صالح عَلَيْوالسَّكُمُ يُذكّرهم بتلك النعم في مستهل دعوته ويُعرّفهم بالمنعم جل علاه، ويرشدهم إلى طريق الشكر، داعياً إياهم إلى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأوثان، وقد بين بعض جوانب هذه الأعمار في الأرض محذّراً إيّاهم من البطر، بقوله: ﴿وَالنَّهُ وَلَا نَعْدَوْنَ مِن سُهُولِهَا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتَا فَاذْكُرُواْ ءَالآءَ اللهَ وَلا تَعْتَواْ فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٤].

وهم عندما اتّخذوا السهول قصوراً، ونحتوا الحبال بيوتاً. لم يفعلوا ذلك على جهة التمتّع الحلال بالنعم، والاكتفاء بقدر الحاجة إلى السكن، بل فعلوا ذلك من

⁽١) السنن الاجتماعية في القرآن، د. محمد أمحزون (٣/ ٤٠٥).

منطلق الإسراف والبطر وكفران النعمة. مع الاغترار بما شيّدوه من صروح منيفة وبيوت حصينة، كحال من يأمل الخلود في هذه الدار(١).

ولذلك أنكر عليهم صالح عَينَ السّكامُ هذا المسلك، وخوَّفهم عاقبة إسرافهم وأشرهم، لكنهم لم يستجيبوا وقابلوا نعم الله بالكفران والجحود، فمضت فيهم سنة الله، وتحوّلت هذه النعم نقماً جلبت الهلاك على أهلها، وأصبحوا كأن لم ينعموا فيها يوماً من الأيّام(٢).

الثالث عشر: الخطايا والذنوب:

ومن أسباب العقاب الإلهي لقوم ثمود: وقوعُهم في المعاصي، وارتكابهم الذنوب والخطايا. والذنوبُ والخطايا تعمّ جميع ما ذكرت من أسباب هلاك الأمم السابقة وغيرها، كالكفر والشرك، والظلم، والإجرام والاستكبار، والبطر.. لأنّ كلّ مخالفة لأمر الله ذنبٌ يعاقب الله عليه، وإذا تجمّعت الخطايا والذنوب على أمّة فإنّ هذه الأمّة تُعاقب ويحلّ بها الهلاك(٣)، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كُمْ أَهَ لَكُنّا مِن قَبِلِهِم مِن قَرْبِهِم مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلأَنْهَارَ تَجُرِي مِن تَحْتِهِم فَا لَمْ نَفُرِهِم وَأَنسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلأَنْهَارَ تَجُرِي مِن تَحْتِهِم فَأَهُلَكُنَاهُم بِذُنُوبِهِم وَأَنشَأْنًا مِن بَعْدِهِم قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الأنعام: ٦].

إِنَّ الذَنوب سبب الانتقام وزوال النعم (١٠). قال تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم ِ إِنَّ الذَنوب سبب الانتقام وزوال النعم (بُهُم قال تعالى: ﴿فَدَمُونُ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ وَبُهُم

⁽١) المصدر السابق نفسه.

⁽٢) أسباب هلاك الأمم السالفة، ص٣٧٨.

⁽٣) السنن الإلهيّة في الحياة الإنسانية (٢/ ٣٣٧).

⁽٤) تفسير المنار (٧/ ٣٠٨-٣٠٩).



- ﴿بِذَنْهِ مِ ﴾ [الشمس: ١٤]؛ لبيان أنّ ما أصابهم كان بسبب ذنوبهم، وفيها إنذار وتحذير من خطورة الذنوب.

الرابع عشر: انتهاك حُرمات الله:

انتهك قوم ثمود حرماتِ الله عَرَّقِعَلَ بعدما طلبوا من صالح عَلَيْوالسَّلامُ آية بينة على رسالته ودعوته، وذكر المفسّرون أنّهم اقترحوا على صالح عَلَيْوالسَّلامُ نوعَ الآية، وكيفيّة خروجها وصفتها، فطلبوا ناقة يُخرجها أمام أعينهم من صخرة في ناحية من قريتهم، على أن يكون من صفتها كيت وكيت، فأخذ عليهم صالح العهود والمواثيق على أن يؤمنوا به إن آتاهم بما طلبوا، فلمّا أتوه مواثيقَهم وعهودهم لجأ إلى ربّه فدعاه أن يؤتي قومه ما طلبوا طمعاً في إيمانهم. واستجاب الله دعاءه، فأخرج لهم الناقة من الصخرة الصمّاء أمام أعينهم كما طلبوا، وذلك بقدرة الله عَلَيكلاً مُخرج الميّت من الحيّ، وهو الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وإذا أراد شيئاً قال له كن فيكون(١٠).

وهكذا خرجت الناقة بهذه الكيفيّة العجيبة الخارقة للعادة، والتي يعلم كلّ عاقل أنّها خارجة عن قدرة البشر، ورآها القوم بأمّ أعينهم، وعندئذ طلب منهم صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ عدة أمور:

- الإيمان بالله جَلَّ وَعَلَا، وبعبادته، ونبذ عبادة الأصنام والأوثان، والتصديق برسالة صالح عَيْهِ السَّلَمُ؛ لا سيما أنَّهم كانوا قد أعطوه المواثيقَ على ذلك.

- تقسيم الماء بينهم وبين الناقة، فيوم لهم، وللناقة يوم، وفي يومهم لا ترد الناقة الماء فيأخذون ما يكفيهم ويكفى أنعامهم، وفي يوم الناقة لا يردون الماء.

⁽١) أسباب هلاك الأمم السالفة، ص٤٠٠.

- حذَّرهم من المساس بالناقة بأيّ سوء، وكان تحذير صالح فيما يتعلّق بهذا الأمر تحذيراً صارماً، لا لبس فيه ولا غموض، فمساس الناقة بأيّ سوء يستدعي العذاب العاجل(١).

ومع وضوح الحجّة، وظهور البرهان، خسرت ثمود الامتحان، فاستحبّوا العمى على الهدى، ونكثوا العهود، وأصرّوا على الكفر والتكذيب، وكانوا بذلك قد استوفوا سبباً لجلب العذاب العاجل، ولم يقف أمرهم عند هذا الحدّ، بل كانوا للهدّة شقاوتهم - كمن يُهرع إلى حتفه، فأمعنوا في العتوّ والعناد، وضاقوا ذرعاً بالناقة ويوم شربها، وكبر عليهم رؤيتها تجوب ودْيانهم، وحقولهم؛ شاهدة على قدرة الله، وعلى صدق صالح عَيَوالسّلام، فأقدموا على ارتكاب المنكر العظيم الذي طالما حذّرهم منه صالح عَيَوالسّلام، وانتهكوا حرمة الله، وعقروا الناقة، فاستوجبوا العذاب، قال تعالى: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنّاقَةَ وَعَتَواْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَصَالِحُ ٱلنِّتِنَا بِمَا العذاب، قال تعالى: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَواْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَصَالِحُ ٱلنَّتِنَا بِمَا العذاب، قال تعالى: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَواْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَصَالِحُ ٱلنَّتِيمِينَ ﴿ اللّهُ وَسَلِينَ ﴿ فَاخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَيْمِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٧، ٧٧].

وقال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامِرٍ ۚ ذَالِكَ وَعُدُّ غَيْرُ مَكْذُوبِ﴾ [هود: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿فَكَذَبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّلْهَا﴾ [الشمس: ١٤]. وإن الربط بالفاء بين عقر الناقة وهلاك القوم في هذه الآيات كلّها تدلّ دلالةً واضحة على أنّ عقرها كان السبب المباشر لهلاكهم، وإن كانوا قد أتوا أسباباً أخرى للهلاك.

⁽١) المصدر السابق، ص٤٠١.



والعَقر: ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف(١). ولميّا كان العقر سبباً للنحر، أُطلق العقر عليه من باب إطلاق اسم المسبّب على السبب(١).

وقد أسند العَقر إلى جميعهم مع أنّ الذي باشره شخص واحد منهم، كما في قوله تعالى: ﴿كَ نَّمُودُ بِطَغُونِهَا ۚ ﴿ إِذِ ٱنبَعَتَ أَشَٰقَنَهَا ﴾ [الشمس: ١١، ١١]، وذلك لأنّ هذا الذي باشر عَقر الناقة، وإنّما فعل ما فعل برضاهم (٣)، قال الطبريّ رَحَمُ اللّهُ: "وعن رضا جميعهم قتَلها قاتلُها، وعقرها مَن عقرها، ولذلك نسب التكذيب والعقر إلى جميعهم "(٤).

ولم يكن نَصيب عامّة ثمود من العقر مجرّد الرضا فحسب، بل كان مع ذلك تحريض وتحضيض العاقر الناقة ليقدم على عقرها، قال تعالى: ﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاظَىٰ فَعَقَرَ ﴾ [القمر: ٢٩].

وقد ذكرنا في الصفحات الماضية أنَّ أشقى ثمود الذي عقر الناقة وهو قدار بن سالف (٥)، وكان أحد التسعة المفسدين الذين قال الله عنهم: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ سِنْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [النمل: ٤٨].

ولعلّ هذا الشقيّ قد ظنّ أنّ منعَتَه في قومه، تحميه من العذاب الموعود به على عقر الناقة، فارتكب جريمته في نشوة المتكبّر العاتي، ولم يدرِ حرمة من انتهك؛ لقد انتهك حرمة الجبّار العزيز، الذي لا يُغالب، فجنى على نفسه وعلى قومه

⁽۱) لسان العرب (٥/ ٣٠٣٥).

⁽٢) أسباب هلاك الأمم السالفة، ص٤٠٣.

⁽٣) المصدر السابق نفسه.

⁽٤) تفسير الطبري، نقلاً عن أسباب هلاك الأمم، ص٤٠٣.

⁽٥) تفسير ابن کثير (٤/ ٢٥٥).

الذين مالؤوه، فأتاهم من الله ما لا قِبَل لهم ولا لأحد به، صيحةٌ واحدة قطعت نياط قلوبهم، وتركتهم أجساداً بلا أرواح(١).

الخامس عشر: سُنّة الإملاء والاستدراج:

إنّ إملاء الله عَرَّفِكِلَ للأمم الكافرة، واستدراجَهم لإهلاكهم، يجري وفق سُنة الهيّة، تتكرّر في كلّ أمّة بعث الله تعالى إليها رسولاً، فكذّبته، بل هي السنّة الجارية التي في كلّ أمم الأرض التي تكفر بأنعُم الله تعالى، وجحدت كتبه ورسله، ولم تقبل شرعه وحكمه دستوراً للحياة (٢).

والظاهر من الآيات الكريمة أنّ الإملاء يأتي مباشرة بعد التكذيب، لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ السُّتُهُزِئَ بِرُسُلِ مِن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [الرعد: ٣٢].

وأمّا الأخذ، فيأتي على المدى والتراخي، لقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الحج: ٤٨].

وإذا علمنا أنّ معاني الإملاء للكفّار التمكين لهم في الأرض، إذ إنّ التكذيب يصدر عادة من الطغاة الممكّنين في الأرض، فبسبب ذلك التمكين لم نعد نعجب أن يفتح الله تعالى أبواب كلّ شيء على الذين نسوا ما ذُكِّروا به، فإنّ هذا هو عين الإملاء الذي تحدّثت به آياتٌ كثيرة في كتاب الله عَنْ عَبَلَ (٢)، وفتح أبواب النعم على

⁽١) أسباب هلاك الأمم السالفة، ص٤٠٤.

⁽۲) السنن الاجتماعية في القرآن الكريم (π / ٤٨٥).

⁽٣) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، محمد قطب، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص٥٦.



الأمم مع إصرارهم على الكفر والتكذيب إنّما كان ويكون استدراجاً لهم إلى الهلاك أو الاضمحلال والسقوط.

وهذا ما شهدناه في الأقوام والأمم (قديماً وحديثاً)، ومن بينهم قوم صالح عَلَيهِ السَّكَمُ، فقد وقعوا في سُنة الإملاء والاستدراج، فقد كانوا في رغد من العيش مع التمكين لهم في الأرض، وقد بين لهم صالح عَليهِ السَّكَمُ بعض جوانب هذا التمكين الذي هو في الحقيقة استدراج وإملاء لهم في قوله تعالى: ﴿وَبَوَّأَكُمُ فِي الْأَرْضِ تَتَخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ اللِّحِبَالَ بُيُوتَا ﴾ [الأعراف: ٧٤].

إن قوم صالح عندما اتّخذوا من السهول قصوراً، ونَحتوا من الجبال بيوتاً، فعلوا ذلك مغترّين بما بنته أيديهم من قصور منيعة في السهول والوديان، وبيوت حصينة في الجبال، ظانّين أنّها تمنعهم من عذاب الله، وكانت مبالغتُهم في البناء، وإسرافُهم في الملذّات كحال من يأمل الخلود في هذه الدار، فأنكر صالح عَليَهِ السّلامُ هذا المسلك، وخوّفهم من العذاب، قال تعالى: ﴿أَتُتُرَكُونَ فِي مَا هَهُنَا عَامِينَ هَذَا المسلك، وخوّفهم من العذاب، قال تعالى: ﴿أَتُتُرَكُونَ فِي مَا هَهُنَا عَامِينَ فَي جَنّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿ وَنَحْلِ طَلْعُهَا هَضِيرٌ ﴿ وَتَخْوَنَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتَا فَرِهِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤٦-١٤٩].

وهذا الاستفهام الإنكاريّ لو كان يستدعي جواباً؛ لكان جوابه كلّا ثمّ كلّا، فما كانت هذه النعم ولا غيرها بدائمة ولا بحائلة دون عذاب الله حين يأتي، وإنّما تقع في دائرة الإملاء، حيث أمهل الله عَرَّيَجَلَّ هؤلاء الكفّار إلى حين، حتّى يستوفي الكتابُ أجلَه.

واستدراجاً لهم حين كذّبوا نبيّهم صالحاً، وطالبوه بآية دالّة على صدقه، آتاهم الله الناقة آية بيّنة، وحجّة دامغة، لكنّهم أصرّوا على كفرهم، بل عتوا عن أمر ربّهم وتجرّؤوا على انتهاك حرمة الله تعال، فعقروا الناقة، واستوجبوا عذاب الله،

فأخذتهم رجفةٌ شديدة زلزلت بهم الأرض، وصاعقة محرقة من فوقهم، وصيحة واحدة مفزعة فقطعت نياط قلوبهم وتركتهم في ديارهم جاثمين.

وبقيت مساكنهم وديارهم عبرة لأولي الألباب على مرّ الأيام والدهور(١)، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ عَنَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبُوَبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذُنَهُم بَغْتَةَ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواً وَٱلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْغَامِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٥٤].

وإن التعبير القرآنيّ: ﴿فَتَحُنَا عَلَيْهِمْ أَبُوَبَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٤٤]، يصوّر الأرزاق، والخيرات، والمتاع، والسلطان، متدفّقاً كالسيول بلا حواجز ولا قيود، وهي مقبلة عليهم بلا حواجز ولا كدّ، ولا حتّى محاولة، إنّه مشهد عجيب يرسم حالة في حركة على طريقة التصوير القرآنيّ العجيب.

- ﴿حَقَىٰ إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ ﴾ [الأنعام: ٤٤]؛ غمَرتهم الخيراتُ والأرزاقُ المتدفّقة، واستغرقوا في المتاع بها والفرح لها، بلا شكر ولا ذكر، وخلت قلوبهم من الاختلاج بذكر المنعم، ومن خشيته وتقواه، وانحصرت اهتماماتهم في لذائذ المتاع، واستسلموا للشهوات، وخلت حياتهم من الاهتمامات الكبيرة، كما هي عادة المستغرقين في اللهو والمتاع، ويتبع ذلك فساد النظم والأوضاع بعد فساد القلوب والأخلاق، وجرّ هذا وذلك إلى نتائجه الطبيعيّة من فساد الحياة كلّها، عندئذِ جاء موعد السُنّة التي لا تتبدّل(٢).

⁽١) السنن الاجتماعية في القرآن (٣/ ٤٩٠).

⁽۲) في ظلال القرآن (۲/ ۱۰۹۰).



- ﴿ أَخَذْنَهُم بَغْتَةَ فَإِذَا هُم مُّبَلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤]؛ كان أخذهم على غِرّة، وهم في شهوة وسكرة، فإذا هم حائرون، ومنقطعون الرجاء في النجاة، وعاجزون في التفكير في أيّ اتّجاه، وإذا هم مُهلكون بجملتهم حتّى آخر واحد فيهم.
- ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ [الأنعام: ٤٥]؛ دابرُ القوم هو آخر واحد منهم، يُدبرهم أي: يجيء على أدبارهم، فإذا قطع هذا فأولئك أولى، و ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ [الأنعام: ٤٥]؛ تعني الذين أشركوا، والشركُ من أنواع الظلم، وهو أعظمها.
- ﴿وَالْخُمَدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٤]؛ تعقيب على استئصال الظالمين، بعد هذا الاستدراج الإلهيّ والكيد المتين، وهل يُحمد الله على نعمةٍ أجلَّ من نعمة تطهير الأرض من الظالمين، وعلى رحمةٍ أجلَّ من رحمته بعباده بهذا التطهير؟

وقد أخذ الله تعالى قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط، كما أخذ الفراعنة، والإغريق، والرومان، وغيرهم بهذه السُّنة، ووراء ازدهار حضارتهم ثمّ تدميرها ذلك السرُّ المغيَّب من هذا القدر الظاهر في سُنته، وهذا التفسير الرّبانيّ لهذا الواقع التاريخيّ المعروف(۱).

السادس عشر: الاشتغال بالدنيا عن الآخرة:

اشتغل قوم صالح عَيْوالسَّكُمُ بأمور الدنيا، وأصابهم الغرور بها، ونسوا الآخرة، وفرحوا بالأموال والأولاد، والقصور والبيوت في الجبال، والبساتين والزروع، وغاب عنهم فقة القدوم على الله، ولم يستعدوا ليوم الرحيل، وانغمسوا في الترف والإسراف، وتطاولوا على أهل الإيمان.

⁽۱) المصدر السابق (۲/ ۱۰۹۱).

فمن الأسباب التي ساهمت في عقابهم: الانشغال بالدنيا، ونسيان الآخرة، وارتكابهم للموبقات والذنوب والخطايا، لغياب وازع الخوف من الله ومن حسابه يوم القيامة.

السابع عشر: الاستبدال:

قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوا لَيَسْتَبُدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْتَلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨]، مضت سُنة الله في الاجتماع البشريّ أنّه ما أهلك الله قوماً إلّا أنشأ من بعدهم قوماً آخرين، يقومون بعمارة الأرض، ذلك أنّ ذهاب أمّة وإنشاء أخرى، لا يكون عبثاً وصُدفة، ولكنّه سُنة الله في الأمم والدول والحضارات، لتتجدّد خلايا الإنسانيّة، وتتداول الحياة الحضاريّة بين البشر، ليستمرّ العالم قائماً على عقيدة سليمة، وأسس صحيحة صالحة للبقاء (١).

كما أنّ الحضارات لها سنن قيام وسقوط فلها سنن تجدّد وانبعاث واستبدال، وقد تحدّث القرآن الكريم عن الاستبدال الحضاري، وهذا ما حدث لقوم صالح عَلَيْهِ السَّكُمُ حيث تجمّعت فيهم أسبابُ الهلاك، فمضت سُنّة الله فيهم بالاستئصال، ولكي تستأنف الإنسانيّة رسالتها بصالح عَلَيْهِ السَّكَمُ والذين آمنوا معه. وكان صالح عَلَيْهِ السَّكُمُ والذين آمنوا معه تميّزوا بتوحيد الله وإفراده بالعبادة بمحاربة الشرك بكافّة أشكاله وألوانه، وانطلقوا في أرض الله بشرع الله بعد استئصال قوم صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ.

⁽١) سنن الله في قيام الحضارات وسقوطها، ص٧٣.



الثامن عشر: سُنّة الأجل الجماعي:

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلُ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةَ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤]، جعل الله لكل فرد أجلاً تنتهي به حياته الدنيا، وجعل سبحانه للأمم والحضارات والدول آجالاً تنتهي إليها، وتسقط في نهايتها، ويسدل الستار عليها، وكذلك لحركة التاريخ الجماعيّ للأمم سُننٌ كثيرة دقيقة تسير عليها، قدّرها العليم الحكيم، لا تقصر عنها ولا تتجاوزها، أوقاتُها محدّدةٌ وأحداثها مقدّرة مكتوبة: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلُ ﴾ [الأعراف: ٣٤](١).

ونظراً لارتباط هذه الآجال بمواعيد ثابتة محددة في علم الله، كجزء من نظام كوني متماسك، ووفق مقاييس زمنية قد تبدو للإنسان، ذي القدرات النسبية المحددة، طويلة، ونظراً إلى إرادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحكمته في خلقه شاءت أن يُمد في هذه الأجيال كي تمنح لكل قوم، أو أمّة أن تُكفِّر عن ظلمها ومعاصيها، وأن تسعى التزام الطريق العادل المستقيم، ونظراً لهذا وذاك يتصوَّر البعض أنّهم بمنأى عن عقاب الله تعالى، وأنّه لا تدهور ولا سقوط: ﴿يَعْلَمُونَ ظَلِهِ رَا مِنَ ٱلْحَيَوةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ ﴾ [الروم: ٧].

ويتطرّق البعض الآخر فيستعجل المصير قبل تحقُّقه على سبيل التحدّي والاستفزاز: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَاذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا عِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱنْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيهٍ ﴾ [الأنفال: ٣٢]، إلّا أنّ أولئك وهؤلاء لم يحركوا أنّ كتابهم لم يبلغ أجله، وأنّه إذا جاء فليس أمامهم إلّا أن يعانقوا مصائرهم التي صاغوها بأيديهم سلفاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللّهُ ٱلنّا اللّهَ النّاسَ بِظُالِمِهِم مّا

⁽١) السنن الإلهية في الخلق، عبد الحميد طهماز، ص٣٥.

تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلِ مُّسَمَّى ۚ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَغْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل: ٦١].

أي: لكل قوم ميقات لانقضاء مدَّتهم وأجلهم في الحياة، فإذا جاء وقت انقضاء أجلهم وفناء أعمارهم لا يستأخرون ساعة، والإمداد بالساعة أقل مدّة من الزمن، ولا يتقدّمون بالقدر نفسه، لأنّ الله قضى بذلك منذ حين (١١).

يقول تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكُنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ۞ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَؤْخِرُونَ ﴾ [الحجر: ٤، ٥].

بيّنت الآية أنّ كلّ القرى الهالكة كان لها أجل مقدّر في أسباب هلاكها، وذلك لمّا أقام الله الحجّة على أهلها بتقدّم النذُر، وفرص الإمهال، وسُنن الاستدراج، وتبقى سُنة الله ثابتة، وهي أنّ هلاك الأمم مرهون بأجلها، فالهلاك الذي قدّره الله مرتّب على سلوكها وأعمالها، وعلى اعتقادها وتصوّرها، ومن خلال هذا تنفذ مشيئة الله، فلا يغرُّ المكذّبين تخلّفُ بأس الله عنهم فترةً من الزمن، ومن عدْل الله أن يذوق كلُّ واحد جزاء عمله وتصرّفه، وسنّة الله في طريقها المعلوم تمضي رويداً رويداً نحو الأجل المقدَّر الذي يمنحه الله لتلك القرى، وحتى لا تبقى بقيّة خير، عند ذلك تبلغ الأمّة أجلها، وتمضي إلى مصيرها(۱).

وما من أمّة عرفت في الحياة ثمّ تمرّدت على الحقّ، وتولّت عن العدل إلّا واللهُ مهلكُها قبل يوم القيامة أو معذّبها، وهذا قدر مقدّر في الكتاب المسطور، قال

⁽١) سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، ص٢٠٣.

⁽٢) المصدر السابق، ص٣٠٣.



تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَاكِ فِي ٱلْكِتَبِ مَسْطُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٨].

وهذا ما حدث لقوم ثمود، حيث بعث لهم صالحاً عَينها سولاً لهدايتهم، فردوا دعوته كِبراً وعناداً، وأعرضوا عنها، وطلبوا تعجيل العذاب، فوقع عليهم العقاب الإلهي بسبب ذنوبهم مع تقدير الله لهم، وفق سُنّة الله ﴿وَلِكُلّ أُمّةٍ أَجَلُ ﴾ [الأعراف: ٣٤]، فعلمُ الله لا يتبدّل، وسنتُه لا تتحوّل، وهي جارية وحاكمة وفق مشيئته وإرادته، وعلمه وحكمته سُبْحَانهُ وَتَعَالى.

التاسع عشر: سُنّة الهلاك:

إنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قضى بجعل الحساب والجزاء يوم القيامة، ولكن جرت سُنته بالفصل بين أهل الحق وأهل الباطل في الدنيا بحكمة ربّانيّة عُليا، وذلك بإهلاك الظالمين، ونجاة المؤمنين في الصراع بين الدائر بين الرسُل عَلَيْهِ السَّلَامُ وأعدائهم، وفي هذا الصراع دارت الدائرة وفق سنة الله على أهل الشقاوة، فمنهم من أغرقه الله بالطوفان، ومنهم من أرسل الريح العقيم، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أخذته الرّجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين، ومنهم من مُسخوا فغدوا قردة وخنازير، على أنّ الهلاك الذي حلّ بأولئك الظالمين إنّما هو خزيّ لهم في الدنيا، ونصرة للمؤمنين، وعبرة لمن يجيء بعدهم من الأمم، ليتعظوا بمصائر الغابرين، ويبتعدوا عن سُبُل الشيطان التي كانت سبباً في إهلاك القرون الخالية المحادّة لله ورسوله.

وقد ورد لفظ (الهلاك) في القرآن الكريم بمعانٍ متعدّدة، حسب موقعه في السياق كالموت مطلقاً، والفساد، والعذاب(١). والمعنى الأخير هو الأكثر استعمالاً في القرآن الكريم، وله صلة بموضوعنا.

أمّا الهلاك في الاصطلاح القرآني فهو: ما ينزله الله تعالى بأعدائه من العذاب المستأصل المبيد، وقد ورد هذا كثيراً في قصص القرآن الكريم، وفي مصير الأمم الغابرة، التي انحرفت عن جادّة الصراط المستقيم، وجحدت أوامر الله عَرْقِعَلَ، وآذت رسله، قال تعالى: ﴿وَكُوْ أَهْلَكُنَا مِنَ اللّهُ رُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ عَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٧]، وقوم صالح من الأمم المتقدّمة التي مضت فيهم سنّة الهلاك.

وهذه السُّنة ماضية في الحضارات والأمم والشعوب والمجتمعات، وهي من سُنن الله القاصمة واسعة الأثر. وهي سبب الوقوع في الذنوب والفساد والظلم وغير ذلك.

- قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰ أَهْلَكَ نَهُمْ لَمَّا ظَامَوْا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف: ٥٥].

- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدُ أَهْلَكُنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ ﴾ [يونس: ١٣].

⁽۱) إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الحسين محمد الدمغاني، دار العلن للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٣م، ص٤٧٧.



العشرون: سُنّة الخسران:

تحقّقت سُنّة الخسران في قوم ثمود، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَايَتِ ٱللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ الْوَلِمِ: ٣٣].

من سنّة الله أنّ الكافرين لا يفلحون، وأنّهم خاسرون، وهي سنّة نافذة لا تتخلّف، كما أنّ الفلاح للمؤمنين(١).

لقد مضت في قوم ثمود سنّة الخسران عندما خسروا الإدراك والبصيرة، فضاعوا في صحاري الشبهات، وبحار الشهوات، ووديان الضلال، ومضى فيهم قول الله تعالى: ﴿وَٱلّذِينَ كَفَرُواْ بِعَايَتِ ٱللّهِ أَوْلَتَهِكَ هُمُ ٱلْخَلِيرُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣].

الحادي والعشرون: الغفلة عن أسباب الهلاك:

من أسباب هلاك قوم ثمود، ومضيّ سنّة الله فيهم: غفلتُهم عن أسباب الهلاك، فلم ينتبهوا إلى خطورتها، بل مارسوها على مستوى الأفراد والمجتمع.

وهكذا، فإنّ القرآن الكريم في قصة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه، وجَّه الأنظارَ إلى الاعتبار بأحوالهم، وهي مليئة بالدروس والعِبر، والفوائد والسنن، وقوانين الله في حركة الشعوب، وزوال الأمم، واضمحلال الحضارات.



⁽١) في ظلال القرآن (٤/ ٤٨٣).



المبحث الرابع

CO O O O

أهمُّ صفات وخصائص صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ ووفاتُه

أولاً: تعريف الرسُّل وصفاتهم

ثانياً: الفرق بين النبي والرسول

ثالثاً: أهم صفات الرسل ومنهم صالح عَلَيْهِ السَّلامُ

رابعاً: الإيمان بالأنبياء والمرسلين

خامساً: أعداد الرسل

سادساً: التفاضل بين الأنبياء والرسل

سابعاً: أولو العزم من الرسل

ثامناً: حِكمة إرسال الرسل عامّة

تاسعاً: وظائف الرسل

عاشراً: أمور تَفرّد بها الأنبياء والرُّسل عَلَيْهِ مَالسَّلَامُ

حادي عشر: وفاة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحجَّه قبل وفاته

كان صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ من الأنبياء المرسلين الذين حققوا التوحيد لله عَنَّقِبَل، وإفراده بالعبادة، ودعوا إلى ذلك، وآمن بعض الناس برسالته، وقد تميز عَلَيْهِ السَّلَامُ بصفات وخصائص حميدة تجسّدت في شخصيّته وأخلاقه، كالإخلاص، والصبر، والتقوى، وحسن العبادة، وكان ناصحاً لقومه فدعاهم إلى توحيده وعبادته، واستغفاره والتوبة إليه (۱).

أولاً: تعريف الرسُل وصفاتهم:

الرسول في اللغة: مشتق من الإرسال وهو التوجيه، فالرسول الذي يُتابع أخبار الذي بعثه، أي: متتابعة. وسُمِّي الرسول رسولاً لأنَّه ذو رسالة. (٢)

والرسول: اسم مِن أرسلت، وكذلك الرسالة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥].

والنبي: فعيل من النبأ مهموزاً، وأصله النبيء ترك الهمزة تخفيفاً، وهو بمعنى مُفْعِل ومُفْعَل فهو مُنْبئ مُنْبئ مُنْبئ أي: مُخبرٌ من الله، قال تعالى: ﴿قَالَتُ مَنْ أَنْبَأَكَ مَنْ أَنْبَأَكَ هَنْ أَنْبَأَكَ هَنْ أَنْبَأَكَ هَنْ أَنْبَأَكَ هَنْ أَنْبَأَكَ هَنْ أَنْبَأَكَ هَنْ أَنْبَأَكَ هَنَا الله فَعُورُ هَنَا الله فَعْل نَبّأَنِي ٱلْعَلِيمُ الله إلى التحريم: ٣]، وقال تعالى: ﴿نَبِّئُ عِبَادِي أَنِي أَنَا ٱلْغَفُورُ التحبر: ٤٩].

فالنبي هو الذي يُخبر من الله، وهو الذي يُخبر الناس، أي: يُبلّغهم أمرَ الله ونهيه ووحيه، وقد يكون لفظ (النبي) من التنبّؤ غير مهموز، وهو الرفعة والمكانة.

⁽۱) صفات الأنبياء من قصص القرآن، الدكتور عقيل حسن، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١م، ص٧٥-١٠٠، لمن أراد التوسع.

⁽۲) موسوعة الأعمال الكاملة، القرضاوي ($\Lambda/7$).



أ- تعريف الرسول اصطلاحاً:

والرسول في الاصطلاح: هو رجل اصطفاه الله من البشر واختصه بالوحي وأمره بتبليغه. وهذا التعريف يشمل الأنبياء أيضاً، لأنّ لفظَيّ النبيّ والرسول إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا المترقا، وإذا المترقا اجتمعا المترقاء المترقا المترقا المترقاء المترقا المتر

ب- هل يُنبّأ الأنبياء قبل سنّ الأربعين؟

يقول العلماء: الأنبياء لا يُنبأون إلّا في سنّ الأربعين، ولكنّ هذا الغالب، ليس دائماً، لأنّ قوم إبراهيم عَلَيْهِ السَّمَاء فَقَ يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ وَإِبْرَهِيمُ ﴾ دائماً، لأنّ قوم إبراهيم عَلَيْهِ السَّكَمُ قالوا: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَقَ يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ وَإِبْرَهِيمُ ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، ومعنى (الفتى): صغير السن.

وقال تعالى في شأن سيّدنا يحيى بن زكريّا عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ: ﴿وَءَاتَيْنَاهُ الْكُورِ صَبِيّا ﴾ [مريم: ١٢]. والحكم هو النبوّة، وسيّدنا عيسى ما زاد عمره عن ثلاث وثلاثين سنة(٢).

جـ- الرسالة إصطفاء:

الرسالة منحة إلهيّة يختصّ بها من يشاء من عباده، فضلاً منه ونعمة، وليست الرسالة درجة علميّة يمكن الحصول عليها بالاجتهاد أو التعبّد أو التعلّم، وإنّما هي اصطفاء، واختيار للرسّل من بين سائر الناس. وقد قال تعالى: ﴿اللّهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلَيّكِ عَمْ اللّهَ وَمِنَ النّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥]

كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتُهُمْ ءَايَةُ قَالُواْ لَن نُّؤَمِنَ حَتَّىٰ نُؤْقَى مِثْلَ مَآ أُوقِت رُسُلُ ٱللَّهُ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُو﴾ [الأنعام: ١٢٤].

⁽۱) المصدر السابق (۸/ ٣٦٨).

⁽Y) المصدر السابق (Λ / Υ ۷۲).

د- الرسول يُوحى إليه:

إِنَّ أَخَصَّ مَا يُميِّزُ الرسول عن سائر البشر، أنَّه يوحى إليه من الله عَنَّوَجَلَّ، فالرسول لا يصدر فيما يُبلّغه إلى الناس عن نفسه ورأيه، وإنّما يتلقّى ذلك بوحي من الله عَنَّوَجَلَّ. قال تعالى مخاطباً رسوله صَالَسَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ إِنِّمَا أَنَا بَشَرُ مِتْلُكُمْ يُوحَى إِلَى ﴾ [الكهف: ١١٠].

والوحي لغة: الإعلام في سرعة وخفاء. واصطلاحاً: إعلام من الله لنبيّه بطريقة غير معتادة لدى البشر، تفيد الرسول العمل اليقيني القاطع بما أعلمه الله به(١).

هـ- طريق البشر:

إِنَّ البشر يحصِّلون علمَهم بطريق الحواس أو العقل، أمَّا علم الأنبياء تنقسم إلى أنواع ذكرها الله في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرِأَن يُكَاِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ جَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوجِى بِإِذْنِهِ عَا يَشَآءُ ﴾ [الشورى: ٥١].

النوع الأوّل: أن يُلقي الله سبحانه المعنى في قلب النبي مباشرة، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرِأَن يُكَلِّمَهُ ٱللّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ [الشورى: ٥١].

ويكون ذلك في اليقظة والمنام وله صور عدّة:

- إلقاء الله معنى يفيضه على قلب رسوله في حالة اليقظة يستيقن معه أنّه من عند الله عَنْهَجَلَ، بحيث لا يجد فيه شكّاً، ولا يستطيع له دفعاً ويُسمّى هذا النوع من الوحي (النفث في الرّوع)، والرُّوع: القلب وفي الحديث: «إنَّ رُوحَ القُدُس نفثَ

⁽١) المصدر السابق (٨/ ٣٧٣).



في رُوعِي، أنَّه لَن تموتَ نفسٌ حتَّى تستكمِلَ أجلَها، وتستوعِبَ رزقَها، فاتَّقوا اللهَ، وأجمِلُوا في الطَّلَب»(١).

وروح القدس: جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ونفث في رُوعي: أي ألقى الوحي في قلبي.

- ومنها ما يكون رؤيا صادقة في النوم: ومن ذلك رؤيا إبراهيم عَيْهِ السَّامُ وأمر الله إيّاه بذبح ولده، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَنبُنَى ٓ إِنِّى آرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِي َ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِي وَلَاهُ بَذَبِحُكَ ﴾ [الصافات: ١٠٢]. وفي صحيح البخاري، عن عائشة أمّ المؤمنين (وَخَلِيّتُعَنهَا) قالت: أوّل ما بُدي به رسول الله صَلَّاللَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوحي: الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلّا جاءت مثل فلق الصبح (٢).

والنوع الثاني: ما يكون مكالمة بين الله تعالى وبين رُسُله، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤].

والنوع الثالث: ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل عَلَيْهِ السَّلَمُ، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِى بِإِذْنِهِ عَمَا يَشَاءُ ﴾ [الشورى: ٥١].

وذلك أشهر أنواع الوحي، ويسمّيه العلماء: الوحي الجليّ، ووحيُ القرآن كلّه من هذا النوع، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدَى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧].

⁽١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد، رقم (٣٥٤٧٣). وقال الحافظ في المطالب العلية (٩٢٧)، فيه انقطاع.

⁽٢) متفق عليه، رواه البخاري في التفسير (٤٩٥٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ مِ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ إللسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

ثانياً: الضرق بين النبي والرسول:

اختلف العلماء في التفريق بين معنى النبي والرسول، على أقوال: فرأى بعضهم أنهما سواء، فالنبيّ والرسول لفظان لمعنى واحد، ورأى البعض: أنّهما متفرّقان من وجه ويجتمعان من وجه، كما قال القاضي عياض: والصحيح والذي عليه الجمّاء الغفير، أنّ كلّ رسول نبي وليس كلّ بني رسو لاً(١).

والراجح في الفرق بين النبيّ والرسول، أنّ الرسول من بُعث بشرع جديد، وأُمر بتبليغه، والنبيّ من أُمر بالتبليغ ولكن بشرع من سبقه من الرسل، كحال أنبياء بني إسرائيل الذين كُلِّفوا بتبليغ شريعة موسى عَلَيْوَالسَّلامُ والمراد بالشرع هنا، هو: التشريع الذي يحوي شيئاً جديداً لم يكن له في التشريع السابق، كما في حال عيسى عَليْوَالسَّلامُ فقد قال الله في شأنه: ﴿ وَمُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَى مِنَ التَّوْرَائِةِ وَلِأَجْلَ لَكُم بَعْضَ النّي حُرِّمَ عَلَيْحَالُم في إلى عالى عالى عَلَيْهِ الله في شأنه: ﴿ وَمُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَى مِنَ التَّوْرَائِةِ وَلِأَجْلَ لَكُم بَعْضَ النّي حُرِّمَ عَلَيْحَالُم في إلى عمران: ٥٠].

ثالثاً: أهم صفات الرُسل ومنهم صالح عَلَيْوالسَّلامُ:

الرسل هم سُفراء الله تعالى إلى الخلق لهدايتهم إلى الحقّ، ودعوتهم إلى الخير. وإن هداية البشر مهمّة عظيمة، لا يصلح لها إلّا من توفّرت فيهم صفات رفيعة من الصفات الإنسانيّة العظيمة، فالرسول رجل اصطفاه الله من البشر، واختصّه

⁽۱) الشفا بتعریف حقوق المصطفی، القاضي عیاض، دار الحدیث، ۲۰۱۰م (۱۲۵۱)؛ تفسیر القرطبی (۸۲/۱۲).



بالوحي، وأمره بتبليغه، فهو مصطفى، ومُوحى إليه، ومُبلّغ عن الله. ومِن أهمّ صفاتهم المتعلّقة بالرسالة:

أ- الصدق:

الرّسل صادقون في أقوالهم، وفي أعمالهم، قال تعالى: على لسان الكافرين حين يُبعثون من قبورهم يوم القيامة: ﴿قَالُواْ يَوَيُلْنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقِدِنا ۖ هَذَا مَا وَعَدَ اللّهِ عَمَنَ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: ٥٦]. والرسالة لا يصلح لها كذّاب، والرسل مُبلّغون عن الله تعالى، وداعون إلى الحق قال تعالى: ﴿إِنّمَا يَفْتَرِى اللّه عَدَبَ اللّهِ عَالَى، وداعون إلى الحق قال تعالى: ﴿إِنّمَا يَفْتَرِى اللّه عَدِبَ اللّهِ عَلَى اللّهِ عَالَى النّبِي الكَهِ وَأُولَيِكَ هُمُ اللّه تعالى إلى الناس، فلو صدر منه الكذب على النبيّ الكذب، وذلك بنقل وحي الله تعالى إلى الناس، فلو صدر منه الكذب لتسرّب شكّ الناس إلى الوحي الذي ينقله إليهم(١٠). ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَادِيلِ ﴿ لَكُذُ فَا مِنْهُ بِاللّهِ عِينِ ﴿ وَلَوْ تَقَوّلَ عَنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿ وَلَوْ تَقَوّلَ عَنْهُ الْوَتِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٤].

– الفطانة:

هي أن يكون الرسول ذكيّاً عميق الفهم، وحاضر البديهة، وقويّ الحُجّة، وسديد الرأي، وليس غبيّاً ولا بليداً؛ لأنّ الرسول يُربّي أمّته، ويُجادل خصومه، ويُقيم البراهين على صحّة ما جاء به(٢).

وإذا نظرنا في قصّة صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ، ومناظرته لقومه، وجدنا صفة الفطنة ظاهرةً في تبشيره، وإنذاره، وحُسن جداله، وقدرته على إقامة الحجّة العقليّة، والدليل الفطريّ في النشأة من الأرض، واستعمارهم فيها.

⁽¹⁾ $\alpha = 1$ $\alpha = 1$ $\alpha = 1$ $\alpha = 1$

⁽٢) المصدر السابق (٨/ ٣٧٩).

جـ- التبليغ:

لا بد لهذا الصادق الفَطِن أن يُبلّغ ما أوحي إليه من الأحكام والشرائع، وهذا مقتضى الرسالة، فقد قام هود عَلَيْوالسَّلامُ بتبليغ الرسالة حقّ التبليغ.

د- العصمة:

هي حفظ الله تعالى رسله من المعاصي والذنوب، ليكونوا أسوة حسنة للناس، ولهذا نؤمن نحن المسلمين بعقيدة (عصمة الأنبياء) من الخطايا والرذائل، والتي تُنافي تكليفهم هداية البشر، وتُنفّرُ الناس منهم، وتجعلهم عرضة للانتقاد.

وإن معنى العصمة: أنّهم لا يَتركون واجباً، ولا يفعلون محرّماً، ولا يقترفون ما يتنافى مع الخُلُق الكريم، فأفعالهم وأقوالهم وأحوالهم دائرة بين الواجب والمندوب، فهم معصومون عن الكبائر وعن المنفّرات، ورسل الله (صلوات الله وسلامه عليهم) معصومون في تبليغ الوحي عن الكذب والنسيان والغفلة ومعصومون عن الزيادة فيه أو إخفاء بعضه. وهم معصومون أيضاً من الوقوع في كبائر الذنوب، وعن الصغائر التي تدلّ على خساسة الطبع، صيانة لعلوّ مكانتهم (۱).

هـ- مكارم الأخلاق:

إن الرسل متصفون بأرفع الأخلاق الإنسانيّة، ويتحلَّون بأسمى الأخلاق الفاضلة: كالكرم، والعدل، والشجاعة، والصبر، والعفّة، والأمانة، والحلم، والحياء، وسائر مكارم الأخلاق، ولذا فقد وصف الله تعالى نبيّنا الكريم بقوله:

⁽۱) موسوعة الأعمال الكاملة (٨/ ٣٨١-٣٨١). وللتوسع: العصمة في عقيدة أهل السنّة، منصور بن رشد التميمي، ص١٥؛ دراسات في التفسير الموضوعي، د. زاهر الألمعي، ص٢٥؛ العصمة في الفكر الإسلامي، حسن حميد، ص٤٤-٤٦.



﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]. فالرسالة لا يصلح لها بخيل، ولا حقود، ولا حسود، وإنّما يصلح لها من اتّصف بكرم النفس وطهارتها، وتحلّى بالأخلاق الفاضلة، وإنّما خصّ الله رسله بهذه الصفات ليصحّ الاقتداء بهم، ولو لم يكونوا متميّزين بهذه الفضائل، معصومين من النقائص، لمّا كانوا أهلاً لاختصاص الله إياهم بوحيه، ولضعف ثقة الناس بهم ولضاعت الحكمة من رسالتهم (١).

و- الكمال في الخلقة الظاهرة، والسلامة من الأمراض المنفّرة:

كما يجب الإيمان بصدق الرسل وأمانتهم، وتبليغهم وفطانتهم وعصمتهم، فكذلك يجب الإيمان بكمال خَلقتهم، فهم يتميّزون بسلامة أبدانهم ممّا تنفر منه الطباع السليمة، فلا يَمرضون مرضاً منفّراً أو مُقعِداً عن تبليغ رسالاتهم؛ كالجدري، والجذام، والبرص، والصرع، والحمّى، فإنّها قد تصيبهم، لأنّها لا تمنعهم من أداء رسالتهم، وقد كان النبي صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمرض، وتُصدّع رأسه، ومن ذلك ما رواه ابن مسعود: «دخلت على رسول الله صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يوعك وعكا شديداً، فمسته بيديّ، وقلت: يا رسول الله إنّك توعك وعكا شديداً، فقال صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أجل، كما يوعك رجلان منكم»(٢).

وما يُحكى عن سيدنا أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ من أنّه اشتد به المرض، وصار الدود يخرج من بدنه، فهو كذب وافتراء، وتشويهات إسرائيليّة يتنزّه منصب النبوّة عنها(٣).

⁽۱) موسوعة الأعمال الكاملة (٨/ ٣٩٠).

⁽۲) رواه البخاري، رقم (٥٦٦٠).

٣) موسوعة الأعمال الكاملة (٨/ ٣٩١).

رابعاً: الإيمان بالأنبياء والمرسلين:

إن الإيمان بأنبياء الله ورسله ركن من أركان الإيمان، فلا يتحقّق إيمان العبد حتّى يؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين، ويصدّق بأنّ الله تعالى أرسلهم لهداية البشر وإرشاد الخلق، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وأنّهم بلّغوا ما أُنزل إليهم من ربهم البلاغ المبين، فبلّغوا الرسالة وأدّوا الأمانة، ونصحوا الأمم، وجاهدوا في الله حقّ جهاده.

وقد قال تعالى: ﴿ اَلْمَولُ بِمَا أَنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلُّ ءَامَنَ وَسُلِهِ وَمَلَا عِلَهُ وَمَلَا عِلَهُ وَمَلَا عِلَهُ وَمَلَا عِلَهُ وَمَلَا عِلَهُ وَمَلَا عَلَى اللّهِ وَمَلَا عِلَهُ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَلَعْنَا عُفُرَانِكَ رَبّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وقال تعالى: ﴿ وَلَكِنَ ٱلْبِرّ مَنْ وَأَطَعْنَا عُفُرَانِكَ رَبّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. ومن السنة ءَامَنَ بِٱللّهِ وَٱلْمُومِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَيْكِ قَالْكِتَكِ وَٱلنّبِيكِنَ ﴾ [البقرة: ٢٧٧]. ومن السنة قول النبي صَالِللهُ عَلَيْهِ وَالْمَلَا عَنْ تؤمن بالله وملائكته وكتبه، وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث (١٠).

وإن الإيمان بأنبياء الله تعالى ورسله لا يتم حتى يؤمن العبد بجميعهم من غير حصر، ومن قصّهم الله علينا ومن لم يقصصهم، فقد أخبرنا جَلَوَعَلا، بأنّ هناك أنبياء لم يقصصهم علينا. قال تعالى: ﴿وَلَقَدُ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبِّلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَوْ نَقُصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر: ٧٨]. فنؤمن بما سمّى الله في كتابه من رسله، ونؤمن بأنّ الله سوّاهم رسلاً وأنبياء لا يعلم أسماءهم إلّا الذي أرسلهم، ونؤمن بمحمد صَلَّاللَهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ وَإِيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل، إيمانك بسائر الرسل: إقرارك بهم وإيمانك بمحمد إقرارك به وتصديقك إيّاه دائباً على ما جاء به، الرسل: إقرارك بهم وإيمانك بمحمد إقرارك به وتصديقك إيّاه دائباً على ما جاء به،

⁽١) البخاري، رقم (٤٨).



فإذا اتبعتَ ما جاء به أدّيتَ الفرائضَ وأحللتَ الحلالَ، وحرّمتَ الحرامَ، ووقفتَ عند الشبهات وسارعتَ في الخيرات(١).

ومن أطاع رسولاً واحداً فقد أطاع جميع الرسل، ومن آمن بواحد منهم فقد آمن بالجميع، ومن عصى واحداً منهم فقد عصى الجميع، لأنّ كلّ رسول يصدّق الآخر ويقول: إنّه رسول صادق، ويأمر بطاعته، فمن كذّب الذي صدّقه، ومن عصاه فقد عصى من أمر بطاعته (۲).

خامساً: أعداد الرسل:

أرسل الله سبحانه رسلاً إلى جميع الأمم، لا يعلم عددَهم إلّا اللهُ سبحانه، وقد قصّ القرآن الكريم علينا بعضاً منهم، كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلَا قَدْ قَصَصْمَنَاهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [النساء: ١٦٤].

وإن الآيات القرآنيّة تشير إلى أنّ الأنبياء والرسل أعدادهم وفيرة، ومن دلائل ذلك قوله تعالى: ﴿ فَمُّ أَرْسَلْنَا تَتُرَّ ﴾ [المؤمنون: ٤٤]؛ أي: متتابعين، ودلّت الآية على أنّ الرسل عَلَيْهِ مَلَسَلَامُ تتابعوا واحداً تلو الآخر، ممّا يدلّ على كثرتهم، قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنَ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿ وَكُمْ أَرْسَلْنَا مِن نَبِيّ فِي الْأُوَلِينَ ﴾ [الزخرف: ٦]، و(وكم): هنا خبريّة، معناها التكثير، والمعنى: ما أكثر ما أرسلنا من الأنبياء في الأمم السابقة. وقد ورد ذكر خمسة وعشرين من الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم، وهم: آدم أبو البشر، ونوح شيخ المرسلين، وإدريس، وهود، وصالح، الكريم، وهم: آدم أبو البشر، ونوح شيخ المرسلين، وإدريس، وهود، وصالح،

مجموع الفتاوى (٧/ ٣١٣).

⁽۲) المصدر السابق (۱۸۰/۱۸).

وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل بن إبراهيم، وإسحاق بن إبراهيم، ويعقوب بن إسحاق، ويوسف بن يعقوب، وشعيب، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان بن داود، وأيوب، ويونس، واليسع، وذو الكفل، وإلياس، وزكريّا، ويحيى بن زكريّا، وعيسى، ومحمّد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

ومن هؤلاء الخمسة والعشرين أربعة من العرب وهم: هود، وصالح، وشعيب، ومحمد (صلّى الله عليهم أجمعين)، وقد وردت في بعض الأحاديث الضعيفة أعداد المرسلين، وهي أحاديث لا تقوم بها حجّة، ولا ينبغي لأهل العلم والإيمان أن يشغلوا الناس ويضيّعوا أوقاتهم بها.

وقد اختلف في (ذو القرنين، وتُبّع، والخضر) هل هم أنبياء أم لا؟

فذهب طائفة من أهل العلم إلى أنّ ذا القرنين نبي من الأنبياء وكذلك تُبّع، والأُولى أن يتوقّف في إثبات النبوّة لهما، لما صحّ عن رسول الله صَالَتَهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ أنّه قال: «ما أدري تُبّع أنبياء أم لا؟ وما أدري ذا القرنين أنبياء كان أم لا»(۱). وأمّا الخضر، فقد رجّح الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي رَحَمُ اللّهُ أنّه نبي، لقوله تعالى في آخر قصته: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ وَعَنْ أُمْرِي ﴾ [الكهف: ١٨] أي: أنّه قد أوحى إليه فيه (٢).

سادساً: التفاضل بين الأنبياء والرسل:

أخبر القرآن الكريم أنّ الله فضّل بعض الرسل على بعض، فقال: ﴿وَلَكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعُضَهُمْ عَلَى بَعْضِ ﴾ [البقرة: ٣٥٣]. والتفضيل راجع إلى اختيار الله تعالى، بمزايا وهبها الله لنبيّه أو لأمّته أو لرسالته.

⁽١) رواه الحاكم في الإيمان (١/ ٣٦)، وصحّحه على شرط الشيخين.

⁽٢) موسوعة الأعمال الكاملة، يوسف القرضاوي (٨/ ٤٠٢).



وأفضل الرسل على الإطلاق، هم أولو العزم، وأفضل أولو العزم هو رسولنا محمد صَّالَتَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ أنّه جمع كلّ ما تفرّق في الرسل السابقين ورسالاتهم من مزايا ومحاسن وكمالات، فهو أفضلُ المرسلين، وسيّدُهم، ورسالتُه أكمل الرسالات، وأعمّها، وأشملها، وأمّتُه خير أمّة أُخرجت للناس، ودينه هو الذي إرتضاه الله لعباده إلى أن تقوم الساعة.

وأفضل أولي العزم بعد رسولنا محمد صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، هو أبونا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، واختلف في ترتيب الثلاثة الباقين بعدهما(١).

سابعاً: أولو العزم من الرسل:

العزم: القوّة في الدين، والإمامة في الصّبر، والتقوى، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَعْرِرُواْ وَتَعْرِرُواْ وَتَعْرِرُواْ وَتَعْرِرُواْ وَوَالِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُودِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

والراجح إنّ أولي العزم من الرسل خمسة، وهم: نبيّنا محمد صَلَّاللَّهُ عَلَيْهُ وَسَلَّمَ، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى (عليهم الصلاة والسلام). وقد خصّهم الله بالذِكر في كتابه في بعض المواضع:

- كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمُ وَمِنكَ وَمِن نُوْجٍ وَإِبْرَهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْن مَرْيَمَ ۗ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب: ٧].

- وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْرِ مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَضَىٰ بِهِ ۚ نُوْحًا وَٱلَّذِي ٓ أَوْحَيْنَاۤ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ ۚ إِبْرَهِ بِهِ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣].

⁽١) المصدر السابق نفسه.

وفي الآيتين الكريمتين، دليل على أنّ هؤلاء الخمسة، هم أولو العزم؛ لأنّ الله تعالى ذكر الأنبياء، ومن ثمّ عطف عليهم هذه المجموعة، وعطف الخاصّ على العام يفيد أنّ للخاص زيادةً في الفضل. وقد خاطب الله تعالى نبيّه محمّداً بقوله: ﴿فَاصْبِرُ كَمَا صَبَرَ أُولُولُ ٱلْمَرْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

أمّا سبب تسميتهم بذلك، فلما تميّزوا به من الهمّة العظيمة في الدعوة إلى الله، والصبر على ما نالهم من الأذى الشديد في سبيل الله، والثبات في مواجهة الباطل، والقوّة في الحقّ. حيث قال ابن عبّاس في تفسير قوله تعالى: ﴿فَاصَبِرُ كَمَا صَبَرَ الْقُولُواْ الْعَرْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]: "ذوو الحزم والصبر"، وقال الضحّاك: "ذوو الجدّ والصبر".

وقد أثنى الله عَنَّقِهَلَ على أولي العزم من الرسل لما فيهم من جميل الخِلال، وعِظَم الصفات، كما قال تعالى عن نبيّه نوح عَيْدِالسَّلَمْ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣].

وقال: ﴿إِنَّ إِبْرَهِيمَ كَانَ أُمَّةَ قَانِتَا يَلَّهِ حَنِيفَا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَكُ وَهَدَكُ إِلَى صِرَطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ١٢١، ١٢٠]. وقال: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥]. والخُلّة: هي كمال المحبّة.

وقال عن نبيّه ورسوله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَجِيهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ الللللَّهُ اللللللَّهُ الللللِّ

⁽۱) تفسير البغوي (۲۰۷/٤).



وخاطب خاتم رسله محمّداً صَّالِللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ، بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]. وقال تعالى: ﴿لَقَدُ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسُوةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُواْ اللّهَ وَالْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ اللّهَ كَانَ يَرْجُواْ اللّهَ وَالْيُوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ اللّهَ كَانَ يَرْجُواْ اللّهَ اللهَ وَالْيُوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ اللّهَ كَانَ يَرْجُواْ اللّهَ اللّهَ عَلَيْهِ اللّهَ عَلَيْهِ اللّهَ عَلَيْهِ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهِ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

ثامناً: حكمة إرسال الرسل عامة:

من حكمة الله تعالى في إرسال الرسل، أنّ الخلق بحاجة إلى الرسل ليُبلّغوهم ما يُحبّه الله ويرضاه، وما يغضب منه ويأباه، وكثير من العصاة والمنحرفين ضلّوا في متاهات الشقاوة، هذا مع وجود الأنبياء عَلَيْهِمُالسَّلَمُ، فكيف يكون الحال لو لم يُرسل الله تعالى رُسُلاً مبشّرين ومنذرين.

وإن الرسل بُعثوا، يُهذّبون العباد، ويُخرجونهم من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد، ويُحرّرونهم من رِقّ عبوديّة المخلوق، إلى حرّية عبادة ربّ العالمين الذي أوجدهم من العدم وسيفنيهم بعد الوجود، وبعثهم بعد الفناء، ليكونوا إمّا أشقياء وإمّا شُعداء.

ولو تُرك الناس هملاً دون إنذار وتخويف، لعاشوا عيشة ضنكاً في جاهليّة جهلاء، وضلالة عمياء، وعادات منحرفة، وأخلاقٍ فاسدة، وأصبحت الحياة مجتمع غابٍ، فيه القويّ فيهم يأكل الضعيف، والشريف يذلّ الوضيع. وهكذا فاقتضت حكمته جَلَّوَعَلا ألّا يخلق عباده سُدى، ولا يتركهم هملاً، قال تعالى: ﴿أَيَحَسَبُ ٱلْإِنسَانُ أَن بَتُرَكِهُ مُثَرِكُ سُدًى ﴾ [القيامة: ٣٦].

⁽۱) موسوعة الأعمال الكاملة (٨/ ٤٠٤).

ومن رحمة الله جَلَوَعَلا بهم، أن مَنَّ عليهم، فبعث رُسُلاً مبشّرين ومنذرين، يتلون عليهم آيات ربّهم، ويُعلّمونهم ما يُصلحهم، ويُرشدونهم إلى أسباب سعادتهم في الدنيا والآخرة، وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين (١١).

أ- قطع المعاذير في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّ بَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةُ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥].

ب- إزاحة الغفلة والإعداد للهداية:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۗ ﴾ [البقرة: ١١٩].

وقال تعالى: ﴿يَكَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى ا ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٦،٤٥].

وقال تعالى: ﴿مِنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلْذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس: ٢].

جـ- رفع الاختلاف ورد الناس إلى أصول يتفقون عليها:

قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةَ وَحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّنَ مُبَثِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَبِيِّنَ مُبَثِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

د- إقامة القسط بين الناس:

قال تعالى: ﴿لَقَدُ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥].

⁽١) نوح والطوفان العظيم، ص٨١.

فهدف الرسل والرسالات السماويّة كلّها: إقامة العدل بين الناس، وليس المراد إقامة التعادل والتوازن بين بعضهم البعض فقط، بل بين القِيَم بعضها وبعض، والفضائل بعضها وبعض، والحقوق بعضها وبعض، فلا ينبغي أن يطغى حقّ على واجب، ولا أن يطغى رجل على امرأة، ولا أن يطغى حاكم على محكوم، ولا أن يطغى الفرد على المجتمع، والمجتمع على الفرد، أو أن تطغى المعاني الرُّوحيّة يطغى المعانى المادّيّة، أو المادّيّة على الرُّوحيّة، إنّه التوازن، إنّه العدل الذي جاء به

الرسل جميعاً: ﴿ أَلَّا تَطْعَوَا فِي ٱلْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْمِيرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴾

[الرحمن: ٨، ٩]. لا طغيان، و لا إخسار، و لا تطفيف، و لا إفراط، و لا تفريط(١).

هـ- الأسوة الحسنة:

إنَّ مهمّة الرسل (صلوات الله وسلامه عليهم) هي الدعوة إلى الله، وإلى الحقّ والخير، وتحويل هذه الدعوة إلى عمل، وسلوك، وتطبيق، ليقتدي الناس بهم.

- قال تعالى: ﴿ أُوْلَدَيِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ فَبِهُ دَلْهُمُ ٱقْتَدِهُ ﴾ [الأنعام: ٩٠].
- وقال سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسُوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ اللَّهِ أَسُوةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ اللَّهَ وَالْيَوْمَ اللَّهَ عَلَيْكُ اللَّهَ كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ اللَّهَ عَلَيْكُ اللَّهَ عَلَيْكُ اللَّهَ عَلَيْكُ اللَّهَ عَلَيْكُ اللَّهَ عَلَيْكُ اللَّهَ عَلَيْكُ اللَّهَ عَلَيْكُ اللَّهَ عَلَيْكُ اللَّهَ عَلَيْكُ اللَّهَ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلّهُ عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَالْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَ

وإن هذه أهم المهمّات التي يقوم بها الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في هداية الناس إلى الحقّ والخير، وتَحذيرهم من الباطل والشرّ، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [الكهف: ٥٦](٢).

⁽¹⁾ موسوعة الأعمال الكاملة (٨/ ٤٠٩).

⁽٢) المصدر السابق نفسه.

تاسعاً: وظائف الرسل:

إنّ لإرسال الرسل عَلَيْهِ وَالسَّلَامُ غايات عظمى، وأهدافاً سامية، وقد أجمل بعضها في الأمور الآتية:

- تبليغ الشريعة الربّانيّة إلى الناس.
 - تبيين ما أنزل من الدين.
- دلالة الأمم على الخير، وتبشيرهم بالثواب المعدّ إلى ما فعلوه وتحذيرهم من الشرّ وإنذارهم بالعقاب المعدّ إن اقترفوه.
 - إصلاح الناس بالقدوة الطيّبة، والأسوة الحسنة في الأقوال والأعمال.
 - إقامة شرع الله بين العباد وتطبيقه.
 - شهادة الرسل على أممهم يوم القيامة قد بلغوهم البلاغ المبين.

هذه بعض وظائف ومهام المرسلين، والتي تزيدهم شرفاً إلى شرفهم، وفضلاً إلى فضلهم، ويكفيهم فخراً أنّهم يُبلّغون عن ربّ العالمين، فسبحان مَن خَصّهم بهذه الرتبة العليّة، ومنَحهم هذه الوظيفة السنيّة، واصطفاهم واختارهم من بين سائر عباده، ليقوموا بهذه الخدمة المرضية (۱)، ويمكن التوسّع في وظائف الرسل بالرجوع إلى كتابي (نوح عَيْمَالسَّكُمُ والطوفان العظيم).

عاشراً: أمور تَفرّد بها الأنبياء والرُّسل عَلَيْهِ السَّلَمْ:

من الأمور التي اختص الله بها أنبياءَه ورُسله دون العالمين، هي:

⁽۱) النبوات، ابن تيمية، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ۲۰۰٦م (۱/ ۲۸ - ۲۹).



أ- الوحي:

خصّ الله الأنبياء دون سائر البشر بوحيه إليهم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرُ مِّنْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَى اَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحِدٌ ﴾ [الكهف: ١١٠].

وهذا الوحي يقتضي عدّة أمور، يقارفون بها الناس، فمِن ذلك تكليمُ الله بعضهم، واتصالهم ببعض الملائكة، وتعريفُ الله لهم شيئاً من الغيب، يقول الله تعالى: ﴿عَلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ ٓ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولِ فَإِنّهُ وُ يَسُلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَصَدَا ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٦].

ومن ذلك الإسراءُ بالرسول صَلَّاللَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى البيت المقدس، والعروج به إلى السماوات العُلا، ورؤيته الملائكة والأنبياء، واطّلاعه على الجنّة والنار، ومن ذلك رؤيته للمعذّبين في قبورهم، وسماعه تعذيبهم، وفي الحديث: «لَوْ لَا أَنْ لا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِن عَذَابِ القَبْرِ»(١).

ب- الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم:

ممّا اختصّهم الله تعالى به أنّ أعينهم تنام، وقلوبهم لا تنام، فعن أنس رَحَوَليَّهُ عَنهُ في حديث الإسراء: «والنبيّ نائمة عينه، ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم»(۲).

وهذا وإن كان من قول أنس إلّا أنّ مثله لا يُقال من قبل الرأي، كما يقول ابن حجر (٣)، وقال صَاَّلِللَّهُ عَلَيْهِ وَسَالَةٍ: «تنام عيني ولا ينام قلبي»(٤).

⁽۱) صحيح مسلم، ك الجنة (٤/ ٢٠٠)، رقم (٢٨٦٨).

⁽٢) صحيح البخاري، رقم (٣٥٧٠).

⁽٣) فتح الباري (٦/ ٦٧٠).

⁽٤) فتح الباري (٦/ ٦٧٠)، رقم (٣٥٦٩).

جـ- الأنبياء لا يُورَثون:

ممّا اختصّ الله به الأنبياء والرسل عَلَيْهِ مَالسَّلَامُ أَنَّهم لا يُورَثون، بل ما تركوه من الأموال يكون صدقة من بعدهم، فعن عائشة رَخَوَلِيَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رسول الله صَالَتَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكُنَا صَدَقَةً »(۱).

وإن الحكمة من ذلك: أنّ الله تعالى صان الأنبياء عن أن يُورِّ ثوا دَيناً، لئلّا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوّتهم بأنّهم طلبوا الدنيا وخلَّفوها لورَثَتهم (٢).

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ ﴾ [النمل: ١٦]، فالمراد بهذا الإرث: العلم والنبوّة والملك، وليس المراد وراثة المالك، لأنّه قد كان له بنونٌ غيره، فما كان ليُخصَّ بالمال دونهم، ولأنه قد ثبت في (الصحاح) من غير وجه، عن جماعة من الصحابة أنّ رسول الله صَالَتَهُ عَلَيْهِ وَسَلَمٌ قال: ﴿ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ».

وفي لفظ: «إنّا معاشر الأنبياء لا نورَث»، فأخبر الصادق المصدوق أنّ الأنبياء لا تورَث أموالهم عنهم كما يورَث غيرهم، بل تكون أموالهم صدقة من بعدهم على الفقراء والمحاويج، لا يخصُّون بها أقرباءهم، لأن الدنيا كانت أهون عليهم وأحقر عندهم من ذلك، كما هي عند الذي أرسلهم واصطفاهم وفضّلهم "".

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالِ يَعْقُوبَ ﴾ [مريم: ٦]، ليس المراد به إرث المال، إنّما إرث العلم والنبوّة، وفي الحديث: «وإنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنّما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظّ وافر »(٤).

⁽١) صحيح البخاري، رقم (٦٧٣٠).

⁽٢) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (٤/ ١٩٥).

⁽٣) البداية والنهاية (٢/ ١٧).

⁽٤) العصمة في عقيدة أهل السنة، ص٤٢.



د- تخيير الإنسان عند الموت:

ممّا تفرّد به الأنبياء أنّهم يُخَيَّرون بين الدنيا والآخرة، فعن عائشة وَعَلَيْهُ عَهَا قالت: "سمعت رسول الله صَّالِللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما من نبيّ يمرض إلّا خُيِّر بين الدنيا والآخرة»، وكان في شكواه الذي قُبِض فيه أخذته بحَّةُ شديدةٌ، فسمعته يقول: ﴿مَعَ اللّهَ عَلَيْهِم مِّنَ النّبِيتِ نَ وَالصِّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّلِحِينَ ﴾ [النساء: ٦٩]، فعلمتُ أنّه خُيِّر "(۱).

هـ- لا تأكل الأرض أجسادهم:

إن من إكرام الله لأنبيائه ورُسله عَلَيْهِ وَأَسَلَامُ، أَنَّ الأَرض لا تأكل أجسادهم، فمهما طال الزمان، وتقادم العهد تبقى أجسادهم محفوظة من البَلى، وفي الحديث: «إنّ الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»(٢).

و- العِصمة:

العصمة من الأمور التي خصّ الله تعالى بها أنبياء ورُسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ دون سائر الناس، وقد عَرِّفها الراغب الأصفهانيّ في المفردات، فقال: حِفظه إيّاهم أوّلاً بما خصّهم به من صفاء الجوهر، ثمّ بما أولاهم من الفضائل الجسميّة، والنفسيّة، ثمّ بالنُّصرة، وتثبيت أقدامهم، ثمّ بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم، وبالتوفيق (٣).

وقد أخذ الحافظ بن حجر التعريف بشيء من التصرّف، فقال في الفتح: وعصمة الأنبياء (على نبيّنا وعليهم الصلاة والسلام) حِفظهم من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات النفسيّة، والنصرة والثبات في الأمور، وإنزال السكينة(٤).

⁽١) صحيح البخاري، ك التفسير، رقم (٤٥٨٦).

⁽۲) سنن أبي داود، رقم (۱۰٤٧).

⁽٣) مفردات ألفاظ القرآن، ص ٣٣٧.

⁽٤) فتح الباري (١١/٥١).

ومن خلال معرفة الرسالة، والنبوّة، وصفات الأنبياء والمرسَلين عَلَيْهِمْ السَّلَامُ، والحكمة من إرسالهم، ووظائفهم، وما تفرّدوا به، نتعرّف على صفات صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ أكثر، والحكمة من إرساله، والوظائف التي قام بها، وما تفرّد به خلال دعوته لهم.

حادي عشر: وفاة صالح عَلَيْهِ السَّلَام، وحجّه قبل وفاته:

قال بعض المفسّرين: إنّ صالحاً والذين آمنوا معه، ذهبوا بعد هلاك قومهم إلى ناحية فلسطين. ويقول أهل حضرموت: إنّهم ذهبوا إلى حضرموت، وأقاموا بها، لأنّ أصلهم من تلك الناحية، أو هي فصيلة من أهل الأحقاف، وهناك قبر يزعمون أنّه لصالح عَلَيْهِ السَّكَمُ.

وقال آخرون: إنّهم أقاموا في ديارهم بعد هلاك قومهم (۱). وآخرون قالوا: إنّهم ذهبوا إلى مكّة، وأقاموا بها إلى أن ماتوا، وقُبورهم غربيّ الكعبة (۲). ورجّح الشيخ عبد الوهّاب النجّار رَحَمُ أُللَّهُ: من هذه الأقوال ما قال فيه: وأقرب الأقوال عندي إلى التصديق، أنّهم ذهبوا إلى الرملة ونواحي فلسطين، لأنّها أقرب بلاد الخصب إلى العربي إنّما يطلب الكلاء لرعي ماشيته، والأرض ذات الماء. وقال الآلوسي: إنّ الذين نجوا مع صالح كانوا مئة وعشرين، أمّا الهالكون فكانوا خمسة آلاف بيت (۳). وهذه الأقوال ليس عليها دليل صحيح، وإنّما من أقوال المؤرّخين وبعض المفسّرين.

⁽١) قصص الأنبياء، عبد الوهاب البخار، ص١٠٨.

⁽٢) المصدر السابق نفسه.

⁽٣) المصدر السابق نفسه.



وقيل إنّ صالحاً عَينهِ السَّالَمُ توفّي وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة، وأقام في قومه عشرين سنة (۱). وليس في ذلك أيُّ دليل صحيح. وقال ابن كثير رَحَمُ اللَّهُ: ويُقال إنّ صالحاً عَينهِ السَّلَمُ انتقل إلى حَرم الله، فأقام به حتّى وفاته (۱). ومن حديث ابن عبّاس وَعَالِللهُ عَنْهُا قال: لما مرّ رسول الله صَلَّاللَهُ عَلَيهِ وَسَلَّهُ بوادي عُسْفان (۱)، قال: لقد مَرَّ به هودٌ وصالحٌ على بكراتٍ (۱) حمرٍ، خُطُمها (۱) اللّيف، أُزُرُهُمْ العَبَاءُ، وأرديتهم النّمارُ (۱)، يُلبُّونَ يحجُّونَ البيتَ العتيقَ (۱).

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين)

﴿ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿ وَسَلَاهُمْ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْمَالِينَ ﴿ وَالْصَافَاتِ: ١٨٠-١٨٢].



⁽١) أحسن القصص، نائلة هاشم صبري، ص١٣٤.

⁽٢) قصص الأنبياء، ابن كثير، ص١٣٠.

⁽٣) اسم موضع بين الجحفة ومكة على طريق المدينة إلى مكة المكرمة

⁽٤) بكرات: جمع بكرة، وهي الفتية من الإبل.

⁽٥) الخطم: جمع خطام، وهو الحبل الذي تقاد به الناقة.

⁽٦) النمار: جمع (نمرة)، وهي الشملة المخططة من مآزر الأعراب كأنها أخذت من لون النمر.

⁽٧) الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إبراهيم محمد العلي، ص ٥٤، مسند أحمد (١/ ٢٣٢)؛ قصص الأنبياء، ابن كثير، ص ١٣١، إسناده حسن.

الخلاصت

كان عناد قوم ثمود، واستكبارهم على دعوة نبيهم صالح عَلَيْ الله أنه أنها رئيسيًا ويسبًا ويسبًا ويسبًا وي إهلاكهم، وانتقام الله منهم. فقد أفسدوا في الأرض وكفروا بأنعم الله، فجاءت قصة صالح عَلَيْوالسَّكَمُ في القرآن الكريم وافيةً وكافيةً لتُدلل على قدرة الله وعظمته، وإمهاله، وبطشه بالقوم المستكبرين والظالمين. وإن القرآن الكريم رفض الاستكبار أربعين والظلم والعدوان في أكثر من موضع، حيث وردت الإشارة إلى الاستكبار أربعين مرة، وإلى العدوان سبعًا وستين مرة، ضمن سياق استنكاري صارم، ونهي قاطع عن ارتكابه. وقد اقترنت هذه الألفاظ بالإثم، والبغضاء، وسوء العاقبة، كما في قوله تعالى: ﴿مَا ضِوْمِ مَن عَلَيْقِ ٱللَّذِينَ يَتَكَبّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِعَيْرِ ٱلْحَقِ وَإِن يَرَوُا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف: ١٤٦]. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلُ ذَلِكَ عُدُونًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصُلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عُدُونًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصُلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيلًا ﴾ [النساء: ٣٠].

وفي الختام، وبعد الانتهاء من عرض قصة نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَمُ بكامل تفاصيلها كما جاءت في كتاب الله العزيز، وبعد الوقوف على أهم التفاسير والمصادر التي تناولت دراسة قصته عَلَيْهِ السَّلَمُ مع قومه، ووقفت على أهم دُروسها وعبرها وفوائدها، يمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية:

١. إن قوم ثمود قد أهلكتهم صفات الاستكبار والعلو والظلم والعدوان، وهي الصفات التي تكررت في سير الأقوام التي طغت وأعرضت عن دين الله.

٢. يُنسب الثموديّون إلى ثمود بن عائر بن إرم بن سام، ويذهب بعض المؤرّخين إلى أنّ ثمودَ، إنّما هو أخو (جديس، وطسم)، وأنّهم أبناء عابر بن إرم بن سام بن نوح.



٣. اتفق المؤرخون على أن قوم ثمود كانوا من العرب العاربة، واختلفت آراؤهم بعد ذلك حول أصولهم وموطنهم الأصلي، حيث يعتقد فريق منهم أنهم بقية من قوم عاد الذين نشؤوا في اليمن، ثم انتقلوا إلى منطقة الحِجر بعد أن غلبهم الحِميريون.

٤. أظهرت الدراسات الأثرية أن الكتابات المنقوشة على الصخور تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد واستمرت حتى القرن الخامس الميلادي، مما يشير إلى أن قوم ثمود عاشوا على مسرح التاريخ لمدة ثلاثة عشر قرناً. ويُقال إن هلاكهم حدث قبل الميلاد بتسعة عشر قرناً، أي قبل قرابة خمسة قرون من هلاك قوم عاد.

٥. إن هلاك قوم ثمود، حدث قبل الميلاد بتسعة عشر قرناً، أي: قبل قرابة خمسة قرون من هلاك قوم عاد (بين عامي ٢٠٠٠-١٩٠٠ ق.م) على وجه التقريب.

7. قوم ثمود خلفاء لقوم عاد في الحضارة والعمران، واتخذوا من السهول قصوراً ومن الجبال بيوتاً، ويشهد على ذلك ما تبقى من آثارهم التي تدل على براعتهم في نحت الصخور وبناء المدن. وكانوا أول من نحت الجبال، واتخذها مساكن، مما يدل على ذكائهم وشدة حذقهم في العمارة.

٧. إن قوم ثمود هم خلفاء عاد في القوة والصلابة، وكانت أجسامهم مفرطة في الطول والعظم، ممّا مكّنهم من تقطيع الصخور ونحتها واتخاذها مساكن.

٨. في الجانب العقائدي، عبدت ثمود الأصنام كما فعلت عاد، وعبدت ثمود ما يُقارب الأربعين صنماً منها (ود) و (جد) و (هد) و (شمس) و (مناة) و (اللات) وغيرها، حيث أشركوها مع الله في العبادة. وكان طغيانهم شاملاً في جميع نواحي الحياة، من عقائد وسلوكيات، واقتصاد وسياسة، حيث عمّ الفساد في مجتمعهم. ولكن أعظم فسادهم كان الفساد العقدي، حيث وقعوا في الكفر والشرك، وهو الفساد الذي قادهم إلى الهلاك المحتوم.

الخلاصة

9. إن دين الله هو منهج شامل للحياة، إذ يقتضي أن يكون السلطان كله في شؤون البشر بيد الله وحده، وهذا هو جوهر عبادة الله وحده، ومعنى عدم وجود إله سواه.

• ١٠. دعا نبي الله صالح عَلَيْوالسَّلَمُ قومه إلى عبادة الله وحده، وإفراد الله بالعبادة، وتحقيق التوحيد ورفض الشرك بكافة أشكاله. ولما انحرفت البشرية عن العقيدة الصحيحة بعد نبي الله هود عَلَيْوالسَّلَمُ، أرادت رحمة الله أن يرسل صالحاً عَلَيْوالسَّلَمُ، مبشراً بالحق في ميدان التشريع.

١١. بعث الله نبيه صالحاً عَلَيْهِ السَّكَمُ، حينما عمّ الفساد؛ ليُبشّر بالخير والحقّ والعدل، وبدأ سيّدنا صالح عَلَيْهِ السَّلَمُ بالتوحيد، وهو جوهر الرسالات السماويّة جميعاً.

11. أرسل الله صالحاً عَلَيْهِ السَّكَمُ في زمنٍ عمّ فيه الفساد، ليبشّر بالخير والحق والعدل. بدأ نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ دعوته بالتوحيد، الذي يمثل جوهر الرسالات السماوية كافة.

17. توافرت في نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّاصَةُ الأنبياء وعلاماتُهم من الخُلق الكريم، وحب الخير، والابتعاد عن المعاصي. وعندما استكمل الله إعدادَه، جاءه الوحيُ، وهي سنة الله في أنبيائه، إذ عندما تصل نفوسُهم إلى درجة استعدادها لتلقي الوحي، يُفاجؤون به.

14. التوحيد الذي جاءت به الرسالات السماوية يمكن تلخيصه في كلمة موجزة وهي "لا إله إلا الله"، التي تُعرف أيضًا بكلمة التوحيد، أو كلمة الإخلاص، أو كلمة التقوى.



١٥ إن المعنى الحقيقي للتوحيد هو: علم العبد واعتقاده واعترافه بتفرد الله؛
 بكل صفة كمال، وأنه لا شريك له و لا نظير في كماله، وأنه هو الإله المستحق للعبادة.

17. الله لا شريك له في ذاته ولا في صفاته، ولا في عبادته ومعاملته سُبْحَانهُوَتَعَالَى. هذا التعريف يستند إلى دلالة واضحة لمعنى "لا إله إلا الله"، حيث تدلّ بالمطابقة على تفرده في الألوهية، فلا تُصرف العبادة إلا له، وبالالتزام على تفرده في الربوبية، كما تدل على اتصافه بكافة صفات الكمال والجلال.

1۷. كان نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَمُ يدعو قومه، كما أمره الله وكما أمر غيره من الأنبياء الكرام، إلى إفراد الله وحده بالعبادة، وعدم عبادة غيره، وعدم الدعاء أو الاستعانة أو الاستغانة إلا به، وألا يُنذر أو يُذبح إلا له.

11. في قصة نبي الله صالح عَلَيْوالسَّلام، نجد دعوته تركز على أهمية معرفة أسماء الله تعالى وصفاته، ليحمده العبد، ويُمجّده ويثني عليه، ويسأله المغفرة والرحمة، ويتوب إليه.

19. عندما يؤمن الإنسان بالتوحيد، لن ينظر إلى غير الله، فيكون خوفه منه، ورجاؤه فيه، وثقته به، واتكاله عليه. وإذا اعتقد بالتوحيد، سيرى أن كل ما سوى الله مسخر لله، وسيشعر بالتحرر من ذلّ العبودية لغير الله، لأن كل مخلوق مُسخّر لله. وقد اجتمعت آيات الكتاب الكريم وأحاديث الرسول صَلَّاتَتُهُ عَلَيْهُ وَسَلَّمَ على دعوة البشرية إلى التوحيد لتحررها من رقّ العبودية.

٢٠. إن التأمل في قصة نبي الله صالح عَلَيْوالسَّلامُ ودعوته لقومه يبرز عظمة هذا النبي في أدائه لمهمة التبليغ، حيث مكث في قومه متحملاً الأذى والعناد والجحود، عسى أن يستجيبوا لدعوته.

٢١. كانت دعوة نبي الله صالح عَلَيْ السَّلَامُ دعوة للتوحيد الخالص وتحقيق عبودية الله تعالى، وترك عبادة الأصنام، كما جاء في قوله: ﴿ أَعۡبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

٢٢. يُقال عن الناقة بأنها "ناقة الله" لأنها جاءت من عند الله بطريقة غير معتادة، حيث خرجت من صخرة، وكانت عظيمة وهائلة، تختلف عن سائر النوق، والله أعلم.

٢٣. إن آيات النبوة هي الأدلة والبراهين على صدق الرسل فيما يدعون إليه،
 لأن الرسالة أمر خطير يترتب عليه صلاح البشر في معاشهم ومعادهم.

7٤. من حق الناس أن يطالبوا من يدّعي الرسالة بإثبات صدقه وتأييد دعوته. والبراهين على ذلك كثيرة؛ فعلم الرسول وسلوكه المستقيم وسيرته الحسنة بين قومه تُعدّ آيات على صدقه. وكذلك دعوته إلى الله وحده دون أن يطلب أجرًا من الناس، تُعدّ دليلًا على صدقه. وما يسميه القرآن "آيات" هو مصطلح علماء التوحيد "المعجزات".

٢٥. يجب على المؤمن الإيمان بمعجزات الأنبياء عموماً، لأنّ القرآن الكريم أخبرنا بوقوع الكثير من المعجزات على يد الأنبياء عَلَيْهِ وَالسَّلَامُ.

٢٦. من أنكر وقوع المعجزات أو الآيات التي أثبتها القرآن الكريم للأنبياء فهو كافر، لأنه أنكر ما ثبت بنصّ القرآن الكريم، وهو كتاب لا ينطق إلا بالحقّ: ﴿وَمَا يَطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْئُ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤].

٢٧. ذكّر نبي الله صالح عَلَيْوالسَّلامُ قومه بفضل الله عليهم من خلال استخلافه لهم بعد قوم عاد، حتى وإن لم يكونوا في أرضهم ذاتها، حيث يبدو أنهم كانوا



أصحاب الحضارة العمرانية التالية في التاريخ لحضارة عاد. وقد امتد سلطانهم إلى ما بعد الحجر، فصاروا خلفاء ممكّنين في الأرض، محكّمين فيها.

۲۸. جمعت الحضارة الثمودية بين رفاهية العمران وفخامته، وبين إنشاء الحدائق وغرس الجنان.

٢٩. الإعراض عن عبادة الله تعالى ودينه وشرعه يؤدي إلى نشر الفساد، رغم أن نعم الله كثيرة والأرض صالحة للعيش الكريم والسعيد. فلا تفسدوها بموالاة الشيطان واتباع الشهوات والأهواء.

• ٣٠. كان قوم ثمود امتداداً لقوم عاد، وقد منحهم الله تعالى القوة والمال، فشيدوا المدن وأقاموا القصور والعمران، ونحتوا الجبال لتكون حصوناً تحميهم من غوائل الدهر. فتحوا الطرقات وغرسوا الحدائق وفجّروا العيون، وظنوا أنهم خالدون في هذه الحياة، وغفلوا عن الله تعالى، وعبدوا الأصنام والأوثان. فأرسل الله إليهم نبيهم صالح عَيْمُ السَّدُ مسيرتهم ويُصحّح عقيدتهم ويُرشدهم إلى الطريق السوي، إلا أنهم أبوا وأصروا على الكفر والعناد.

٣١. حارب نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ الفساد العقدي والاجتماعي والسياسي بكافة أشكاله، من الشرك والأذية للخلق. فرسالة الأنبياء والمرسلين تهدف إلى محاربة الفساد والتصدي له والعمل على تقليصه وتخليص الناس منه بما استطاعوا.

٣٢. انشقّت الأرض أمام قوم ثمود واهتزت، وسمعوا صوتاً عالياً من انشقاقها وصيحة مدوّية، وهذه الصيحة المدوّية كانت تنتج عنها رجفة قوية، والرجفة تعني الحركة والإضطراب الشديد.

٣٣. كانت نصيحة نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ في حياته صادقة، وأصبحت نموذجاً يُحتذى به عبر الأجيال، لكل مصلح وداعية في الحرص على الإخلاص في النصيحة، والعلم بما ينصح به، واللين والرفق في تقديم النصيحة.

٣٤. يؤكد الأنبياء جميعاً في رسالاتهم على حقيقة التوحيد ووحدانية الله و تفرده بالعبادة، والتوجّه إليه في كل شيء.

٣٥. انحرف قوم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ عن التوحيد وإفراد العبادة لله عَرَّفِجَلَّ بسبب العناد والاستكبار والظلم والطغيان المادي والإسراف والفساد. ونسوا عبادة الله في خضم انشغالهم بالماديات من قصور في السهول وبيوت في الجبال، ولم يشكروا الله على آلائه ونعمه العظيمة. فذكّرهم نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ بضرورة التوجه لعبادة الله وحده، ودعاهم إلى الاستغفار والتوبة والرجوع إلى الرب القريب المجيب.

٣٦. بيّن نبي الله صالح عَلَيْهِ الله عَنَوْجَلَّ الذي دعاهم لتوحيده وإفراده بالعبودية هو الذي خلقهم من الأرض بخلق أبينا آدم منها.

٣٧. عرّف نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ قومه بما غُرس في فطرتهم، وبما ينبغي أن يكون معلوماً بالضرورة، لأن كل دين ذكر بهذه الحقيقة حتى أصبحت جزءاً من الثقافة والمعلومات المتناقلة والمتداولة.

٣٨. المقصد العام للشريعة الإسلامية هو: عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كُلفوا به من عدل واستقامة، وصلاح في العقل والعمل، وإصلاح في الأرض، واستنباط خيراتها، وتدبير لمنافع الجميع.



٣٩. كانت المنظومة المقاصدية حاضرة في دعوة نبي الله صالح عَلَيْوالسَّلامُ لتحقيق توازن التديّن والعمران، فدعوة الأنبياء، ومنهم صالح عَلَيْوالسَّلامُ، تسعى إلى صلاح الإنسان في داخله بالتقديس والتسبيح وتحقيق التوحيد وإفراد العبادة لله وفق منهجه، والاعتقاد الذي جاءت به رسله، وعمارة الكون لتحقيق العمران والاستخلاف.

- ٤. دعا نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ قومه إلى التوبة، والله عَزَّقِجَلَّ من أسمائه (التواب). والتوبة هي من شرائع الله الخالدة، وهي من الأحكام الشرعية للإنسان على مر الأزمان، وقد دعا إليها الأنبياء والرسل.
- ا ٤. لا يكون الإنسان تائباً بمجرد الإقلاع والعزم والندم، بل يجب أن يكون لديه العزم الجازم على تنفيذ ما أُمر به والقيام به. وهذه هي حقيقة التوبة، والتي تتضمن مجموع هذين الأمرين.
- 21. دعا نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ قومه إلى الاستغفار والتوبة، وحثهم على اللجوء إلى الله، مبيناً لهم أن ربهم قريبٌ مُجيب. ولكن ردّ قومه كان الإنكار والتوبيخ والصد والرفض.
- 28. تُعد العقائد الباطلة الراسخة، المأخوذة عن الآباء أو غيرهم ممن يُحسن بهم الظن، من أكبر موانع قبول الحق. وقد كانت جميع الأمم المكذّبة ترفض دعوة الرسل، قائلين: ﴿إِنَّا وَجَدُنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٓ أُمَّةِ وَإِنَّا عَلَىٓ ءَاثَرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]. وهذا هو سبيل أهل الباطل في كل زمان، حيث يتعلقون بأوهى الحجج لتبرير اتباعهم للآباء.
- ٤٤. رفضت ثمود دعوة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ بحجج واهية، وتقليد أعمى رسخ في النفوس، وهذا التقليد الأعمى هو ما أضرّ بالكثيرين.

الخلاصة

23. اختار الله عَرَّفِجَلَّ الناقة لتكون معجزة نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، لذلك نسبها صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الله (ناقة الله). وعلى الرغم من أن كل شيء من المخلوقات منسوب إلى الله، فإن اختيار الناقة لتكون معجزة كان له فضل خاص في النسبة إلى الله، فكن قوم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يستجيبوا للترغيب أو الترهيب أو النهي عن مساس ناقة الله، بل قاموا بعكس ما أُمروا به.

23. يَرِد في القرآن الكريم الاقترانُ بين اسم الله (القوي) واسم الله (العزيز) في سبع آيات. وهذا الاقتران يدل على أن العزة التي يتضمنها اسم الله (العزيز) تشمل عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع. ووصف الله بالقوة يرجع إلى كمال عزة الله تعالى.

28. من آثار الإيمان باسم الله (القوي) سُبَحَانَهُ وَتَعَالَى، التواضع لله ولخلقه، والشعور بالضعف أمام قوة الله عَرَّوَجَلَّ، والتوكل على الله وحده، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. كما يتضمن الإيمان الاستخفاف بقوة المخلوق والثقة في نصر الله عَرَّفَجَلَّ وكفايته للمؤمنين. مهما كانت قوة الكافرين وعددهم وعنادهم، فإن الله فوقهم ونواصيهم بيده، وقوّتهم لا تساوي شيئاً بجانب قوة الله تعالى.

٤٨. تدخل ثمود في سلسلة الأقوام التي لعنها الله تعالى، وجاء اللعن بصيغة الإبعاد: ﴿أَلَا بُعُدَا لِتُمُودَ ﴾ [هود: ٦٨]. فقد ارتكبت ثمود أعمالاً استحقّت بها لعنة الله، من كفر وجحود وعناد واستكبار، وعجّلت بالعذاب، وكذّبت نبيّها وحاولت قتله، وتطاولت عليه بالاتهامات، فتارة رميته بالسحر وتارة بالكذب.



- 29. كذّب قوم صالح عَيْدِالسَّكَمُ -وهم أصحاب الحجر- رسولهم صالح عَيْدِالسَّكَمُ. ومن كذّب نبيّاً واحداً فكأنه كذّب الأنبياء جميعاً، ومن قتل نفساً فكأنه قتل الناس جميعاً. القاعدة ذاتها تنطبق هنا.
- ٥٠. إن تكذيب رسول واحد يعني تكذيبا لجميع الرسل، ولا يصح الإيمان بمن يؤمن ببعض الرسل ويكفر بالبعض الآخر. من ينكر نبوّة أي نبيّ من الرسل المذكورين في القرآن الكريم يكون كافراً، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.
- ۱٥. لم يُكذّب قوم صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ سوى نبيهم صالح، ولكن بما أن صالحاً كان يمثل جميع الرسل، فقد قيل إنهم كذّبوا المرسلين جميعاً، وهذا توحيد للرسالة وللرسل وللمكذّبين في كل عصر وكل مكان.
- ٥٢. سورة الشعراء مكية، وتحتوي على سبع وعشرين ومائتين (٢٢٧) آية. وقد تناولت أصول الدين من التوحيد والرسالة والبعث، شأنها شأن السور المكية التي تركز على العقيدة وأصول الإيمان.
- ٥٣. منع انحراف قوم صالح وتوجههم نحو الشرّ من رؤيتهم للأمور بشكل صحيح، وخلق فيهم روح التحدّي التي بلغت ذروتها. وجاء صالح برسالته السماوية لإصلاح تلك النفوس الملتوية.
- ٤٥. أعرض قوم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ عن عبادة الله تعالى وأنكروا البعث، وتبعهم أئمة كفرهم في ذلك. فبعث الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ لتذكيرهم بنعمة الله عليهم، بما مكّنهم من خيرات وسخر لهم من أعمال عظيمة، ورفع شأنهم إلى درجة من يظن الخلود.
- ٥٥. تعكس القراءتان الصحيحتان (فارهين، فرهين) تحقيق اجتماع معنييهما عند قوم ثمود. فقد كانوا في نحت البيوت فارهين، ماهرين، ثم أصبحوا بعد

ذلك فرهين، أي أشِرين وبطرين. لم تقتصر مساكن ثمود على البيوت المنحوتة في الجبال، بل توسعوا في التقدم العمراني، فأنشأوا القصور الفخمة في السهول.

٥٦. تشير آيات القرآن إلى التقدم الحضاري عند ثمود في العمران والبناء والزراعة. فقد شيّدوا القصور والحدائق والعيون، وبنوا البيوت في الجبال، ونشأ على إثر ذلك نظام اجتماعي مؤسس على طبقتين: طبقة المستكبرين وطبقة المستضعفين.

٥٧. الفساد والإفساد محظوران في التشريع الإلهي، وقد حذّر منهما الأنبياء والرسل. وجاء القرآن الكريم لتأكيد تحريمهما، كما قال تعالى:

﴿ وَلَا تُقْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦].

٥٨. جميع الدجالين ومدّعي النبوة يخففون التكاليف عن أتباعهم. فقد أسقطوا الزكاة قديماً، وأباحوا الحرام والفساد حديثاً. وهذه تصرفات لا تستقيم؛ ليس هؤلاء سحرة أو مسحورين، بل هم مجرد كذب وافتراء على أنبياء الله ودعاة الخير في كل زمان ومكان.

- ٥٩. اسم الله العزيز يشير إلى العزة الكاملة، عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، التي لا يمكن أن ينالها أحد من المخلوقات. وقهر الله تعالى لجميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته.
- ٦٠. لخص القرآن رسالة نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ في جملة واحدة: ﴿ أَنِ اعْبُدُواْ
 الله ﴿ وَالله ﴿ وَالله ﴿ وَالله ﴿ وَالله ﴿ وَالله ﴿ وَالله ﴿ وَالله ﴾ وَالله ﴿ وَالله ﴾ وَالله ﴿ وَالله ﴿ وَالله ﴿ وَالله ﴿ وَالله ﴿ وَالله ﴿ وَالله ﴿ وَالله ﴿ وَالله ﴿ وَالله وَالله ﴿ وَالله وَاله وَالل



11. التطير هو التشاؤم، وهو مأخوذ من عادة الأقوام الجاهلة التي تتبع الخرافات والأوهام، إذ لا تخرج منها إلى نور الإيمان. فكان الواحد منهم إذا هم بأمر ما، لجأ إلى طائر فزجره -أي: أشار إليه مطارداً فإذا مر الطائر سانحاً عن يمينه إلى يساره استبشر، وواصل في الأمر. أما إذا مر الطائر بارحاً عن يساره إلى يمينه، تشاءم وتوقع الضر.

77. بُغضُ أهل الفساد للمصلحين، واستهزاؤهم، بالناصحين موجود في كل زمان، لأن الناصح المصلح يهدم معاقل المفسدين بكلماته الطيبة، ويعدد مصالحهم وشهواتهم بإنكاره للمنكر ونهيه عنه، ودعوته لتوحيد الله وإفراده بالعبادة، ومحاربة الشرك كما فعل نبي الله صالح عَيْداً للسَّكَرُ مع قومه.

77. ترك الله عَنَّهَ عَلَي بيوت ثمود المحفورة في الغالب سليمة خالية من أهلها بسبب ظلمهم، لتكون آية وعبرة للأجيال اللاحقة. لتكون هذه البيوت إنذاراً لمن بعدهم حتى لا يكفروا مثلما كفروا، وإلا سينالون العذاب الذي نزل بهم. ولا يزال الناس يرون هذه البيوت المحفورة في الجبال إلى عصرنا هذا.

37. وصف القرآن أحوال قوم صالح وأعمالهم بالظلم، لأن ظلمهم شمل عدة جوانب: الظلم الذي بينهم وبين ربهم بسبب إشراكهم به في العبادة، والظلم الذي كان بينهم وبين نبيهم والمؤمنين، والظلم الذي كانوا يرتكبونه بحق أنفسهم بحرمانها من الإيمان بالله وآياته ورسله.

70. كان العقاب جماعياً، حيث نزل العذاب على جميع كفار ومشركي ثمود، وعلى من نفّذ قتل الناقة، ومن رضي بالقتل والمعصية وسكت عن المنكر. استحقوا العقاب لأن الأمة متضامنة ومتكاتفة في الخير والشر، وإذا سكتت عن منكر كان في استطاعتها أن تقف في وجهه، عاقبها الله بالعقاب الشامل.

77. الحياة الطيبة في الدنيا التي ينالها العامل الصالح وهو مؤمن، لا تنقص من أجره في الآخرة على أحسن أعماله في المخرة. بل وعد الله بأن يكون أجره في الآخرة على أحسن أعماله في الدنيا، وهو جزاء عظيم من رب كريم جواد.

77. من يتق الله؛ باتباع أوامره وترك نواهيه، يجعل له مخرجاً من كل شدّة، ويرزقه من حيث لا يرجو ولا يتوقع، ويبارك له فيما آتاه. ومن يتوكل على الله، أي: من يفوّض إليه أمره، كفاه ما أهمّه.

٦٨. يُخبرنا الله عَنْ عَلَى أن قبيلة ثمود كذّبوا بالعقوبات التي نزلت على قوم نوح وقوم عاد، وكذّبوا أيضاً برسولهم الذي أنذرهم وحذّرهم من عذاب الله، وهو نبي الله صالح عَلَيْهِ السّلامُ. كذّبوا بالعذاب الذي أخبرهم به، واستنكروا دعوته.

79. يجب على الرسول أن يوصي قومه إذا جاءهم رسول جديد، بأن يتبعوه ويؤمنوا به وينصروه. فالعادة أن القوم يتعصبون لرسولهم. لذا، يجب تعليمهم أن الهدف واحد والمنهج واحد، فإذا جاءكم مَن هذه صفته فاتبعوه، ولا تصادموه، لأن جميع الرسل يأخذون من مشكاة واحدة.

٧٠. خلق الله عَنَّوَجَلَّ النفوس، وبين لها طريق الفجور وطريق التقوى، وترك لها حرية الاختيار. جعل الفلاح والفوز لمن زكّى نفسه، والخسار لمن دسّاها.

٧١. جاءت معجزة كل نبي على حسب نبوغ قومه. فجاءت معجزة موسى من نوع السحر الذي نبغ فيه بنو إسرائيل، ومعجزة عيسى مما نبغ فيه قومه من الطلب، ومعجزة محمد صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفصاحة والبلاغة والبيان، لأن العرب لم يُظهروا نبوغاً في غير هذا المجال، فتحداهم بما يعرفونه ويجيدونه ليكون ذلك أبلغ في الحجّة عليهم.



٧٢. طلب قوم ثمود معجزة بعينها، فأجابهم الله وأنزلها لهم، ولكنهم استكبروا عن الإيمان وكفروا بالآية التي طلبوها، بل أكثر من ذلك ظلموا بها، فعقروها. وهذه السابقة مع ثمود هي التي منعتنا من إجابة أهل مكة فيما اقترحوه من الآيات، وليس عجزاً منا عن الإتيان بها.

٧٣. كلمة "إرم" في سورة الفجر ليست اسم مدينة كانت تسكنها عاد، وإنما هي بدل من "عاد"، أو عطف بيان لها، وعاد هي "عاد إرم".

٧٤. كلمة "إرم" في سورة الفجر، ليست اسم مدينة كانت تسكنها عاد، وإنما هي بدل من "عاد"، أو عطف بيان لها، وعاد هي "عاد إرم".

٧٥. حين بعث الله إلى قارون وفرعون وهامان موسى بن عمران بالآيات البيّنات والبراهين الساطعات، لم ينقادوا واستكبروا في الأرض على عباد الله وأذلّوهم، فردّوا الحقّ. فلم يقدروا على النجاة عندما نزلت بهم العقوبة.

٧٦. حذّر الله أهل مكة والناس من أن يفعل بهم ما فعل بالأمم السابقة، الذين كانوا أعظم قوة وتحزّباً على الباطل منهم.

٧٧. دعوة مؤمن آل فرعون، تضمنت تذكيره لقومه بالأمم السابقة، وما حلّ بهم من عذاب وعقاب وهلاك عندما ابتعدوا عن التوحيد ومنهج الله. استخدم حقائق التاريخ في دعوة فرعون وقومه.

٧٨. استخدم مؤمن آل فرعون علم التاريخ، ومعرفته، بتاريخ النبوّات في تحذيره ونصحه لقومه، مبيناً لهم ما حلّ بالأمم التي رفضت البينات، وأظهر لهم ما فعله الله بقوم نوح وعاد وثمود، وما يجب عليهم تذكره لتفادي مصير تلك الأمم.

٧٩. بعد انحراف الإنسانية عن توحيد الله، وتطور البشرية في حياتهم المادية، وضعفهم في قيمهم الروحية، أرسل الله صالح عَلَيْوالسَّكَمُ ليُقيم حجّة الله على الكافرين والمشركين والظالمين، واتبعت سنّة الله في زوالهم وإستئصالهم.

٠٨٠ من أهم أسباب العقاب الإلهي، وهلاك الحضارة التي أنشأتها قبيلة ثمود، هو الكفر بالله.

١٨. وصف قوم ثمو د بالكفر يعني أنهم في تلك الحقبة التاريخية كانوا منفصلين عن الدين وبعيدين عن تكاليف الشريعة ومنهج الله عَرَّيَكَلَ، مما أدى إلى الاستكبار والظلم والانحلال الأخلاقي. فقد مضت فيهم سنة الله بسبب أسباب عدة، منها الكفر بالله عَرَّيَكِلَ، مما استوجب عليهم عذابه بالصّيحة والرجفة والصاعقة والطاغية.

٨٢. أسباب هلاك الأمم السابقة متنوعة ومتعددة، إلا أن أخطرها وأعظمها على الإطلاق هو الشرك بالله جَلَّوَعَلاً. وبسببه لاقت العديد من الأمم مصير الهلاك، واستحقّت العقوبة في الدنيا قبل الآخرة، لتصبح عبرة وعظة لمن يأتي بعدهم.

٨٣. أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن هلاك المكذّبين من الأمم السابقة في العديد من الآيات، وقد دلت بعض تلك الآيات على مطلق التكذيب الذي كان سبباً في هلاكهم.

٨٤. ركز القرآن الكريم في حديثه عن قصص الأمم الهالكة على الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل، وأوردت آيات كثيرة تدلّ على أن تكذيب الرسل كان سبباً رئيسياً في هلاك الأمم السابقة.

٨٥. التكذيب بالآيات من أبرز أسباب هلاك الأمم وأكثرها تكراراً في قصص السالفين. قلّما ترد قصة فيها ذكر أمة دون أن يُذكر فيها التكذيب بالآيات كأحد الشنائع التي ارتكبوها، والتي بسببها استحقّوا الهلاك والدمار.



٨٦. يعد الظلم من أكبر أسباب سقوط الحضارات، وله مفهوم شامل وعريض يؤدي إلى فقدان التوازن في كافة مجالات الحياة. الظلم ينعكس على علاقة الإنسان بنفسه ومع الله ومع غيره، مما يؤدي إلى ظهور ظواهر نفسية واجتماعية واقتصادية مرضية، ويخلق تصورات فاسدة عن الوجود، فيعم الفساد الإنسانية بأسرها.

۸۷. استفحل الظلم في قوم ثمود، وظهرت آثاره بوضوح على مستوى المجتمع، حيث ارتكبوا كل أنواع الظلم واستمروا عليه. ونزل العقاب الرباني بقوم ثمود بسبب هذا الظلم.

٨٨. الاستكبار والتعالي من أبرز أسباب سقوط الحضارات التي ذُكرت في القرآن، عندما وصل أهلها إلى درجة عالية من اليقين بتفوّقهم وتميّزهم على غيرهم من البشر، ورفضوا ما يعارض الدين والمنطق والفطرة، مما يعرض الحضارات للضعف والتحلل أو الهلاك. فهي لا تسمح لنفسها بتصحيح مسارها والرجوع إلى الحق.

٨٩. منع الاستكبارُ قومَ ثمودَ من الاستجابةِ لدعوة صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ وهداياتِ الله التي جاء بها، فكانت العقوباتُ شديدةً وعظيمة. فالاستكبار من الجرائم التي عاقب الله عليها قوم ثمود.

• ٩. كان المكر صفة بارزة في قوم ثمود، حيث استخدموا جميع وسائل المكر وأساليبه لصد الناس عن دعوة التوحيد والاستجابة لعبادة الله. فضلوا الشبهات والاتهامات الباطلة، وأقاموا العوائق والعراقيل أمام دعوته.

٩١. سنة الله تعالى في الطغاة هي إنزال العقاب عليهم في الدنيا، وهي سنة ماضية لا تتخلّف. جرت هذه السنة على الطغاة السابقين، وستجري على الحاضرين

والقادمين، فلن يفلت أحد منهم من عقاب الله في الدنيا، كما لا يفلت أحد من عقاب الآخرة.

97. جرت عادة الأنبياء عَلَيْهِمُّالسَّكُمُ بعد دعوة أقوامهم إلى التوحيد أن يُذكّروهم بنعم الله تعالى عليهم، ويدعوهم لشكر المنعم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَ. وقد خصّ الله بعض الأمم بنعم معيّنة، فكل نبي يُذكّر بما خصّ الله قومَه، دون إغفال النعم العامة.

97. كانت ثمود على شاكلة عاد في الحال والمال؛ فقد أغدق الله عليهم النعم، فكانوا في رغد من العيش وتمكين في الأرض. وكان نبيهم صالح عَلَيْوالسَّكَمُ يُذكّرهم بتلك النعم في مستهل دعوته، ويُعرّفهم بالمنعِم جلّ علاه، ويرشدهم إلى طريق الشكر، داعياً إياهم لعبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأوثان، محذّراً إياهم من البطر.

98. اشتغل قوم صالح عَلَيْهِ السَّكَمُ بأمور الدنيا، وأصابهم الغرور بها، فنسوا الآخرة. فرحوا بالأموال والأولاد، والقصور والبيوت في الجبال، والبساتين والزروع. وغاب عنهم فقه القدوم على الله، فلم يستعدوا ليوم الرحيل، وانغمسوا في الترف والإسراف، وتطاولوا على أهل الإيمان.

٩٥. للحضارات سنن في قيامها وسقوطها، وكذلك لها سنن في تجددها وانبعاثها واستبدالها. وقد تحدّث القرآن الكريم عن الاستبدال الحضاري، وهذا ما حدث لقوم صالح عَيْهِ السَّلام، حيث تجمّعت فيهم أسباب الهلاك. فمضت سنة الله فيهم بالاستئصال، لكي تستأنف الإنسانية رسالتها بصالح عَيْهِ السَّلام ومن آمن معه.

97. مضت سنة الله في قوم ثمود بالخسران عندما خسروا الإدراك والبصيرة، وضاعوا في صحاري الشبهات وبحار الشهوات ووديان الضلال. وطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بِاَيكِ اللَّهِ أَوْلَنَهِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٣].



٩٧. القصة القرآنية لصالح عَلَيْهِ السَّكَمُ مع قومه توجّه الأنظارَ إلى الاعتبار بأحوالهم، فهي مليئة بالدروس والعِبر والفوائد. وتعرض سنن الله في حركة الشعوب وزوال الأمم واضمحلال الحضارات.

٩٨. كان صالح عَلَيْوالسَّكَمُ من الأنبياء المرسلين الذين حققوا التوحيد لله عَرَّجَلَ، ودعوا إليه. آمن بعض الناس برسالته، وتميّز عَلَيْوالسَّكَمُ بصفات وخصائص حميدة تجسدت في شخصيته وأخلاقه، كالإخلاص والصبر والتقوى وحسن العبادة. وكان ناصحاً لقومه، داعياً إياهم إلى توحيد الله وعبادته واستغفاره والتوبة إليه.

99. الرسالة منحة إلهية يختص بها الله من يشاء من عباده، فضلاً ونعمة، وليست درجة علمية يمكن الحصول عليها بالاجتهاد أو التعبّد أو التعلّم، وإنما هي اصطفاء واختيار للرسل من بين سائر الناس.

الرسل أن الخلق بحاجة إلى الرسل للبلغوهم ما يحبه الله ويرضاه، وما يغضب منه ويأباه. وكثير من العصاة والمنحرفين ضلّوا في متاهات الشقاء رغم وجود الأنبياء عَلَيْهِمْ السَّلَامُ، فكيف يكون الحال لو لم يُرسل الله تعالى رسلاً مبشّرين ومنذرين؟

۱۰۱. الرسل بُعثوا لتهذيب العباد، وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وتحريهم من رق عبودية المخلوق إلى حرية عبادة رب العالمين الذي أوجدهم من العدم وسيفنيهم بعد الوجود، ويبعثهم بعد الفناء ليكونوا إمّا أشقياء أو سعداء.

١٠٢. لو تُرك الناس هملاً دون إنذار وتخويف، عاشوا عيشة ضنكٍ في جاهلية؛ جهلاء وضلالة عمياء، وعادات منحرفة وأخلاق فاسدة، فيصبح المجتمع غابياً

الخلاصة

حيث القوي يأكل الضعيف والشريف يذل الوضيع. لذا، اقتضت حكمة الله جَلَّوَعَلَا أَن لا يخلق عباده سدى ولا يتركهم هملاً.

١٠٣. مهمة الرسل (صلوات الله وسلامه عليهم) هي الدعوة إلى الله وإلى الحق والخير، وتحويل هذه الدعوة إلى عمل وسلوك وتطبيق ليقتدي الناس بهم.

1.٤. ذهب صالح عَلَيْوالسَّكَمُ والذين آمنوا معه بعد هلاك قومهم إلى ناحية فلسطين. ويقول أهل حضرموت إنهم ذهبوا إلى حضرموت وأقاموا بها لأن أصلهم من تلك الناحية، أو أنهم من فصيلة أهل الأحقاف، وهناك قبر يزعمون أنه لصالح عَلَيْوالسَّكَمُ.





المصادر والمراجع



- ۱. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنا، عال الكتب، بيروت، ط۱، ۱۹۸۷م.
- ٢. الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء عَلَيْهِ مِرَّالسَّلَامُ، إبراهيم محمد العلي، دار القلم، ٢٠٠٧م.
 - ٣. أحسن القصص في القرآن الكريم، نائلة هاشم، دار النفائس، ٢٠٢م.
- أحسن القصص، زاهية الدجاني، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية،
 ٢٠٠٨م.
 - ٥. أحكام القرآن، الجصاص، مطبعة الأوقاف الإسلامية، ١٦٠٦م.
 - ٦. أحكام القرآن، إلكيا الهرّاسي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م.
- ٧. إحياء علوم الدين لحجة الإسلام، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار
 الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.
- ٨. أخلاق الأنبياء عَلَيْهِمُالسَّلَامُ، محمد درويش، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض.
- ٩. الارتقاء من مقاصد الشريعة إلى المنظومة المقاصدية لتحقيق كفتي الميزان الدين والعمران، د. علي القره داغي، دار الأصالة، ٢٠٢٤م.
- ۱۰. أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن، سعيد محمد بابا سيلا، دار ابن الجوزي، ۲۰۰۰م.

- ١١. أسباب هلاك الأمم، عادل الشوربجي.
- ١٢. استنباط الأهداف من القرآن من سورتي يونس وهود، بسام عبد الملك، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ٢٠١٨م.
- 17. الأسرار البلاغية في الفوائد القرآنية، عبد الله عبد الغني سرحان، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م.
- 14. أسماء الأنبياء دلالاتها ومعانيها، خالد محمد خالد، نور حوران للدراسات والنشر والتراث، ط١، ٢٠١٦م.
- ١٥. إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الحسين محمد الدمغاني، دار العلن للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٣م.
- 17. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، ٢٠١٣م.
- ۱۷. إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، الأردن، ٢٠١٦م.
- ۱۸. أعلام المكان في القرآن الكريم، يوسف أحمد أبو ريدة، رسالة ماجستير/ جامعة الخليل، ۲۰۰۷م.
 - ١٩. اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، مكتبة الرشد، ٢٠٠٦م.
- · ٢٠. الأماكن الأثرية في شمال وجنوبي الجزيرة العربية، أحمد حسين، مكتبة التاريخ.
- ٢١. الأمة في الرؤية الإسلامية، عمر إسماعيل، دار الكتب القانونية، ١٣٠ ٢٠م.



- ٢٢. أنبياء القرآن، عبد المجيد همو، دار الحافظ، ٢٠٠٠م.
 - ٢٣. أنبياء الله، أحمد بهجت، دار الشروق، ٢٠٠٦م.
- ۲٤. أنبياء في القرآن تركوا آثاراً، هدى حسن، دار المعرفة للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م.
- ۲۵. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، أبو يعلى البيضاوي، دار الرشيد، دمشق، بيروت، ۲۰۱۲م.
- ٢٦. البحر المحيط في التفسير، محمد يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٧٧. البداية والنهاية، ابن كثير، دار الريان للتراث، مصر، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٩٠م، بعناية عبد الرحمن اللاذقي ومحمد غازي، دار المعرفة، لبنان، ط٤، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- ۲۸. البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي بدر الدين، دار الحديث، القاهرة، ۲۰۰۹م.
- ٢٩. بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية –
 لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦ م.
 - ٠٣. تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر، ١٠٠١م.
 - ٣١. تاريخ أرض القرآن، سليمان الندوي، دار القلم، ٢٠١٦م.
 - ٣٢. تاريخ الأنبياء، محمود عبده نور الدين.

٣٣. التحرير والتنوير، تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس، ١٩٨٣م.

٣٤. تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات، فوز بنت عبد اللطيف الكردي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الحادي عشر، ١٤٢١هـ.

٣٥. التداول الحضاري في القرآن الكريم، د. فرج علام، دار روابط للنشر وتقنية المعلومات ودار الشقرى للنشر، ٢٠١٨.

٣٦. التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، دار الأماجد، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

٣٧. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الريان للتراث، ١٨ • ٢م.

۳۸. تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، حققه يوسف علي بديوي، حسن سويدان، دار ابن كثير، ١٤٣٤هـ عمر بن كثير، حققه يروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ ١٤٣٠م.

٣٩. تفسير أبي السعود، أبو السعود محمد العمادي الحنفي، المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض، مطبعة السعادة، القاهرة.

- · ٤٠. تفسير البغوي (معالم التنزيل)، الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة، ٢٠٠٧م.
- ٤١. تفسير الرازي، التفسير الكبير، الإمام فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.



- ٤٢. تفسير الزمخشري.، محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٠١٣م.
 - ٤٣. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مكتبة الأسرة، ١٩٩٢م.
- ٤٤. تفسير القرآن الثري الجامع، محمد الهلال، دار جوامع الكلم، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢م.
- ٥٥. تفسير القرطبي، دار إحياء التراث العربي، أبو عبد الله القرطبي، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م.
 - ٤٦. التفسير المحرر للقرآن الكريم، الدرر السنية.
 - ٤٧. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، القاهرة، ١٩٧٥م.
- ٤٨. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩١م.
- 29. التفسير الموضوعي مجموعة باحثين، إشراف د. مصطفى مسلم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الشارقة، الإمارات، طبعة ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
- ٥. تفسير النابلسي، محمد راتب النابلسي، مؤسسة الفرسان، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ ٢٠١٧م.
- ١٥. تفسير سورة الإسراء، د. أحمد نوفل، جمعية المحافظة على القرآن الكري، ط٢.

- ٥٢. تفسير سورة الحجر، د. أحمد نوفل، جمعية المحافظة على القران الكريم، ٢٠١٩م.
- ٥٣. تفسير سورة هود دراسة تحليليّة موضوعيّة، الدكتور: أحمد نوفل، جمعيّة المحافظة على القرآن الكريم، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.
- ٤٥. التفكر في الأسماء عن طريق العلماء، ضياء الدين الجماس، دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٠م.
- ٥٥. التوبة في ضوء القرآن الكريم، آمال بنت صالح نصير، دار الأندلس الخضراء، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
- ٥٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدى، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٧م.
- ٥٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، هجر للطباعة والنشر.
- ٥٨. الحق الواضح المبين، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مطبوع ضمن الكاملة في مؤلفات الشيخ السعدي، جزء العقيدة الإسلامية، مركز صالح بن صالح.
 - ٥٩. الخارطة القرآنية، مشعل الفلاحي، دار القلم، دمشق، ٢٠٢٢م.
- ٠٦٠. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإمام السيوطي، الناشر محمد أمين دمج، بيروت، لبنان.



- ۲۱. دراسات تاریخیة من القرآن، محمد بیومي، دار النهضة العربیة، بیروت،
 ط۲، ۱۹۸۸م.
- ٦٢. دراسات في آثار المملكة السعودية، عبد الرحمن كباوي، إصدارات المهرجان الوطني للتراث، ١٩٩١م.
- ٦٣. دراسات في التفسير الموضوعي، الألمعي، دار الميمان للنشر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.
- 37. الدروس المستفادة من العقوبات الإلهية في القرآن الكريم، عبد الهادي بن سعد الشمراني، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
- ٦٥. دعوة الرسل إلى الله، محمد العدوي، العصرية للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠م.
- 77. الدعوة إلى الله في سورة هود، عبد الرحمن بن راجي بن رجاء العوفي، 1997م.
 - ٦٧. رسالة الأنبياء، د. عمر أحمد عمر، دار الجيل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.
- 7A. رواه الطبراني في الدعاء، معجم شيوخ الطبري الذين روى عنهم في كتبه المسندة المطبوعة، أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، الدار الأثرية، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- 79. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، أبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

- · ٧. رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، محمد قطب، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- ٧١. زهرة التفاسير أبو زهرة، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، دون تاريخ.
- ٧٢. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، عزة الدعاس، دار الحديث، حمص، سوريا، ط١، ١٣٨٨ه.
 - ٧٣. السنن الاجتماعية في القرآن، محمد أمحزون، دار طيبة، ١١٠ ٢٠م.
- ٧٤. السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، شريف الخطيب، مكتبة الرشد، الدار العثمانية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
- ٧٥. السنن الإلهيّة في الخلق، عبد الحميد طهماز، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.
 - ٧٦. السنن الإلهية، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٧م.
- ٧٧. سنن القرآن في قيام الحضارات، محمد هيثور، دار الوفاء، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
- ٧٨. سنن الله في الحضارة الإنسانية، أحمد سريرات، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٣٠ ٢م.
- ٧٩. سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، المكتب التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٣٠م.



- ٠٨. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد محمد الصلابي، دار المعرفة، ٢٠١٠م.
 - ٨١. شأن الدعاء، حمد محمد الخطابي، دار الثقافة العربية، ١٩٩٢م.
- ٨٢. شرح النووي على صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، مؤسسة قرطبة للطباعة والتوزيع والنشر، ٢٠٠٩م.
- ٨٣. شرعة الله للأنبياء، محمد مصطفى الزحيلي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٨٠ ٢م.
- ٨٤. الشرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- ٨٥. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضى عياض، دار الحديث، ١٠٠م.
- ٨٦. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤ه.
- ۸۷. صحيح البخاري، دار ابن كثير، محمد بن إسماعيل، البخاري، دمشق، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.
- ٨٨. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.
- ٨٩. صفات الأنبياء من قصص القرآن، الدكتور عقيل حسن، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١م.
- ٩٠. صور وعبر من الجهاد النبويّ في المدينة، د. محمد فوزي، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٨م.

- 91. ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حبنكة الميداني، تحقيق: حسين مؤنس، دار القلم، دمشق، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
- ٩٢. طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول، عبد الرحمن السعدي، دار البصيرة، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.
- ٩٣. عصر ما قبل الإسلام، محمد مبروك نافع، مكتبة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٤٨م.
- 98. العصمة في الفكر الإسلامي، حسن حميد، طيبة الدمشقية للطباعة والنشر، ٢٠٠٨م.
- ٩٥. العصمة في ضوء عقيدة أهل السنة، منصور راشد، مكتبة الرشد، ١٥٠م.
 - ٩٦. العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة، دار القلم، ٢٠٢١م.
 - ٩٧. العُلا والحِجر، عبد الله آدم نصيف، ١٩٩٨م.
- ٩٨. علم القرآن التنموي، جمال حسن الحمصي، جمعية لحفظ القرآن الكريم، ٢٠١٩.
- ٩٩. على طريق التفسير البياني، فاضل السامرائي، دار الفكر، عمان، الأردن، طبعة ٢٠١٠م.
- 10. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٦م.
- ۱۰۱. عمل اليوم والليلة، أحمد بن شعيب النسائي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ٢٠٠٦م.



- ۱۰۲. فبهداهم اقتده، قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء عَلَيْهِ وَالسَّلَامُ، عثمان الخميس، دار إيلاف الدولية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
- ۱۰۳. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ١٠٤. فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان البخاري القنوجي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ١٩٩٢م.
- ١٠٥. فتح القدير في الجمع بين فني التفسير، محمد علي الشوكاني، دار الفكر،
 بيروت، نشر وتوزيع المكتبة التجارية بمكة المكرمة.
- ١٠٦. الفساد في الأرض وموقف الإسلام منه، أسامة كبارة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٩م.
 - ١٠٧. فقه دعوة الأنبياء، أحمد الأميري، دار السلام، ٢٠١٢م.
- ۱۰۸. في رحاب قصص الأنبياء والرسل، عبود الراضي، دار الكتب العلمية، ۲۰۱۷م.
- ١٠٩. في ظلال الأنبياء، محمد حمد الصوياني، شركة العبيكان للتعليم، ط١،
 ٢٠٢٢م.
- ۱۱۰. في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة الشرعية الثامنة والعشرون، ۱۶۳۰هـ - ۲۰۰۹م.
- ١١١. في قصصهم عبرة، علي حسن العبيدلي، كلمات للنشر والتوزيع، ٢٠٢١م.

- ١١٢. القصة في القرآن الكريم، د. عصام الدين الهنامي، ٢٠٢٣م.
- ١١٣. قصص الأنبياء أحداثها وعبرها، محمد الفقي، مكتبة وهبة، ١٩٨٩م.
- ١١٤. قصص الأنبياء، ابن كثير، دار الطباعة والنشر الإسلامية، ط٥، ١٩٩٧م.
 - ١١٥. قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، مطبعة النصر، ١٩٠٢م.
- 117. قصص الأنبياء، مصطفى العدوي، مكتبة مكة، طنطا، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م.
- ١١٧. قصص الحيوانات في القرآن، خالج الزواوي، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، ٢٠١١م.
- - ١١٩. قصص القرآن قراءة قرآنية، عمرو الشاعر، مكتبة النافذة.
- ۱۲۰. القصص القرآني، الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ۱۶۱۹هـ- ۱۹۹۸م.
- ۱۲۱. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، إعداد إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٤، ٢٠٠٣م.
- 177. كتاب المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.
- 1۲۳. الكليات معجم من المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب الكفوي، مؤسسة الرسالة، ۲۰۰۷م.



- ١٢٤. لأنك الله، على بن جابر الفيفي، دار الحضارة، ١٦٠٢م.
- ١٢٥. لسان العرب، محمد مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.
 - ١٢٦. ليس الحجر في مدائن صالح، مجلة العرب، ١٤، ٢٠١م.
- ۱۲۷. مجالس النور في تدبر القرآن الكريم وتفسيره، محمد عياش الكبيسي، دار نشر جامعة قطر، ۲۰۱۹.
- ۱۲۸. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفضي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ۱٤١٢هـ.
- ۱۲۹. مروج الذهب ومعادن الجوهر، كمال حسن المرعي، المكتبة العصرية، ٢٠١٢.
- ۱۳۰. مستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ۱۹۹۰م.
- ۱۳۱. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب أرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ٢٠٨م.
- ۱۳۲. مسند الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارامي السمرقندي، دار التأصيل، الطبعة الأولى، ۲۰۱٥.
- ١٣٣. المصنف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن محمد أبي شيبة، دار التاج، لبنان، ط١، ١٩٨٩م.
- 1۳٤. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، دار العاصمة، دار الغيث، السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.

- 1٣٥. مع الأنبياء في الدعوة إلى الله، محمد أبو فارس، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ٢٠١٥.
- ١٣٦. مع الأنبياء في القرآن، عفيف عبد الفتاح طباره، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٩٨٥، ٥٩٠م.
- ١٣٧. معاني النحو، فاضل السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٩م.
- ١٣٨. معجزات الأنبياء، عبد المنعم الهاشمي، مكتبة ابن حزم، لبنان، ٢٠٠٦م.
- ۱۳۹. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر ودار بيروت، ۱٤٠٤هـ- ١٩٨٤م_
- ١٤٠. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٤م.
- ۱٤۱. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م.
- ١٤٢. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم للطباعة والنشر، ٢٠٢٢م.
- ١٤٣. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مكتبة تزار مصطفى الباز، ٢٠٠٩م.
 - ١٤٤. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ط٢، ١٩٩٣م.



- ۱٤٥. المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، القرطبي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٩٩٦
- 1٤٦. مفهوم الاستكبار والاستضعاف، مصطفى أوعيشة، دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠٢٣م.
- ١٤٧. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ٢٠١٠م.
 - ١٤٨. مقاصد القرآن الكريم ومحتوياته، عبد الله التليدي، دار الأمان، الرباط.
- 189. مقاصد سور القرآن الكريم، منذر محمد، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ٢٠٢١م.
 - ١٥. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- ١٥١. من أنباء القرى، أحمد الكبيسى، مؤسسة الرسالة العالمية، ط١، ٢٠٠٧م.
 - ١٥٢. من حديث يوسف وموسى، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ١٠١٠م.
 - ١٥٣. منهاج السنة، ابن تيمية، ١٩٠٩م.
- ١٥٤. المنهاج القرآني في مواجهة الفساد، د. محمد سلطان، دار روزا، ١٧٠ ٢م.
 - ١٥٥. موسوعة الأخلاق، إشراف علوي السقاف، الدرر السنية، ٢٠٢٠م.
 - ١٥٦. موسوعة الأعمال الكاملة، يوسف القرضاوي.
- ١٥٧. موسوعة التفسير بالمأثور، المشرف العلمي مساعد الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

- ١٥٨. موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم صَالَّلَهُ عَلَيْهُ وَسَالَة ، صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن بن محمد ملوح، دار الوسيلة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- ٩٥١. موسى كليم الله، علي محمد محمد الصلابي، دار ابن كثير، ط١، ٢٠٢٢م.
- ۱٦٠. مؤمن آل فرعون، بشير الخياط، رسالة دكتوراة، جامعة درمان، السودان، ١٦٠.
 - ١٦١. النبوّات، ابن تيمية، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ٢٠٠٦م.
- 177. نصوص اللعن في القرآن وأثرها في الأحكام الشرعية، عمر شاكر الكبيسي، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- ١٦٣. نظرات عصرية في القرآن الكريم، محمد لطفي جمعة، عالم الكتب، ١٦٣.
- 17٤. نظرات في أحسن القصص، محمد السيد الوكيل، دار القلم للطباعة والنشر، ١٩٩٤م.
 - ١٦٥. نظرات في القرآن، محمد الغزالي، نهضة مصر، ٢٠٠٥م.
- ١٦٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٦م.
- ١٦٧. النظم القرآني في قصة صالح، سعد عبد الرحمن، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠١٤.



١٦٨. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أحمد بن عبد الله قلقشندي، مطبعة النجاح، ١٦٨.

١٦٩. نهاية الأمم، عدنان الطرشة، العبيكان للنشر، ٢٠٠٦م.

1۷۰. نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ والطوفان العظيم ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية، علي محمد محمد الصلابي، دار ابن كثير، ٢٠١٩م.

١٧١. هذا ربى، خالد الخليوي، دار الحضارة، ط١، ٢٠١٩م.

۱۷۲. الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأكيولوجي، سامي العامري، ٢٠٢٨.

1۷۳. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م.

١٧٤. ولله الأسماء الحسني، عبد العزيز الجليل، ٢٠١٥م.



فهرس الموضوعات



الإهداء
نقديم: الأستاذ الدكتور فضل عبد الله مراد
مقدمة الكتاب
المبحث الأوّل
أصل الثموديّين، وحديث التاريخ عنهم، وعصرهم، ونقوشهم، ومساكنهم، وحياتهم ١٧
أو لاً: أصل الثموديّين:
١ – سبب تسمية "ثمود":
٢- ثمود بعد عاد:
ثانياً: ثمود في الكتابات القديمة:
ثالثاً: مساكن ثمود:
رابعًا: الرسوم والنقوش الصخرية الثموديّة:
خامساً: المجتمع الثموديّ:
سادساً: حضارة ثمود:
سابعًا: دين أهل ثمود:



٣٩	ثامناً: ذِكر صالح عَلَيْهِ السَّلَمُ وقوم ثمود في القرآن الكريم:
	المبحث الثاني

بُّمة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة الأعراف، وهود، والحجر، والشعراء، والنمل، والقمر،
شمس
أَوَّلاً: قصّة صالح عَلَيْهِ السَّلامُ في سورة الأعراف:
١ - قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَلِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣]
٢- قوله تعالى: ﴿وَاُذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنْ بَعْدِ﴾ [الأعراف: ٧٤]: ٦٦
٣- قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡـتَكۡبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾ [الأعراف: ٧٦،٧٥] ٧٤
٤- قال تعالى: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّـاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف: ٧٧] ٧٩
٥- قال تعالى: ﴿فَأَخَذَنَّهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٨] ٨١
٦- قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٩] ٨٤
ثانيًا: قصّة صالح عَلَيْءِالسَّلَمُ في سورة هود:
١ – قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَلِيحًا ۚ﴾ [هود: ٦١].
٢- قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَصَلِكُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوَّا قَبْلَ هَاذَأً ۖ﴾ [هود: ٦٢]
٣- قوله تعالى: ﴿قَالَ يَنْقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ [هود: ٦٣]
٤ - قال تعالى: ﴿وَيَلْقَوْمِ هَاذِهِ ـ نَاقَـةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ﴾ [هود: ٦٤]

٥ - قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ﴾ [هود: ٦٥]
٦- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمُرُنَا نَجَيَّمَا صَالِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [هود: ٦٦]١٢١
٧- قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٦٧].
٨- قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَاَّ ۚ﴾ [هود: ٦٨].
ثالثًا: قصّة قوم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ في سور الحجر:
١ - قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدُ كَذَّبَ أَصْحَبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الحجر: ٨٠]
٢ - قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَهُمْ ءَايَتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ [الحجر: ٨١].
٣- قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٢]
٤ - قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾ [الحجر: ٨٣]
٥ - قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الحجر: ٨٤]
٦ - مرور النبيّ صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحجر ديار ثمود:
رابعًا: قصّة صالح عَلَيْهِ السَّلامُ في سورة الشعراء:
١ – قوله تعالى: ﴿كُذَّبَتُ تَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ﴾ [الشعراء: ١٤١–١٤٥]. ١٤٧.
٢- قوله تعالى: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَهُنَآ ءَامِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٧،١٤٦]
٣- قوله تعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلِ طَلْعُهَا هَضِيرٌ ﴾ [الشعراء: ١٤٨]١٥٣
٤ - قال تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِلْبَالِ بُيُوتَا فَارِهِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤٩]



قال تعالى: ﴿فَأَتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء: ١٥٠].	-0
قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُواْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٢،١٥١]	- T
قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنْتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٣]	-V
قال تعالى: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ﴾ [الشعراء: ١٥٤]:	-1
قوله تعالى: ﴿قَالَ هَاذِهِ ـ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ﴾ [الشعراء: ١٥٦،١٥٥]:	-9
- قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَكِمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٧]:	- \ •
– قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَاْيَةَ﴾ [الشعراء: ١٥٨، ١٥٩]: .٦٦.	- 1 1
: قصة صالح في سورة النمل:	حامساً
قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [النمل: ٤٥]:	-1
قوله تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ [النمل: ٤٦]:	-7
﴿قَالُواْ اَلَمْ يَرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَلَيْرِكُمْ عِندَ اللَّهِ ۗ﴾ [النمل: ٤٧]:	-٣
قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ﴾ [النمل: ٤٩،٤٨]:	- {
قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرُنَا مَكْرًا﴾ [النمل: ٥١،٥٠]:١٨١	-0
قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓأٌ﴾ [النمل: ٥٦]:	7
قوله تعالى: ﴿وَأَنْجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [النمل: ٥٣]:١٨٥	- V
: قصة صالح عَلَيْهِ السَّلَمُ في سورة القمر:	بادساً:

١ - قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ تَمُودُ بِٱلنُّدُرِ ﴾ [القمر: ٢٣]
٢- قال تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَحِدَا نَّتَّبِعُهُ ٓ إِنَّاۤ إِذَا لَّفِي ضَلَالِ وَسُعُرٍ ﴾ [القمر: ٢٤]:١٩٣.
٣- قال تعالى: ﴿أَوُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَكَذَّاكِ أَشِرٌ ﴾ [القمر: ٢٥]
٤ - قال تعالى: ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾ [القمر: ٢٦]:
٥ - قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَأَرْتَقِبْهُمْ وَأَصْطَبِرُ ﴾ [القمر: ٢٧]. ٢٠٠
٦- قوله تعال: ﴿وَنَبِغَهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ ثِّحْنَضَرٌ ﴾ [القمر: ٢٨].
٧- قوله تعالى: ﴿فَنَادَوَّا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴾ [القمر: ٢٩].
٨- قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر: ٣٠]
٩ - قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَحِدَةً فَكَاثُواْ كَهَشِيرِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴾ [القمر: ٣١].٢٠٧
١٠ - قال تعالى: ﴿ وَلَقَدُ يَسَّرَنَا ٱلْقُرُواَنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِرٍ ﴾ [القمر: ٣٢]:
سابعًا: قصّة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة الشمس:
١ - قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ تَمُودُ بِطَغُونِهَآ﴾ [الشمس: ١١]:
٢- قال تعالى: ﴿إِذِ ٱنْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس: ١٢]:
٣- قال تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ [الشمس: ١٣]:٢١٥
٤ - قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ﴾ [الشمس: ١٤]:
امنًا: السُّور التي فيها إشارات سريعة لقصّة صالح عَلَيْهِ اَلسَّلَمُ مع ثمود:٢١٩



١ – سورة الإسراء
٢- سورة فصّلت
٣- سورة الفجر
٤ – سورة الذاريات
تاسعًا: ذِكر ثمود مع الأمم الهالكة في القرآن الكريم:
١ - قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِـمْ نَبَأْ﴾ [التوبة: ٧٠]
٢ - في قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَوُّا ﴾ [إبراهيم: ٩]٢٣٦
٣- في قوله تعالى في سورة الحجّ: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ ﴾ [الحج: ٤٦-٤٦]٧
٤ - في قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾ [الفرقان: ٣٥-٣٩]. ٢٤٠
٥- قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَإِلَّى مَدْيَنَ﴾ [العنكبوت: ٣٦-٤٠]
٦ - قوله تعالى في سورة ص: ﴿كَذَّبَتْ قَبَّلَهُمْ قَوْمُرْنُوحٍ وَعَادُ ُ﴾ [سورة ص: ١٢ - ١٤]. ٢٤٤
٧- قوله تعالى في سورة غافر: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيَّ ءَامَنَ يَقَوْمِ﴾ [غافر: ٣٠، ٣١]٢٤٤
٨- قوله تعالى في سورة ق: ﴿كَذَّبَتُ قَبَاهُمْ قَوْمُرنُوجٍ﴾ [سورة ق: ١٢-١٤]٢٤
٩ - قوله تعالى في سورة النجم: ﴿وَأَنَّهُ وَ أَهْلَكَ عَادًا﴾ [النجم: ٥١،٥٠]٢٤٨
١٠- ثمود في سورة الحاقّة
١١- ثمو د في سورة الياو ح



اب هلاك قوم ثمود	أسبا
أُو لاَّ: الكفر بالله عَزَّهَجَلَّ:	
ثانيًا: الشرك بالله:	•
ثالثاً: التكذيب:	•
رابعًا: الظلم:)
خامساً: استعجال العذاب:	,
سادساً: الإسراف والتَرف:٢٦٨	ı
سابعًا: الاستكبار:	ı
ثامناً: الإجرام:	•
تاسعًا: المكر:	•
عاشراً: الفساد:	,
الحادي عشر: الطغيان:	
الثاني عشر: بَطر النعمة:	
الثالث عشر: الخطايا والذنوب:	
الرابع عشر: انتهاك حُرمات الله:	



۲۸۱	الخامس عشر: سُنّة الإملاء والاستدراج:
	السادس عشر: الاشتغال بالدنيا عن الآخرة:
۲۸۰	السابع عشر: الاستبدال:
۲۸٦	الثامن عشر: سُنّة الأجل الجماعيّ:
۲۸۸	التاسع عشر: سُنّة الهلاك:
۲۹۰	العشرون: سُنّة الخسران:
۲۹۰	الحادي والعشرون: الغفلة عن أسباب الهلاك:
	المبحث الرابع
Y91	أهمٌّ صفات وخصائص صالح عَلَيْهِالسَّلَامُ ووفاتُه
797	أولاً: تعريف الرسُل وصفاتهم:
Y 9 V	ثانيًا: الفرق بين النبي والرسول:
Y 9 V	ثالثًا: أهمّ صفات الرُّسل ومنهم صالح عَلَيْهُالسَّلَمُ:
	رابعًا: الإيمان بالأنبياء والمرسلين:
	خامساً: أعداد الرسل:
	سادساً: التفاضل بين الأنبياء والرسل:
	سابعاً: أولو العزم من الرسل:

٣٠٦	ثامنًا: حِكمة إرسال الرسل عامّة:
	تاسعًا: وظائف الرسل:
	عاشراً: أمور تَفرّد بها الأنبياء والرُّسل عَلَيْهِمْالسَّلَامُ:
	حادي عشر: وفاة صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وحجَّه قبل وفاته:
٣١٥	لخلاصة
٣٣٤	لمصادر والمراجع
	ف سالمه ضه عات





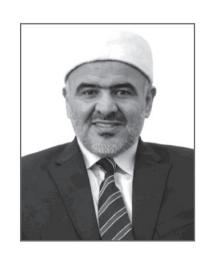




السيرة الذاتية للمؤلف



د. عَلِي محتَّمَد محتَّمَد الصَّهَلَّابِي مفكر ومؤرخ وفقيه



- ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م.
- نال درجة الإجازة العالمية (الليسانس) من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة عام ١٩٩٣م، وبالترتيب الأول.
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين في جامعة أم درمان الإسلامية عام ١٩٩٦م.
- نال درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بأطروحته فقه التمكين في القرآن الكريم من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان عام ١٩٩٩م.
- اشتهر بمؤلفاته واهتماماته في علوم القرآن الكريم، والفقه، والتاريخ، والفكر الإسلامي.
 - زادت مؤلفات الدكتور الصلابي على الثمانين مؤلفًا.

كتب صدرت للمؤلف



- ١. السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث.
- ٢. سيرة الخليفة الأول أبو بكر الصديق رَخَالِتُهُعَنَهُ: شخصيته وعصره.
- ٣. سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضَالِتُهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.
 - ٤. سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضَالِتَهُ عَنهُ: شخصيته وعصره.
- ٥. سيرة أمير المؤمنين على بن أبي طالب رَضَوَلِتُهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.
- ٦. سيرة أمير المؤمنين الحسن بن على بن أبي طالب: شخصيته وعصره.
 - ٧. الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط.
 - ٨. فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم.
 - ٩. تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا.
 - ٠١. تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي.
 - ١١. عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.
 - ١٢. الوسطية في القرآن الكريم.
 - ١٣. الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار.
 - ١٤. معاوية بن أبي سفيان، شخصيته وعصره.
 - ١٥. عمر بن عبد العزيز، شخصيته وعصره.



- ١٦. خلافة عبد الله بن الزبير.
 - ١٧. عصر الدولة الزنكية.
 - ۱۸. عماد الدين زنكي.
 - ١٩. نور الدين زنكي.
 - ٠٢. دولة السلاجقة.
- ٢١. الإمام الغزالي وجهوده في الإصلاح والتجديد.
 - ٢٢. الشيخ عبد القادر الجيلاني.
 - ٢٣. الشيخ عمر المختار.
 - ٢٤. عبد الملك بن مروان وبنوه.
- ٢٥. فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة.
 - ٢٦. حقيقة الخلاف بين الصحابة.
 - ٧٧. وسطية القرآن في العقائد.
 - ٢٨. السلطان عبد الحميد الثاني.
 - ٢٩. دولة المرابطين.
 - ٣٠. دولة الموحدين.
- ٣١. عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج.
 - ٣٢. الدولة الفاطمية.

٣٦٣

- ٣٣. حركة الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي.
- ٣٤. صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير البيت المقدس.
- ٣٥. استراتيجية شاملة لمناصرة الرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، دروس مستفادة من الحروب الصليبية.
 - ٣٦. الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء.
- ٣٧. الحملات الصليبية (الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) والأيوبيون بعد صلاح الدين.
 - .٣٨ المشروع المغولي: عوامل الانتشار وتداعيات الانكسار.
 - ٣٩. سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت في عهد المماليك.
 - ٠٤. الشورى في الإسلام.
 - ١٤. الإيمان بالله جَلَّجَلَالُهُ.
 - ٤٢. الإيمان باليوم الآخر.
 - ٤٣. الإيمان بالقدر.
 - ٤٤. الإيمان بالرسل والرسالات.
 - ٥٤. الإيمان بالملائكة.
 - ٤٦. الإيمان بالقرآن والكتب السماوية.
 - ٤٧. السلطان محمد الفاتح.



- ٤٨. المعجزة الخالدة.
- ٤٩. الدولة الحديثة المسلمة: دعائمها ووظائفها.
 - ٥. البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة.
 - ٥٠. التداول على السلطة التنفيذية.
 - ٥٢. الشورى فريضة إسلامية.
- ٥٣. الحريات من القرآن الكريم: حرية التفكير وحرية التعبير، والاعتقاد والحريات الشخصية.
 - ٥٤. العدالة والمصالحة الوطنية: ضرورة دينية وإنسانية.
 - ٥٥. المواطنة والوطن في الدولة الحديثة.
 - ٥٦. العدل في التصور الإسلامي.
 - ٥٧. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي.
 - ٥٨. الأمير عبد القادر الجزائري.
- ٥٩. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، الجزء الثاني.
 - . ٦٠. سُنة الله في الأخذ بالأسباب.
- 71. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، وسيرة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.
 - ٦٢. أعلام التصوف السني: "ثمانية أجزاء".

- ٦٣. المشروع الوطني للسلام والمصالحة.
- ٦٤. الجمهورية الطرابلسية (١٩١٨ ١٩٢٢) أول جمهورية في تاريخ المسلمين المعاصر.
 - ٦٥. الإباضية: مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج.
 - ٦٦. المسيح عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: الحقيقة الكاملة.
 - ٦٧. قصة بدء الخلق وخلق آدم عَلَيْهِ السَّلامُ
 - ٦٨. نوح عَلَيْوَالسَّلامُ والطوفان العظيم.. ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية.
- ٦٩. إبر اهيمُ خليل الله عَلَيْهِ السَّلامُ: "داعية التوحيد ودين الإسلام والأسوة الحسنة".
 - ٠٧. موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كليم الله.
 - ٧١. موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والخضر.
 - ٧٢. موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في سورة طه.
 - ٧٣. موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة القصص.
 - ٧٤. موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة الشعراء.
 - ٧٥. مؤمن آل فرعون في سورة غافر.
 - ٧٦. لا إله إلا الله (أدلة وجود الله وأول المخلوقات)
 - ٧٧. سقوط الدولة العثمانية (الأسباب التداعيات).
 - ٧٨. سقوط الدولة الأموية (الأسباب التداعيات).



- ٧٩. مختصر نشأة الحضارة الإنسانية وقادتها العِظام.
- ٠٨. النبي الوزير يوسف الصديق عَلَيْهِ السَّلَامُ من الابتلاء إلى التمكين.
 - ٨١. ذكريات لا تنسى.
- ٨٢. الأنبياء الملوك داوود وسليمان عَلَيْهِمَاالسَّكَمُ، وهيكل سليمان المزعوم.
- ٨٣. لـوط عَلَيْهِ السَّلَامُ ودعوته في مواجهة الفساد والشذوذ الجنسي وعقاب الله للظالمين.
- ٨٤. تجديد بناء المسجد الأقصى في عهد سليمان عَلَيْوالسَّلامُ وقصة الهيكل المزعوم.
 - ٨٥. نبي الله هود عَلَيْهِ السَّلَامُ وأسباب زوال حضارة قوم عاد.
 - ٨٦. نبي الله صالح عَلَيْهِ اللهَ وأسباب هلاك قوم ثمود.
 - ٨٧. الأبعاد الإنسانية والحضارية في شخصية النبي صَاَّلِللَّهُ عَلَيْهِ وَسَالَّمٍ.
- ٨٨. نبي الله أيـوب عَلَيْهِ السَّلَامُ "طريق الشفاء ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣]".



هذا الكتاب

- يأتي هذا الكتاب ضمن سلسلة الأنبياء والمرسلين، ومشروعي في القصص القرآني، والتي صدر منها:
- ﴿ موسوعة "نشأة الحضارة الإنسانيّة الأولى وقادتها العِظام؛ آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد صَلَاللّهُ عَلَيْدُوسَلَّمْ".
 - النبيّ الوزير يوسف الصدّيق عَلَيْهِ السَّدَة من الإبتلاء إلى التمكين.
 - ﴿ الْأُنبِياء الملوك داوود وسليمان عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ وهيكل سليمان المزعوم.
 - ، لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ ودعوته لقومه الظالمين وعقاب الله لهم.
 - 🕸 هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وزوال حضارة عاد.
 - ، نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَةُ "طريق الشفاء ﴿ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ".

إنّ قصّة صالح عَلَيْهَالشَلَامُ خُفِظت في القرآن الكريم لكي تستفيد الإنسانيّة من أحداثها المليئة بالمواقف والدروس والعِبر، والسُّنن، والابتلاءات، وقد حفظ الله تعالى للبشريّة في كتابه الكريم أهمّ محطّات تاريخها، ومن بينها قصّة نبي الله صالح عَلَيْهِالشّلامُ مع قومه ثمود.

حرصت في هذا الكتاب على تقديم قصّة صالح عَلَيْوالسَّلَامُ بأسلوب منهجي واضح، مقسّم إلى أربعة مباحث رئيسيّة: المبحث الأوّل: يتناول أصل قوم ثمود، وتاريخهم، وعصرهم، ونقوشهم، ومساكنهم، ونمط حياتهم.

المبحث الثاني: يعرض قصّة نبي الله صالح عَلَيْهِ النّه كما وردت في سور: الأعراف، وهود، والحجر، والشعراء، والنّمل، والقمر، والشمس، إضافة إلى الإشارات السريعة لقصّته في سور الإسراء، وفُصّلت، والفجر، والذاريات، والمواضيع التي ذُكرت فيها ثمود مع الأمم الهالكة.

المبحث الثالث: يبحث في أسباب هلاك قوم ثمود.

المبحث الرابع: يسلط الضوء على أهمّ صفات وخصائص نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّاكم، ووفاته.

إنّ القصص القرآني مدرسة ربانيّة عظيمة، تُعلّم الأمم حقائق الوجود، ومسار الحضارات، وسنن الله في الأرض. ومن خلال قصص الأنبياء عَلَيْهِمَّالسَّلَامُ، ندرك المرجعيّة الروحيّة والأخلاقيّة والعقائديّة التي تهدينا إلى الصراط المستقيم، وتجيب عن الأسئلة الوجوديّة الكبرى، كما تمنحنا بصيرة في الحوار، وقدرة على دعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، وإغلاق منافذ الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء.

نسأل الله تعالى أن ينفع به، وأن يجعله نورًا لمن أراد الهداية.





















